

# في رحاب البيت الحرام


تأليف

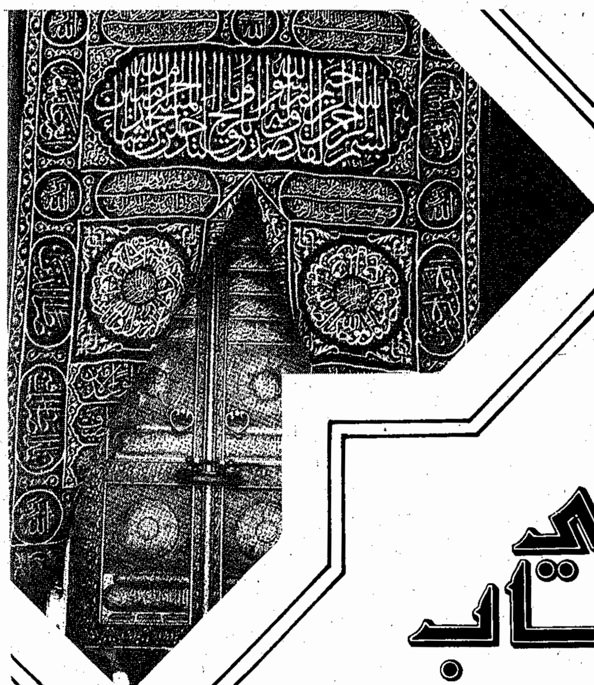
السيد محمد بن علوي بن عباس

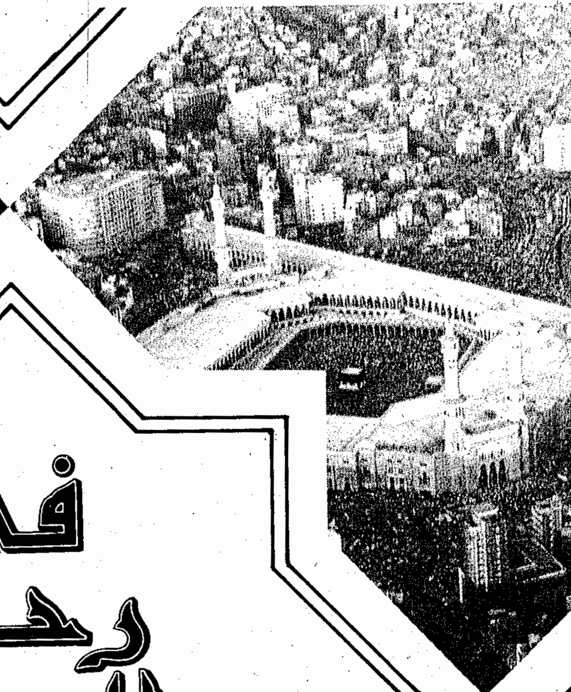
المالكي الحسني



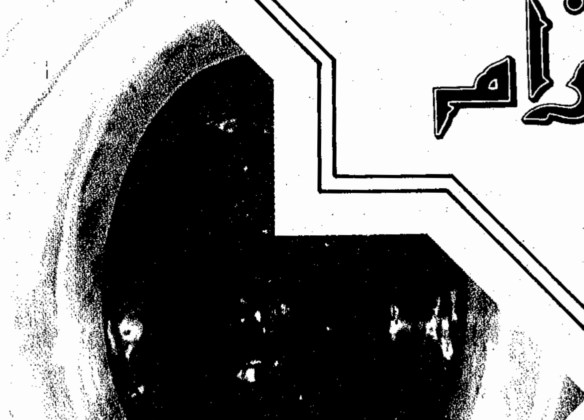
الطبعة الرابعة

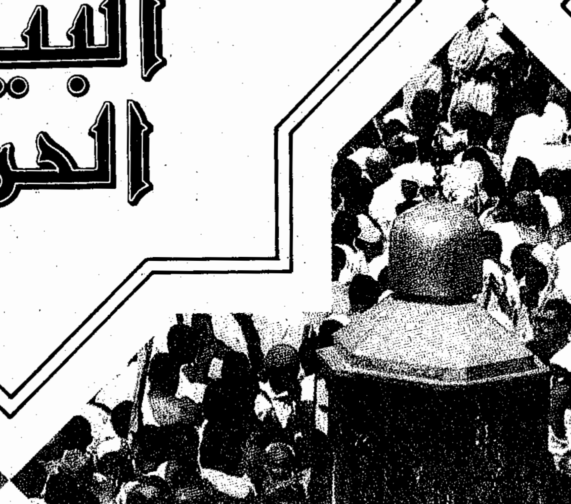
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م





# في رحاب البيت الحرام





تأليف

السيّد محمّد بن علوي بن عبّاس

المالكي الحسني

[illegible]

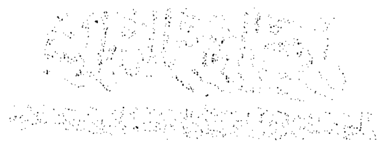
[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم



# في رحاب البيت الحرام

تأليف

السيد محمد بن علوي بن عباس
المالكي الحسني

١٤١٢هـ/١٩٩٢م

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا كتاب ديني تاريخي يشتمل على تاريخ البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة المكرمة والمواضع التاريخية التي في ضواحي مكة وأطرافها مع ذكر ما ثبت في حقها من فضائل ومناقب معتنياً بتنقيحها ونقدها وبيان درجاتها على طريقة المحدثين في إيراد الأحاديث والأخبار.

وقد عينت موضع كثير من المآثر التاريخية في هذه الأيام وبينت حالها الآن

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

السيد محمد بن السيد علوي
المالكي الحسني
خادم السنة النبوية بالبلد الحرام

الكعبة المشرفة : وما فيهـــا

المسجد الحرام : وما فيـــه

مكة المكرمة : وما فيهـــا من آثار وما حولهـــا

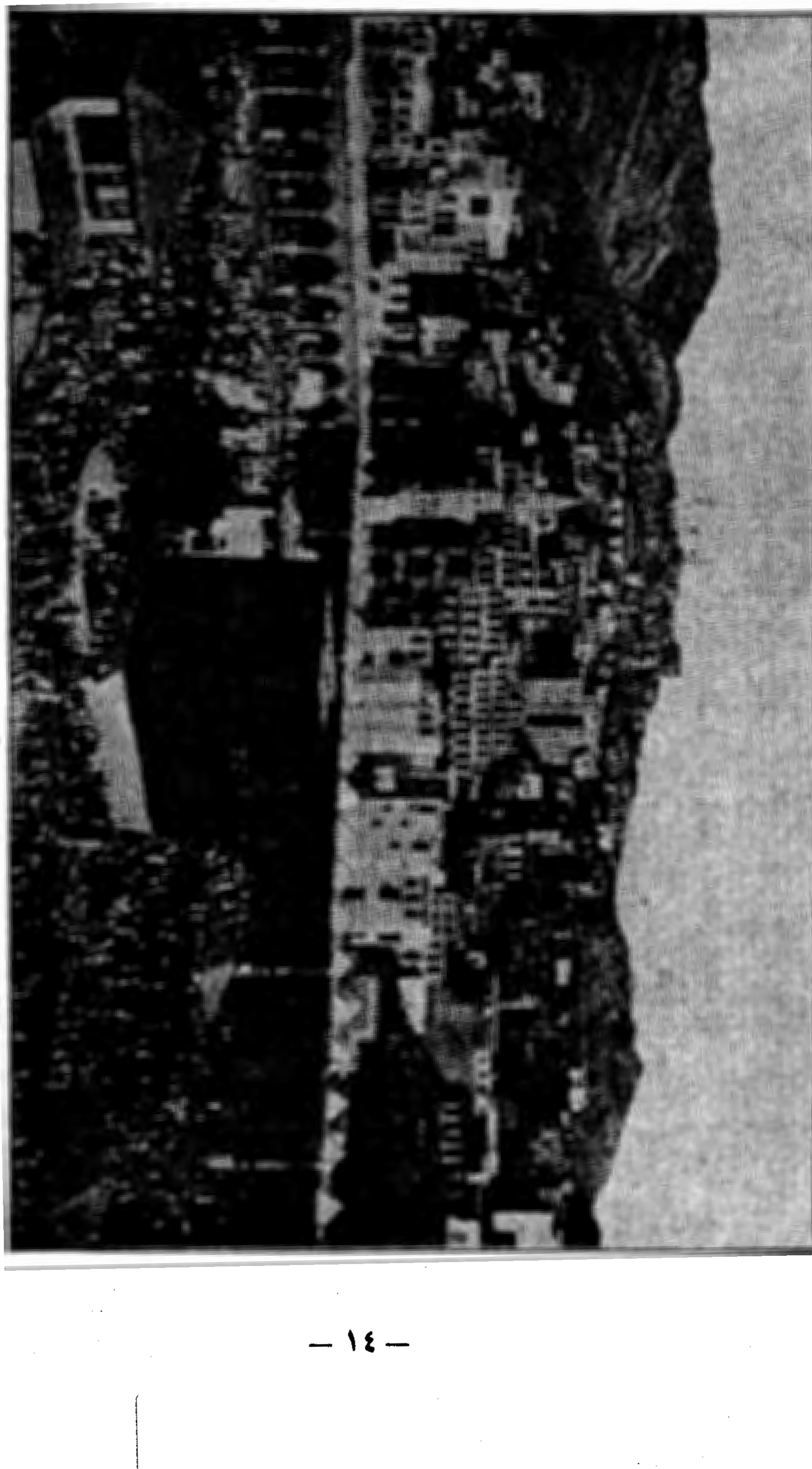
# البيـــت الحـــــرام

# تاريخــه . فضلــه

# خصــائصـــه

# خصـــائص البيت الحـــــرام

# وأحكــــــــــامه



صورة الحرم بمكة المكرمة

# البيت الحـــرام

# تاريخه ـ فضله ـ خصـائصه ومزاياه

**تاريخ بناء الكعبـة :**

ذكر في التاريخ عدد الذين بنوا بيت الله وهم أحد عشر بالترتيب •

الملائكة ، آدم ، شيث ، ابراهيم الخليل ، العمالقة ، جرهم ، قصي بن كلاب ، قريش ، عبد الله بن الزبير ، الحجاج بن يوسف الثقفي ،السلطان مراد•

وقد اختلف المؤرخون في تحديد بناة الكعبة تحديدا مجمعا عليه ، الا أن القول الثابت الذي لاخلاف فيه لقوة أدلته هو القول بأن بناة البيت ثلاثة : ابراهيم الخليل ، فقريش ، فابن الزبير ، والحجاج ، ذلك لأن بناء الخليل ثابت بالقرآن قال الله تعالى : ( واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ) البقرة •

وبناء قريش ثابت بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري وبناء ابن الزبير والحجاج أجمع عليه المفسرون والمؤرخون (١) ويمكن أن نقول : ان هؤلاء

---

١ ـ انظر ما قاله الازرقي والفاسي والقطبي وابن ظهيرة في تواريخهم .

الأحد عشر هم جملة من تعرض للكعبة على الاطلاق بيد اصلاح أو تعمير أو تجديد أو ترميم ، وكان لهم بذلك شرف عظيم تجاه ما قدموه لبيت الله مـن قليل أو كثير .

أما هؤلاء الثلاثة فهم الذين بنوها بناء حقيقيا جذريا من أساسها ، ذلك لأن هؤلاء الذين ذكر أنهم بنوا الكعبة لم ينقل لنا التاريخ أنهم كلهم بنوهـا من أساسها ، فان بعضهم من أنشأها كالملائكة وابراهيم ـ الخ ـ .

وبعضهم من بناها لتهدم بعض جدارها فرممها وأصلحها كشيث وقصي والحجاج ـ الخ ـ وهذا يفهم من قول القطبي في تاريخه ـ الاعلام ـ ص١٢ .

( وفي اطلاق العبارات في بناء الكعبة تجوز ، فان بعضها لم يستوعبها البناء كبناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط وأعاده ) .

وسنتحدث عن بناء هؤلاء الثلاثة للكعبة باختصار .

**الاول ـ بناء سيدنا ابراهيم :**

( كيفية بناء ابراهيم عليه السلام )

بنى ابراهيم عليه السلام الكعبة بحجارة بعضها فوق بعض من غير طين وجص ، وحفر في باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبئر يلقى فيها ما

يهدى اليها تكون خزانة لها ، وكان عمقها ثلاثة أذرع كما ذكره الازرقى ، ولم يجعل للكعبة سقفا ولا بابا من خشب أو غيره وانما ترك لمكان الباب فتحة فى جدارها الشرقى للدلالة على وجه البيت .

والسبب في ذلك أنهم كانوا على الفطرة لا يعرفون الخيانة ولا السرقة ، وما كان عندهم من الاموال والذهب والفضة ما يسرق ، وما كانوا يسكنون في تلك العصور الاولى كما نسكن نحن في البيوت المنيعة والقصور المشيدة .

وقد كان بناء ابراهيم للكعبة من خمسة جبال من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان(١) والجودى وحراء ، وكانت الملائكة تأتيه بالحجارة من تلك الجبال ، فكان هو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ، فبناها على أساس آدم ، وهذا الاساس حجارته من جبل حراء كانت الملائكة تأتى بها وتقذف فيه وهو المسمى بالقواعد ، وقد جعل ابراهيم عليه السلام للكعبة ركنين فقط : الركن الاسود ــ والركن اليمانى ولم يجعل لها أركانا من جهة الحجر بل جعلها مدورة على هيئة نصف دائرة كجدار الحجر ، وجعل الحجر الى جنبها عريشا من أراك تقتحمه غنم اسماعيل فكان زربا لغنمه ، وجعل الباب لاصقا بالارض وغير مبوب ، وجعل ارتفاعها من الارض في السماء تسعة أذرع ، وجعل عرض جدار وجهها الذى فيه اثنين وثلاثين ذراعا ، وعرض الجدار المقابل له أحدا

---

١ ــ طورزيتاء وطورتيناء : هما جبلان ببيت المقدس قاله الثعالبي ، أما لبنان : فجبل بالشام ويقال له جبل الاولياء اهـ من شرح عامود النسب .

وثلاثين ذراعا ، وعرض الجدار الذى فيه الميزاب جهة الحجر اثنين وعشــرين ذراعا ، وعرض الجدار المقابل له عشرين ذراعا ــ وما ذكره صــاحب كتاب تاريخ الكعبة المعظمة بأن ابراهيم عليه السلام جعل لها بابين هو وهم منه ، والصواب أنه جعل لها بابا واحدا فقط كما يظهر ذلك عند التأمــل في كتب التاريــخ •

**الثانى بناء قــريش :**

أما قريش فقد بنت الكعبة قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وســلم بخمس سنين على الاشهر ، أي سنة خمس وثلاثين من ولادته عليه الصــلاة والسلام ، ونقصوا من عرضها من جهة الحجر ستة أذرع وشبرا لقلة النفقــة الحلال التى جمعوها لعمارتها وأداروا على الحجر جدارا قصيرا يطوف الناس من ورائه ، وجعلوا بابها مرتفعا عن الارض وكبسوه بالحجارة حتى لا تدخل السيول فيها وحتى يدخلوا فيها من شاؤا ويمنعوا من أرادوا ، وجعلوا الباب مصراعا واحدا وأبقوا فيها جب الكعبة ــ أي خــزانتها التى يلقى فيها مــا يهدى اليها ، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين في كل صف ثلاث دعائم ، وجعلوا لها سقفا وميزابا من الجهة الشمالية مصبه على حجر اسماعيل عليــه السلام ، وكانت قبل ذلك بلا سقف وجعلوا ارتفاعها من الارض الى السماء ثمانية عشر ذراعا ، وجعلوا لها ركنين ولم يجعلوا لها أركانا من جهة الحجــر بل جعلوها مدورة على صفة بناء ابراهيم عليه الســلام وكان الناس كــذلك

يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة فأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بيتا ، اما حياة واما موتا .

وسبب بناء قريش للكعبة أن امرأة منهم جمرت الكعبة فطارت شرارة من جمرتها في كسوتها فاحترقت وتصدعت وتوهنت جدرانها من كل جانب ، وكانت الكعبة قبل بناء قريش مبنية برضم يابس ليس بمدر تدلى الكسوة على الجدر من خارج وتربط من أعلى الجدر من باطنها ، فبنتها قريش بالطين والذى بناها لهم اسمه ( باقوم الرومى ) كان نجارا بانيا يتجر جهة ساحل عدن فحمل في سفينته خشبا ، فلما وصل الى الشعيبية قبل جدة تبعد عنها مرحلتين ، وهي معروفة الى اليوم ، انكسرت السفينة فسمعت بها قريش فاشتروا خشبها لسقف الكعبة ، وأذنوا لاهلها أن يدخلوا مكة ليبيعوا ما معهم من المتاع على أن لايعشروهم ، واتفقوا مع باقوم على أن يقدم معهم مكة ويبني لهم الكعبة بنيان الشام فلما بنوا الكعبة وبلغوا السقف قال لهم باقوم : أتحبون أن تجعلوا سقفها مكبسا أو مسطحا فقالوا : بل ابن بيت ربنا مسطحا فبنوه مسطحا ومعنى مكبسا : محدبا كالقبة .

**الثالث بناء ابن الزبير :**

وسبب بنائه حادثتان .. الاولى في وقت الحروب التى كانت تدور رحاها بين ابن الزبير وبين يزيد بن معاوية على الخلافة فجمع ابن الزبير أصحابه وتحصن بالمسجد حول الكعبة ونصب خياما يستظلون فيها من

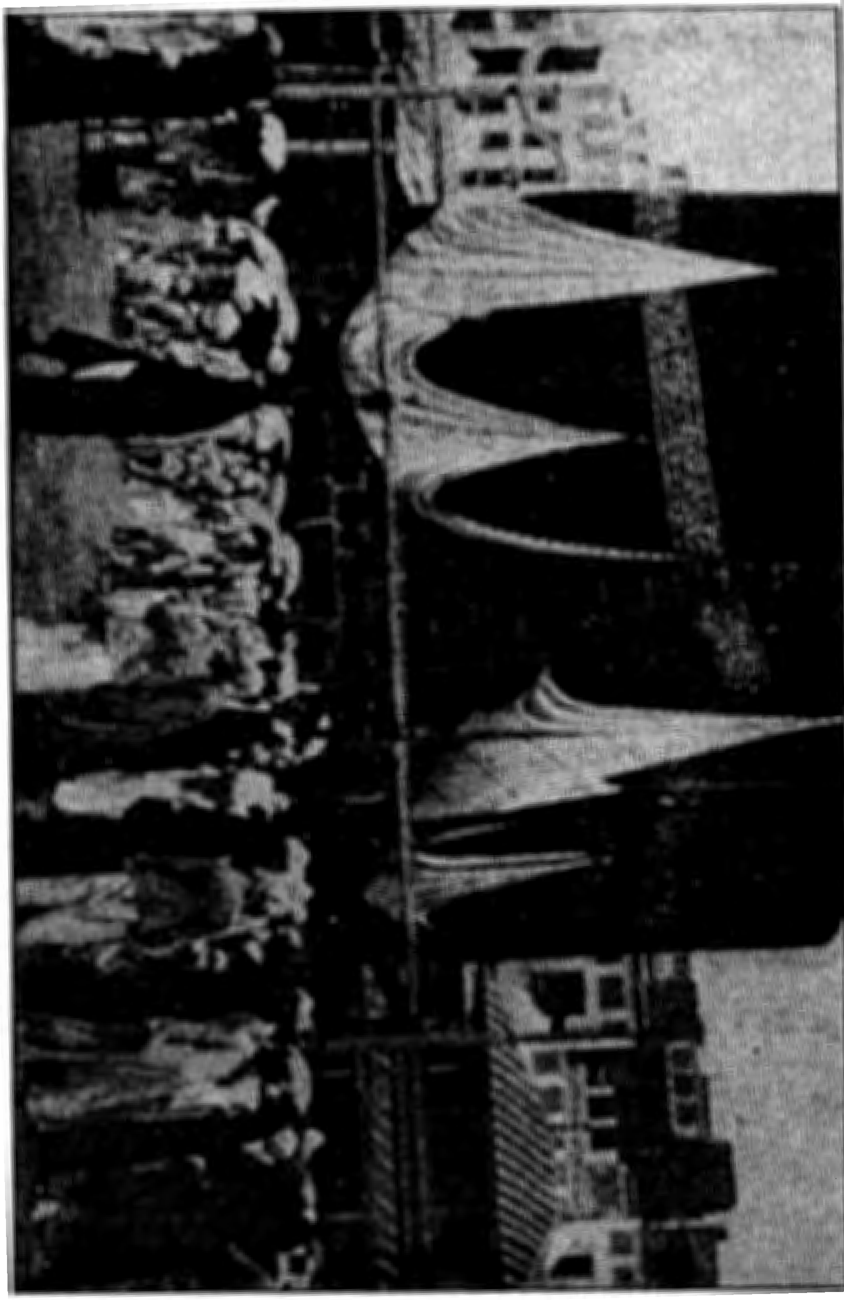
الشمس وكان الحصين قائد جيوش يزيد قد نصب المنجنيق على أخشبي مكة ليرمى به ابن الزبير فكانت الاحجار تصيب الكعبة فوهنت وتصدعت •

الثانية ــ في نفس ذلك الوقت وقع حريق عظيم بسبب أن أحد الرجال أوقد نارا ببعض تلك الخيام المنصوبة بالقرب من الكعبة وكانت الريح شديدة فطارت شرارة فتعلقت بالكسوة فاحترقت فزادت وهنا تصدعا وتحرقت كسوتها ولما زال الحصار عن ابن الزبير رأى أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد ابراهيم فوافقه على ذلك نفر قليل ، وكره ذلك نفر كثير منهم ابن عباس ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة الى منى مخافة أن يصيبهم عذاب وأمر ابن الزبير جماعة من الحبشة فهدمت الكعبة أجمع حتى بلغت الارض وكان هدم ابن الزبير لها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ٦٤هـ وبناها على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيها ما أخرجته قريش منها في الحجر وزاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع فصار طولها سبعة وعشرين ذراعا ، وجعل لها بابين لاصقين بالارض ، أحدهما الموجود بها اليوم والآخر المقابل له المسدود واعتمد في ذلك وفي ادخاله في الكعبة ما أخرجته قريش منها في الحجر على ما اخبرته خالته عائشة وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وجعل لها درجة في ركنها الشامي يصعد منها الى سطحها وجعل فيها ميزابا يصب في الحجر وقيل ان ابن الزبير بنى الكعبة بالقصة بفتح القاف ــ أي الجص ــ أتى بها من

صنعاء وقيل انه بناها بالرصاص المذاب المخلوط بالورس ـ وهو نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به •

فلما فرغ من بنائها خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدارها بالمسك من الخارج من أعلاها الى أسفلها وسترها بالديباج ، وقيل بالقباطى : وهى ثياب من كتان تعمل بمصر وكان ذلك اليوم يوما مشهودا لم ير يوم كان أكثر عتقا ولا اكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة من ذلك اليوم ، وخرج ابن الزبير ماشيا حافيا وخرج معه كثير من قريش مشاة حتى وصلوا الى مسجد عائشة بالتنعيم فأحرموا بالعمرة شكرا لله تعالى على ما وفقهم لبناء بيته الحرام على الصفة التى بناها ابراهيم عليه الصلاة والسلام •

أما بناء الحجاج فليس بناء مستقلا بل هو تغييرات واصلاحات وذلك أمر سياسي اكثر ما يكون منه دينى • فان ابن الزبير لما قتل كتب الحجاج لعبدالملك بن مروان أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه في رد ذلك على ما كان عليه فأذنه فغير شيئا في الكعبة ونقص وروى ان عبدالملك ندم بعد ذلك على اذنه للحجاج • قلت • ولعل الحجاج غير بناء الزبير للكعبة لكي لا يبقى له عمل ولا أثر يذكر به في الزمن بغضا له •



الكعبة وقد رفعت أطراف ثوبها إلى أعلاها

# معلومات تتعلق بالكعبة

## أولا : صفـة الكعبـة

بناء مكعب مجوف من الداخل وقد جعل ابراهيم طولها تسعة أذرع وجعل لها باباً ملاصقاً للأرض بلا مصراع . وحفر فى داخله بئراً يكون خزانة لهداياه ، أما قريش فجعلت طولها ثمانية عشر ذراعا ونقصوا عرضها ورفعوا بابها عن الأرض ليدخلوا من شاءوا وجعلوا لها سطحاً ودرجاً فى وسطها يصعد إلى السطح منها .

أما ابن الزبير فجعل طولها ثمانية وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض واعتمد أن يدخل ما نقصته قريش من الحجر وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وجعل فيها ميزابا يصب في الحجر .

ولما جاء الحجاج غير ما بناه ابن الزبير فسد بابها الغربي وهدم ما زاد فيها من الحجر .

## ثانيا : كسوة الكعبة

أما وقت كسوتها فلقد كانت تكسى يوم عاشوراء أي بعد الحج يعنى اذا ذهب الحجاج حتى كانت دولة بنى هاشم فكانوا يكسونها يوم التروية أي الثامن من شهر الحج .

أما أول من كساها فقالوا انه تبع مستدلين بحديث رواه الأزرقي عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن سب تبع لانه أول من كسا الكعبة في الجاهلية .

وقيل ان اسماعيل عليه السلام كساها قبله أيضا ثم تتابع الامر .

أما كيفية تلك الكساوى فهى أكسية شتى ما بين خز ونمارق وديباج وكانوا لا ينزعون ثوبها القديم بل يضعون الجديد فوق القديم .

وقد أنشأ الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٦ هـ دارا خاصة لصنع الكسوة المشرفة وهى أول دار أسست خصصت للكسوة منذ الجاهلية حتى الآن .

**ثالثا : خدمة الكعبة**

خدمة الكعبة تسمى بالحجابة وخدام الكعبة يسمون بسدنة الكعبة وهم جماعة مخصوصون يتوارثونها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى الآن من قوله ( خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ) وهم المعروفون ببيت بنى شيبة .

**رابعا : أسماء الكعبة**

تسمى بالكعبة لتكعيبها وهو تدويرها ، وتسمى بالبيت العتيق ، والبيت الحرام وتسمى أيضا البنية كقبة يقال لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا ويقال لها بنية ابراهيم .

وتسمى بالقبلة لانها تستقبل وكلما يستقبل فهو قبلة وتسمى( الحمساء ) وكانوا ينتسبون اليها فيقـال لهم الحمس وتسمى البيت المعمور على أحـد القولين في المرادبه من قوله تعالى ( والبيت المعمور ) والقول الثانى انـه في السماء مسامت للكعبة •

**خامسا : المستجـار**

المستجار هو بين الركن اليمانى الى الباب المسدود في دبر الكعبة فبين الركن اليمانى والباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع ويسمى هذا الموضع المستجار من الذنوب ويقال له ملتزم عجائز قريش • وقـال معاويـة بن أبي سفيان مـن قام عنـد ظهر البيت فدعا استجيب له وخـرج مـن ذنوبه كيوم ولدته أمـه ، ومثل هذا القول من معاويـة لايكون الا عـن تلق من لسان النبوة • قال الامام الشعبي أن عبدالله ابن الزبير وأخاه مصعبا وعبدالملك بن مروان وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما دعوا في هذا الموضع فلم يذهب الشعبى من الدنيا حتى رأى كلا منهم قد أعطى ما سأل وبشـر عبدالله بن عمر بالجنة وكان دعا بها ، وكان يقف للدعاء في هذا المكان جماعة من كبار المسلمين منهم عمر بن العزيز والقاسم بن محمد حفيد سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنهم •

**سادسـا : الشـاذروان**

هو الحجارة المائلة الملتصقة بأسفل الكعبة المحيطة بها من جوانبها الثلاثة أما الجانب المقابل لحجر اسماعيل ففيه كدرجة واحدة مسطحة يقف عليهـا

بعضهم للتضرع والدعاء ملصقا بطنه بالكعبة ورافعا يديه فوق رأسه وهى بطول جدار الكعبة وارتفاعها عن الارض أحد عشر سنتيمترا وعرضها أربعون سنتيمترا .

والشاذروان الموجود الآن في داخل بناء الكعبة المشرفة هو من بناء السلطان مراد الرابع عند بنائه الكعبة سنة ( ١٠٤٠ ) ألف وأربعين هجرية . وليس هو الذى اخترع وضع الشاذروان في الكعبة ، بل ان الشاذروان كان موجودا منذ القدم في البناية السابقة .

واختلف في الشاذروان هل هو من البيت أم لا ؟ قال جمهور العلماء من الشافعية والمالكية ان الشاذروان من البيت ، وقال أبو حنيفة انه ليس من البيت لانه لم يرد حديث صحيح انه من البيت .

# الحجـر الاســـود

الحجر الأسود هو حجر وضعه نبي الله الخليل ابراهيم عليه الصـلاة والسلام في ركن الكعبة الشرقي ، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر نبي وضعه لما جددت قريش بناء الكعبة ، واختلفوا فيمن يضعه ، فاتفقوا على أن يحكموا أول داخل الى المسجد ، فكان أول داخل هو النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه هذا .

**نوعـــه :**

وهذا الحجر ليس من الأحجار العادية المعروفة ، وانما هو حجر جاء به جبريل لابراهيم عليهما الصلاة والسلام حين بناء البيت ، وجاء به من الجنة .

وهذا ثابت عندنا معشر المسلمين وهو خبر حق وصدق عندنا ، لأنـــه أخبرنا به نبينا الذي نؤمن به ونصدقه في كل ما قاله اذا صح أنه قاله .

وقد ثبتهذا الخبر بطرق صحيحة وأسانيد جيـدة لايمكن أن تدفع أو تـرد .

قال صلى الله عليه وسلم : « ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة» رواه الترمذي وأحمد والحاكم وابن حبان وصححه .



الحجر الأسود من حجارة الجنة

والمقصود بالركن : الحجر الأسود .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الحجر الأسود من حجارة الجنة » رواه الطبراني في معجمه الأوسط والكبير .

وقال ابن عباس : قال صلى الله عليه وسلم : « نزل الحجر الأسود من الجنة » رواه الترمذي وصححه، وله طريق أخرى تقويه في صحيح ابن خزيمة. ورواه النسائي أيضا من طريق آخر بلفظ : الحجر الأسود من الجنة .

ورواه أيضا أحمد وسعيد بن منصور والحاكم وصححه .

ورواه من طريق أنس مرفوعا البزار والطبراني في الأوسط .

وعند ابن خزيمة في كتابه الصحيح بلفظ قال صلى الله عليه وسلم : « الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة » .

وأخرج مثله الترمذي وصححه بلفظ :«الحجر ياقوتةمن يواقيت الجنة».

وعند الحاكم بزيادة « الحجر والمقام من يواقيت الجنة » وصححه ، والمقام هو مقام ابراهيم عليه السلام .

وبهذا ظهر أن كونه من الجنة أمر صحيح ثابت بطرق متعددة ، وأسانيد كثيرة موجودة في دواوين السنة المشتهرة المعروفة مثل : مسند أحمدبن حنبل، وسنن الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، وصحيح ابن خزيمة ، وصحيح ابن حبان ، ومعجم الطبراني ، وسنن سعيد بن منصور ، وأخبار مكة للأزرقي .

وقد صححه من حفاظ الحديث : الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، وابن خزيمة .

ولذا فاني لا أعلم عن أحد من المسلمين من أهل السنة والجماعة مخالفة في اثبات هذا الأمر . وانما الخلاف في وقت نزوله : هل كان حين بناء ابراهيم؟ أم قبله حين نزل آدم عليهما السلام ؟

فروى من حديث ضعيف أنه أنزل الى الأرض حين أنزل آدم ، وهذا الحديث رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس .

وثبت عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « نزل الحجر أول ما نزل على جبل أبي قبيس ، فمكث أربعين سنة ، ثم وضع على قواعد ابراهيم ، وهذا الحديث رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ، لكنه موقوف .

وقد أشار بعض المؤرخين الى هذا الخلاف ، فقال ابن ظهيرة المكي :

« لما انتهى الخليل في البناء الى موضع الحجر جاء جبريل بالحجر الأسود قيل : نزل به من الجنة ، وقيل : جاء به من جبل أبي قبيس ، لأن الله استودع الحجر أباقبيس لما غرقت الأرض » اهـ . كذا في الجامع اللطيف لابن ظهيرة ( ٧٩ ) .

وفي حديث أبي جهم « أن الحجر الأسود نزل قبل ابراهيم ، ثم رفع الى السماء حين غرقت الأرض ، ثم جاء به جبريل حين بناء ابراهيم » نقله الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري .

والحاصل أن هذا الخلاف ليس بذي بال في الموضوع ، اذ الكل متفقون على أنه من الجنة ، وما بقي بعد ذلك لايؤثر على أصل الموضوع .

**شـكله وموضعه :**

الحجر الأسود في ركن الكعبة الشرقي وارتفاعه من أرض المطاف متر واحد ونصف المتر ، ولايمكن وصفه الآن ، لأن الذي يظهر منه الآن في زماننا ونستلمه ونقبله انما هو ثماني قطع صغار مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة الواحدة تساقطت منه حين الاعتداءات عليه من بعض الجهـال والسفهاء في الأزمان السابقة .

قال الكردي في تاريخه القويم ٣/٢٦٤ : وقد كان عدد القطع الظاهرةمنه خمسة عشر قطعة ، وذلك منذ خمسين سنة ، أي في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة ، ثم اختفت منها بعض القطع تحت المعجونالذي يثبت به الحجر بسبب الاصلاحات التي تحدث في اطار الحجر ، وكلما تخلخل منه شيء بسبب ذلـك عجن بالشمع والمسك والعنبر ووضع على رأس الحجر الكريم .

ولقد زاد سواد هذه القطع من كثرة وضـع العطورات والخلوق عليه دائما وأبدا ، اهـ .

أما بقية الحجر كله فانه داخل في بناء نفس الكعبة المشرفة حتى في صدر الاسلام ، ولا يظهر منه ــ كما تقدم ــ الا بعض قطع صغيرة معجونة بالمسك على رأس الحجر الداخل في نفس البناء والمحيطة به أحجار الكعبة مـن كل

جانب ، وهذه القطع الصغيرة مطوقة بطوق عريض وسميك من الفضة الخالصة.

أما مقياس جرم الحجر فقد حدده من رآه ، وهو محمد بن نافع الخزاعي، اذ قال : تأملت الحجر الأسود وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض ، وطوله قدر ذراع ، وكان ذلك سنة ٣١٧ هـ ( كذا في الاشاعة لأشراط الساعة ، عند الكلام على القرامطة ) .

وقال ابن علان ، وهو ممن رآه أثناء بناء الكعبة زمن السلطان مراد عام ١٠٤٠ ، وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل ، وعرضه ثلث ذراع ، ونقص منه قيراط في بعضه ، وسمكه أربعة قراريط ، وعليه سيور من الفضة واحد من أول ما غاب من رأسه من جهة البـاب مستديرا الى مثله مما يلي الجانب اليماني في وسط سمكة ، وعليه سيران من فضـة محيطان بعرضه الى طرف السير من الوجه الثاني . اهـ . تاريخ الكعبة لباسلامة ( ١١١ ) .

**لون الحجـر الاسود :**

أما لونه : فانه قد ورد في كثير مـن كتب الحديث الشريف ، وكتب التاريخ ما يدل أن هذا الحجر كان أبيض . ففي بعض الروايات « أبيض من الثلج » ( أحمد ) . وفي رواية : « أبيض كأنه الفضة » ( أزرقي ) . وفي رواية: « كأنه مهاة بيضاء » ( طبراني ، كذا في المجمع ) . وفي رواية : « أشد بياضا من اللبن » ( الترمذي وصححه ـ فتح ) .

واذا ثبت هذا فانه لابد من معرفة الحكمة في تسميته بالأسود .

والجواب على هذا جاء مصرحا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهو أن خطايا بني آدم هي التي سودته » رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، ولا شواهد تؤيده ، كما أشار الى ذلك ابن حجر في شرحه على البخاري ( ٣/٤٦٢ ) .

قلت : وقيل غير ذلك من الأجوبة ، ولكنها كلها لا دليل عليها من صحيح الخبر الذي يعتمد عليه ، وما قدمناه هو أصح ما ورد في هذا الموضوع .

ومع هذا فقد نقل بعض المؤرخين عن بعض العلماء أنه حج ورأى شيئا من أثر هذا البياض ، كالعلامة عز الدين بن جماعة سنة ثمان وسبعمائة ، اذقال: رأيته وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد ، ثم رأيت البياض بعد ذلك نقص نقصا بينا . وكالعلامة ابن خليل الذي ذكر في منسكه الكبير أنهرأى في الحجر ثلاث مواضع بيض نقية في الناصية التي الى باب الكعبة : احداها وهي أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة ، قال : ثم اني أتلمح تلك النقط ، فاذا هي كل وقت في نقص ( الجامع اللطيف ) .

وينبغي أن نلاحظ أن هذا السواد انما هو في رأس الحجر ، اذ هوالظاهر فقط من الحجر كله .

وأما بقية جرم الحجر فهو على ما هو عليه من البياض ، كما أخبر بذلك محمد بن نافع الخزاعي ، وقد رآه بعينه ، وقال : تأملت الحجر الأسود وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض ، اهـ .

ونقل المؤرخ باسـلامة ( في تاريخ الكعبة ١١١ ) : أن ابن علان قال : « ولون ما استتر من الحجر الأسود بالعمارة في جدر الكعبة أبيض » اهـ .

قلت : وابن علان هذا هو العلامة محمد بن علي بن علان المكي ، وقد حضر بناء الكعبة في زمن السلطان مرادخان ، وشهدذلك بنفسه عام ١٠٤٠هـ .

**خصائص الحجـر :**

وهذا الحجر له خصائص ومزايا عظيمة صحيحة ثابتة من طرق صحيحة عن سيدنا محمد نبي هذه الأمة الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ،فمنها :

١ ـ أنه يشرع تقبيله واستلامه ، وقد ثبت هذا بأحاديث كثيرة لها طرق صحيحة معلومة عند المسلمين بالاجمال والتفصيل ، وهي موجودة في صحيح البخاري ومسلم : أصح كتابين عند المسلمين بعد القرآن .

٢ ـ ومنها أنه في أشرف مكان في بيت الله المعظم « الركن الشرقي »وهو المكان الذي يقع على نفس القواعد الاولى الاصلية التي رفعها ابراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .

٣ ـ ومنها أنه في المكان الذي يشرع ابتداء الطواف بالبيت منـــه ، فالانسان اذا أراد الطواف بالبيتفانه يبتديء من الركن الذيفيه هذا الحجر .

٤ ـ ومنها أن من استلمه كان كمن فاوض يد الرحمن ، وكمن بايع الله

ورسوله ، كما ثبت في الحديث الذي رواه ابن ماجه وسعيد بن منصور في كتابيهما السنن ، والأزرقي في أخبار مكة .

٥ ــ ومنها أنه كان له نور عظيم مضيء ، ولكن الله تعالى قد طمس هذا النور ، كما ثبت في الحديث الذي رواه أحمد ، والترمذي ، وابن حبان في صحيحه .

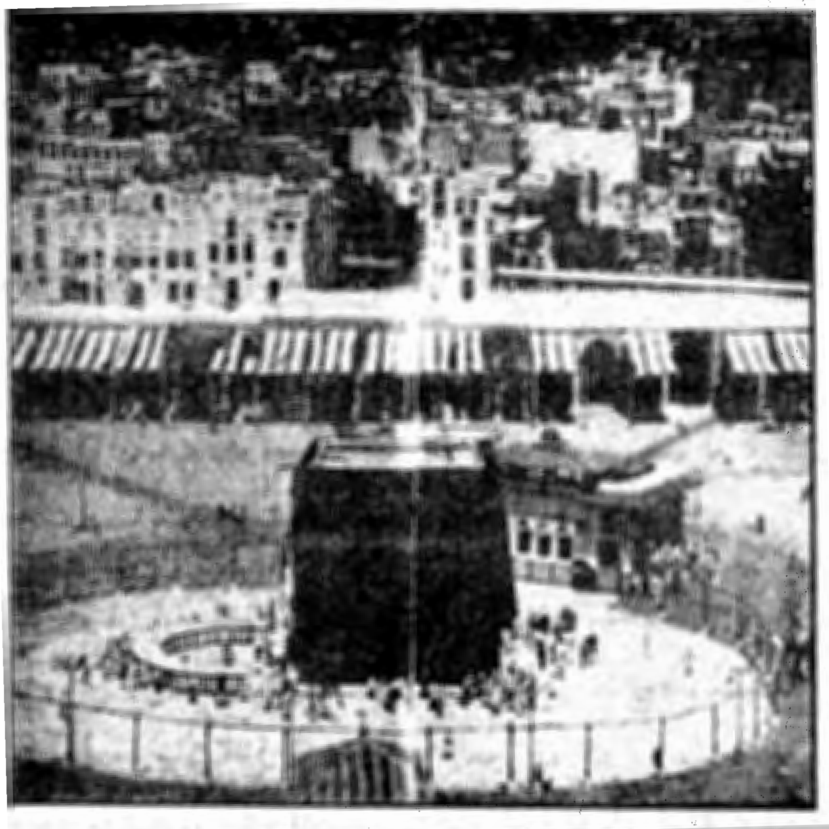
٦ ــ ومنها أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق ، كما ثبت في الحديث الذي رواه الترمذى في سننه ، والطبرانى في الأوسط .

٧ ــ ومنها أنه شافع ومشفع يوم القيامة ، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني ، ولكن سند الحديث فيه كلام .

٨ ــ ومنها أنه في الأرض بمنزلة يمين الله ، كما ثبت في الحديث « الحجر يمين الله في أرضه » وهو حديث له طرق وشواهد يقوي بعضها بعضا يصير بها الحديث حسنا ، وقد تستنبط حكمة استلامه من هذا الحديث .

وهو أن كل مسلم أمين على الاسلام والايمان ، وهذه الأمانة عاهده الله عليها وبايعه على تحملها وأدائها ، ولما كانت النفوس تحتاج الى ما يثبت لها المعاني بالمحسوسات أقام الله تعالى هذا الحجر في بيته ، وجعل له هذه الخصوصية ليكون بمثابة المحسوس الذي يتيقن المسلم باستلامه أنه قد أدى البيعة وعاهد الله سبحانه وتعالى على تحمل وأداء الأمانة والقيام بها خير

قيام • وهذه انما هي حكمة مستنبطة فقط ، والحكمة الأصلية هي امتحان العقول ومعرفة استجابة النفوس وطاعتها وعبوديتها فيما قد تجهل حكمته أو تخفي عليها علته ، وحينئذ لايكون لاقدامها عليه معنى سوى تمام عبوديتها لخالقها الحق سبحانه وتعالى •



البيت الحرام قبل التوسعة الجديدة

# فضل الصلاة في البيت واستحباب ذلك

أما الصلاة في البيت ، ففضلها ثابت من جهة كونها سنة ومستند سنيتها هو كون النبي صلى الله عليه وسلم فعلها ، ومجرد هذا الفعل يدل على أنها سنة والانسان اذا فعلها مستشعرا هذا المعنى مع كونه في ذلك متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم ومقتديا به نال الخير الكثير والفضل الجزيل •

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة الحجبى فأغلقها عليه ثم مكث فيها فقال ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى • أخرجاه ( قرى ٤٥٤ ) وعنه أيضا في رواية أنهم دخلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلقوا عليهم الباب فمكث نهارا طويلا •متفق عليه ( قرى ٤٥٤ ) •

وفي هذا الحديث دلالة على التوسعة في المكث في البيت لكن للتعبد فيه لا للحديث وغيره •

وقد ثبت عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم محافظتهم على هذه السنة رغبة في فضلها مثل أبى الشعثاء قال : خرجت حاجا فجئت حتى دخلت

البيت وفيه فجاء ابن عمر فصلى الى جنبى وفيه ثم حججت من العام المقبل فجئت حتى قمت في مقامه فجاء ابن الزبير حتى قام الى جنبي فلم يزل يزحمني حتى أخرجني منه ثم صلى أربعا • أخرجه أحمد ( قرى ٤٥٥ ) •

ومثل معاوية بن أبى سفيان فقد حج ودخل البيت فيما رواه شيبة بن جبير بن شيبة • وأخرجه الأزرقي • وروى الفاكهى عن عطاء قال : لان أصلى ركعتين في البيت أحب إليّ من أن أصلى أربعا في المسجد الحرام وروى الفاكهى أيضا عن الحسن قال : الصلاة في الكعبة تعدل مائة الف صلاة ( تاريخ كعبة ٣٢٣ ) •

وفي حديث ابن عمر الاول دليل على أنه صلى الله عليه وسلم قد صلى في الكعبة لكن يعارضه ما في صحيح البخارى وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم دخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل فيه • ورواه مسلم بلفظ ( ودعا ولم يصل ) قال الحافظ العراقى وانما تلقى ابن عباس ذلك عن أسامة بن زيد • ففي صحيح مسلم عنه أخبرني أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه قال ابن بطال : الآثار بأنه صلى أكثر ولو تساوت في الكثرة لكان الاخذ بالمثبت أولى من النافى فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام صلى في البيت غير بلال جماعة منهم : أسامة ، وعمر ، وجابر ، وشيبة بن عثمان ، و عثمان بن طلحة من طرق حسان ذكرها الطحاوى كلها في شرح معانى الآثار •

وقال النووى في شرح مسلم : أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه • اه •

قال العراقى : فان قلت : كيف الجمع بين اثبات بلال ونفى أسامة مع دخولهما مع النبى صلى الله عليه وسلم في مرة واحدة قلت : أجيب عنه بأوجه :

( أحدها ) : قال النووى في شرح مسلم : وأما نفى أسامة فسببه انهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل أسامة بالدعاء في ناحية من نواحى البيت والنبى صلى الله عليه وسلم في ناحية أخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبى صلى الله عليه وسلم فرآه بلال لقربه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله وكانت صلاته خفيفة فلم يره أسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء ، وجاز له نفيها عملا بظنه ، وأما بلال فتحققها فأخبر بها •

( الثانى ) : انه يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة ، فلم يشهد صلاته • قال العراقى : قال والدى رحمه الله في شرح الترمذى ويدل ما رواه أبوبكر ابن المنذر من حديث أسامة ( أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى صورا في الكعبة ، فكنت آتيه بماء في الدلو يضرب بها الصور ) قال : فقد أخبر أسامة أنه كان يخرج لنقل الماء وكان ذلك كله يوم الفتح •

( الثالث ) : قال ابن حبان في صحيحه : الاشبه عندى أن يحمل الخبران على دخولين متقاربين :

أحدهما : يوم الفتح وصلى فيه ، والآخر : في حجة الوداع ولم يصل فيه من غير أن يكون بينهما تضاد ، وكذا قال المهلب شارح البخاري يحتمل أن يكون دخل مرتين صلى في احداهما ولم يصل في الاخرى قال المحب الطبرى ويتأيد ذلك بما أخرجه الشيخان عن اسماعيل بن أبى خالد قال : قلت لعبدالله بن أبى أوفى : أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في عمرته ؟ قال : لا قال : فتعين الدخول في الحج والفتح ، قال والدى رحمه الله في شرح الترمذى : ماجمع به ابن حبان مخالف لما في الصحيح من كون اختلاف بلال وأسامة انما هو في دخول واحد وهو يوم الفتح ، نعم ـ الاختلاف الذى عن أسامة في صلاته يجوز أن يجمع بينهما بأنه في دخولين ، اما في سفرة أو سفرتين ، قلت : وقد تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة الا مرة واحدة .

( الرابع ) : أن المراد باثبات بلال الصلاة اللغوية وهى الدعاء لا الصلاة الشرعية ، حكاه والدى رحمه الله في شرح الترمذى عن بعض من منع الصلاة في الكعبة قال : وهو جواب فاسد يرده قول ابن عمر في الصحيح : ونسيت أن أسأله كم صلى ، وقوله في بعض طرقه في صحيح البخارى : أنه صلى ركعتين . ويتعلق بهذا المبحث فائدتان :

الاولى : في مكان صلاته صلى الله عليه وسلم بالبيت ، اعلم أن البيت في زمن النبى صلى الله عليه وسلم كان على ستة أعمدة .

« ١ » فجاء في رواية عند البخاري : أنه جعل عمودا عن يساره وعمودين عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه •

« ٢ » وجاء في أخرى : أنه جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه •

« ٣ » وفي رواية مسلم عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وفي الحديث المتفق عليه : أنه جعل الباب خلف ظهره واستقبل بوجهه الذى يستقبل حين يلج البيت بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع فكأنه استقبل جهة الركن اليمانى قلت : فيمكن أن يقال : ان مكان صلاته بالتقريب هو أن يقف المصلى وظهره لباب الكعبة ، ووجهه مستقبل جهة جدار الركن اليمانى وبينه وبين هذا الجدار الامامى ثلاثة أذرع ، وبينه وبين جدار الكعبة الذى على يساره ذراع واحد •

الثانية : في عدد صلاته صلى الله عليه وسلم بالبيت • وقد روى البخارى في أوائل كتاب الصلاة : عن ابن عمر أنه سأل بلالا عن ذلك ؟ فقال له بلال : نعم صلى ركعتين • ورواه أيضا النسائي ، وفي سنن أبى داود باسناد فيه ضعف عن عبدالرحمن بن صفوان قال : قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ؟ قال : صلى ركعتين ورواه ابن أبى شيبة من هذا الوجه ( طرح التثريب ٥/١٣٩ ) وفي القرى رواية صفوان هذا بدون ذكر عمر أخرجها أحمد • ( ٤٥٧ ) •

## ( فضــل اســـتلام الركن اليماني )

الركن اليمانى هو ركن الكعبة المشرفة • وفضائل هذا المكان عظيمــة ومزاياه جليلــة •

وأعظم فضيلة له هى أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استلمه بيــده الشريفة ، وكان يفعل ذلك كثيرا فصارت سنة نبوية ثابتة مشروعة •

أخرج أبو داود عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر في كل طوافه • وكان عبدالله بن عمر يفعله • وقال أبو داود وأخرجه النسائى وفي اسناده عبدالعزيز بن أبى رواد وفيه مقال ( كذا في السنن ٢/٣٧٥ طبعة أنصار السنة ) •

وروى عبد الرزاق في المصنف عن معمر عــن الزهري عن ابن عمر أنه ﷺ . لا يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين . ( ٣ / ٤٧٣ سلفية )

وروى عبدالرزاق في المصنف عن عمــر عن الزهــرى عن ابن عمر أن رسو لالله صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليمانى والركن الاسود • الحديث ( ٥/٤٣ ) •

وروى عبدالرزاق أيضا عن سعيد بن السائب بن يسار أنه سمع غطيف

الثقفى يحدث أنه طاف مع ابن عمر بالبيت قال : فرأيته لا يدع الركنين اليمانيين أن يستلمهما في كل طواف ( ٥/٤٦ ) •

قلت : فهذه الاحاديث تدل على ثبوت استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليماني وعمل الصحابة من بعده على ذلك وهو سنة صحيحة متفق عليها •

وانما الخلاف في تقبيله وهو خلاف المشهور لكن صرح ابن حجر في الفتح باستحباب ذلك عند البعض فقال : واستحب بعضهم تقبيل الركن اليمانى أيضا ( ٣/٤٧٥ ) •

وذكر ذلك أيضا ابن ظهيرة عن الكرمانى ونسبه الى الامام أحمد فقال : ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله ( الجامع اللطيف ٤٣ ) أقول : والتقبيل وان لم يكن مشهورا لكن جاء ما يؤيده في السنة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله ( رواه البخاري في تاريخه ) ونقله ابن القيم في تهذيب السنن وقال : وفي النفس منه شيء كما نقل ابن القيم أيضا رواية أخرى لحديث ابن عباس هذا بلفظ : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه وقال رواها الحاكم في صحيحه الا أنه أول الركن اليمانى هنا وقال : المراد به الاسود فانه يسمى يمانيا مع الركن الآخر يقال لهما اليمانيين بدليل حديث عمر في تقبيله الحجر الاسود خاصة •

وقوله : لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فلو قبل لقبله عمر ( كذا في تهذيب السنن ٣٧٦/٢ ) قلت : حديث ابن عباس في تقبيل الركن اليماني رواه الموصلي أيضا ( كذا في جمع الفوائد ٤٧٨/١ وكذا رواه الدار قطني ) بلفظ : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الركن اليماني ويضع خده عليه ٠

قال الفاسي في شفاء الغرام : تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم الركن اليماني ووضع خده عليه لايثبت ٠

قلت : لا بد من تقييد كلامه بأن نقول لا يثبت أي من طريق صحيح ٠ اذ ثبت من طريق الدار قطني وغيره كما تقدم مع ما فيها مما يمكن ان ينجبر مثله ٠

ومن فضائل الركن اليماني أنه على القواعد الاولى للبيت التي رفعها ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : عن الركنين الآخرين اللذين لا يستلمان ، اني لاظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك استلامهما الا لأنهما ليسا على قواعد البيت أخرجه أبو داود والنسائي اهـ . جمع الفوائد ٤٧٧/١ وهو عند الشيخين من قول عمر ( كذا في تخريج السنن ٣٧٤/٢ ) قلت : ولذلك يرى الجمهور أن السنة استلام أو تقبيل الركنين اليمانيين فقط .

أما الأول : فله فضيلتان كون الحجر الأسود فيه وكونه على قــواعد ابراهيم •

وأما الثاني : فله فضيلة واحدة كونه على قواعد ابراهيم وليس للآخرين شيء منهمــا •

وقد جاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم والتابعين استلام جميــع الاركان وأن بعضهم يقول : ليس شيء من البيت مهجورا ، وهذا القــول مروى عن معاوية وهو في الصحيح عند البخارى ( ٣/٤٧٣ ) ولكن الوقوف مع السنة الواردة أولى وأقرب للتقوى خصوصا في أمثال هذه الامور التعبدية وقد أجاب الإمام الشافعى عن هذا القول بقوله : بأنا لم ندع استلامها هجرا للبيت وكيف يهجره وهو يطوف به ولكنا نتبع السنة فعلا أو تركا ، ولو كان ترك استلامهما هجرا لكان ترك استلام ما بين الاركان هجرا ولا قائل بــه ( الفتح ٣/٤٧٤ ) ومن فضائل الركن اليمانى ما رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : مسح الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطــا • قال ابن القيم في تهذيب السنن رواه ابن حبان في صحيحه ( ٢/٣٧٤ ) قلت ( وكذا أحمد ١٢/٢٣ )•

وقال عبيد بن عمير لابن عمر : انك تزاحم علىالركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزاحمه فقال : ان أفعــل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ان مسحهما كفارة

للخطايا ) • قال في جمع الفوائد رواه الترمذى بلفظه ( ٤٧٨/١ ) قلت : وقد رواه الترمذى في أواخر كتاب الحج وقال : هذا حديث حسن اه •

ورواه أحمد في المسند بلفظ ان استلامهما يحط الخطايا ( ٢٤/١٢) •

وقال المنذرى رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد وكذا ابن خزيمه في صحيحه بلفظ مسحهما يحط الخطايا اه ( الترغيب ٣١٤/٢ ) •

وروى الأزرقي في أخبار مكة عن جده قال : حدثنى سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال أخبرنى عمر بن حمزة بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يمر بالركن اليماني الا وعنده ملك يقول يا محمد : استلم ( ٣٣٨/١ ) •

قلت : سعيد هذا صدوق وعثمان ضعيف وعمر ضعيف والسند معضل فالحديث سنده ضعيف •

وروى الأزرقي عن جده قال : حدثني سعيد عن عثمان بن ساج عن زهير بن محمد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين عن مجاهد قال : من وضع يده على الركن اليماني ثم دعا استجيب له قال : قلت له : قم بنا يا أبا الحجاج فلنفعل ذلك ففعلنا ذلك •

قلت : هذا أثر موقوف على مجاهد وسنده ضعيف فيه عثمان وزهير وفيهما مقال •

وأبو الحجاج هو مجاهد وهو ابن جبر الامام التابعي المعروف بالفضل والعلم والعدالة •

قلت : وله متابع رواه الأزرقي بسنده الى عثمان بن ساج عن عثمان بن الأسود عن عبد الله بن عبد الرحمن عن مجاهد •

وعثمان هذا ثقة والسند رجاله ثقات الا عثمان بن ساج فهو متكلم فيه •

وبهذا السند قال مجاهد : وبلغني أن بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين الف ملك لايفارقونه هم هنالك منذ خلق الله سبحانه البيت •

قلت : وهذا أثر موقوف على مجاهد وسنده تقدم أنه ضعيف ــ ولكنه يشهده له الأثر السابق الموقوف على ابن عباس رضي الله عنه •

ومن فضائل الركن اليماني ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وكل به سبعون ملكا يعني الركن اليماني فمن قال : اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا : آمين ( رواه ابن ماجـه في السنن ٢/٩٨٥ ) •

قلت : وفي سنده حميد بن أبي ســويد المكي وهو مجهول ( كذا في التقريب ١/٢٠٢ ) •

وقال ابن حجر في التهذيب في ترجمة حميد هذا ــ ذكره ابن عدي وقال: حدث عنه ابن عياش بأحاديث عن عطاء غير محفوظات منها حديث فضل الدعاء عند الركن ٣/٤٣ ٠

وذكر السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه أنه في الزوائد وقال : وهذا يدل على أن الحديث من الزوائد الا انه ما تكلم على اسناده وذكر الدميري ما يدل على أنه حديث غير محفوظ انتهى كلام السندي ٠

قلت : لكن قال المنذري حسنه بعض مشائخنا ( كذافي الترغيب ٢/٣١٥)٠

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب على الركن اليماني موكلان يؤمنان على دعاء من يمر بهما وان على الأسود مالا يحصى ــ ( رواه الأزرقي ٣٤١ ) ــ

قلت : وسنده جيد ــ

وقال مجاهد : ملك موكل بالركن اليماني منذ خلق الله السموات والأرض يقول : آمين ــ فيقولوا : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ــ (رواه الأزرقي ٣٤١) ٠

قلت : وفي سنده عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ــ وهو ضعيف ( كذا في التقريب ١/٤٥٠ ) وبقية رجاله ثقات ٠ وقال ابن عباس : بين الركنين

حوض عليه سبعون الف ملك يؤمنون لمن دعا فان نسي قالوا : اللهم اغفر له ـ رواه عبد الرزاق بسنده في مصنفه ٥/٤٧ •

قلت : وفي سنده ياسين بن معاذ الزيات وهو ضعيف متكلم فيه •

فهذا أثر موقوف ضعيف •

وهذه الأحاديث والأثار ـ ما بين صحيح وضعيف ـ ليس فيها بحمد الله موضوع ولا مكذوب • وهي تدل على فضل الركن اليماني وشرفه •

وقد يظهر التعارض بينها إذْ في بعضها أن الله وكل بالركن ملكا • وفي رواية ملكين • وفي رواية سبعين ملكا ـ وفي رواية سبعين ألف ملك •

وقد أشار كثير من أهل العلماء الى طريقة الجمع بينها ومنهم : العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقي في كتابه المخطوط « مثير سوق الأنام الى حج بيت الله الحرام » •

وحاصل كلامه أن حديث الملكين عام لكل دعاء وحديث السبعين خاص بمن دعا بقوله: اللهم اني أسألك العفو والعافية الخ •

وحديث الملك خاص بمن يقول : ربنا آتنا الخ •

ومن فضائل الركن اليماني أنه يشهد لمن استلمه يوم القيامة ـ وهذه المزية ليست مشهورة ـ لأن المشهور أن ذلك للحجر الأسود ـ لكني رأيت

ذلك ثابتا في بعض الروايات وهي : ما رواه ابن عباس : « يبعث الله الحجر الأسود والركن اليماني يوم القيامة ولهما عينان ولسانان وشفتان يشهدان لمن استلمهما بالوفاء ـ قـــال المنذري رواه الطبراني في الكبير اهـ ( ترغيب ٢ / ٣١٧ ) •

وقال الهيتمي : فيه رجلان لاأعرفهما ( مجمع الزوائد ٣/٢٤٢ ) وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لســانان وشفتان قال المنذري : رواه أحمد باسناد حسن • والطبراني في الأوسط • ( ترغيب ٢/٣١٧ ) •

ونقل ابن ظهيرة عن الشعبي أنه قال : رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة أنــا وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم ليقم رجل رجل فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله تعالى حاجته فانه يعطي من سعة ، ثم قالــوا لعبد الله قم أولاً فانك أول مولود في الهجرة فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم أسألــك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم أن لاتميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة وجاء وجلس •ثم قــال أخوه مصعب فأخذ الركن اليماني فقال : اللهم انك رب كل شيء واليك كل شــيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لاتميتني من الدنيـــا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين وجاء وجلس • ثم قام عبــد الملك بن مروان

فأخذ بالركن اليماني وقال : اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لاتميتني حتى تولينى شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد الا أتيت برأسه ثم جاء وجلس .

ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال : اللهم يارحمن يارحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لاتميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة قال الشعبي فرأيت كل واحد وقد أعطى ما سأل وبشر عبد الله بالجنة .

قال ابن ظهيرة : ولقائل أن يقول : ما الدليل على وجه البشرى ؟ .

والجواب من وجهين :

الاول : ان ابن عمر كان قد كف بصره بعد ذلك وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم « من ابتلى بذلك بالجنة » ـ كما في صحيح البخاري .

والثاني : أن الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل على اجابة دعاء الجميع اذ هو اللائق بكرم الله وسعة عطائه . وكان سيدنا ابن عمر من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التي لاتجهل كما في مناقبه ( كذا في الجامع اللطيف ٤٢ ) .

## الملتــزم وفضـــله

الملتزم هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة . كما ثبت ذلك عن ابن عباس . ويقال له : المدعا والمتعوذ ( أزرقي ١ / ٣٤٧ وشفاء الغرام ١/١٩٦ والجامع اللطيف ٤٣ ) وسمي بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده .

وفضله عظيم ولذلك ثبت أنه من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم قال عبد الرحمن بن صفوان لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قلت ، لألبسن ثيابي ، وكانت داري على الطريق ولأنظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة هو وأصحابه قد استلموا البيت من الباب الى الحطيم وقد وضعوا خدودهم على الباب ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم رواه أبو داود وقال المنذري : في اسناده يزيد بن ابي زياد ولا يحتج به ، وذكر الدارقطني · أن يزيد هذا تفرد به عن مجاهد ٢/٣٨٥ السنن وفي رواية عند أحمد : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتزما الباب ما بين الحجر والباب ، ورأيت الناس ملتزمين البيت معه صلى الله عليه وسلم ( كذا في بذل المجهود ٩/١٦٥ ) .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وقد التزم البيت بين الباب والحجر • هذا والله المكان الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم التزمه رواه ابن ماجه • وفي رواية ابي داود : أن عبد الله طاف ثم استلم الحجر وأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ( كذا في السنن لأبي داود ) •

وكان ابن عمر يلزق صدره ووجهه بالملتزم •

فالملتزم هو ما بين الباب والركن ، وأما قول عبد الرحمن بن صفوان أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه استلموا البيت من البيت الى الحطيم • فيجاب عنه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلتزم الا الملتزم • وأما أصحابه فلكثرتهم لم يروا موضعا في الملتزم يسعهم جميعا فوقف فيه بعضهم والتزم غالبهم ما بقي من الجدار حتى الحطيم • والملتزم باب من أبواب الدعاء وموطن مجرب من مواطن الاستجابة اذا صدقت النية وصح القصد •

وقد أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ما دعا الله فيه عبد دعوة الا استجابها وهذا الحديث هو الحديث المسلسل باجابة الدعاء في الملتزم • وقد رويناه بحمد الله مسلسلا من طرق متعددة منها عن سيدنا الامام الوالد السيد علوي المالكي رحمه الله قال: أخبرنا شيخنا الشيخ عمر حمدان قال : أخبرنا العلامة السيد أحمد بن اسماعيل

البرزنجي والسيد علي بن ظاهر الوتري والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي قالوا : أخبرنا الشيخ عبد الغني الدهلوي قال : أخبرنا محمد عابد السندي قال : أخبرنا الشيخ محمد حسين الأنصاري قال : أخبرنا محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله المغربي قال : أخبرنا عبد الله بن سالم البصري قال : أخبرنا الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي قال : أخبرنا الشهاب أحمدبن خليل السبكي قال : أخبرنا النجم محمد بن أحمد بن علي الغيطي قال : أخبرنا القاضي زكرياء الأنصاري قال : أخبرنا الحافظ ابن حجر العسقلاني قال : أخبرنا شرف الدين أبو بكر بن عز الدين عبد العزيز بن جماعة قال : اخبرنا يحيى بن فضل الله اليعمري قال : أخبرنا مكي بن علان قال : أخبرنا أبو طاهر السلفي قال : سمعت أبا الفتح ايزديار بن مسعود الغزنوي يقول : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان يقول : سمعت أبا القاسم عبيد اللهبن محمد بن خلف البزاز بمصر يقول : سمعت محمد بن راشد الأنصاري يقول سمعت أبا بكر محمد بن ادريس المكي وهو وراق الحميدي يقول : سمعت عبد الله بن الزبير الحميدي يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت عمرو بن دينار يقول : سمعت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول :سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ما دعا الله فيه عبد دعوة الا استجابها ، قال ابن عباس فوالله ما دعوت الله عز وجل منذ سمعت هذا الحديث الا استجاب لي وقال عمرو أنا والله ما أهمني أمر فدعوت اللهعزّوجل فيه الا اجابني منذ سمعت هذا الحديث من ابن عباس قال سفيان كذلك أنا وقال : الحميدي وأنا كذلك وهكذا قال كل واحد منالرواة

الى أن وصل الى سيدنا الوالد رحمه الله قال : وأنا دعوت بحمد الله في الملتزم بأمور كثيرة وظهرت اجابتها •

قلت : وأنا بحمد الله دعوت الله في الملتزم بأمور كثيرة دنيوية وأخروية فظهرت لي اجابتها في الدنيوية وأرجو ظهورها في الأخروية • وهذا الحديث أخرجه القاضي عياض في الشفا مسلسلا عن الحافظ أبي علي عن ابي العباس الهروي عن أبي أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي عن الحسن بن محمد بن الحسن بن راشد بسنده المذكور ولفظ حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له وقال : كل راو وأنا مادعوت الله بشيء منذ سمعته الا استجيب لي •

قال ابن الطيب وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من وجه آخر مسلسلا وقال الحافظ أبو بكر ابن مسدي هذا حديث حسن غريب من حديث عمرو بن دينار عن ابي عباس تفرد به مسلسلا محمد بن ادريس المكي كاتب الحميدي عنه وقد روى من حديث أبي الزبير عن ابن عباس موقوفا كما أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما وهو شاهد قوي ومثله لايكون رأيا فهو في حكم المرفوع •

ومما جاء في فضل الملتزم ما رواه الأزرقي بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت حين نزل ثم صلى أمام باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال : اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي

وما عندي فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي • اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني الاما كتبت لي والرضا بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه : يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكففت عنه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لايريدها قال : فمنذ طاف آدم كانت سنة طواف •

قلت : وهذا الخبر سنده جيد الا أنه موقوف على عبدالله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم ولكن رواه الأزرقي من طريق آخر مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه حفص ابن سليمان وهو متروك •وبقية رجاله ثقات•

# فضل النظر الى البيت

من تتبع أنواع العبادات وفضلها يرى أن الله تعالى جعل من جنس كل عادة عند الانسان عبادة • ومن نوع كل مألوف مباح • سنة يثاب على فعلها ويجزى الجزاء الاوفى ففى مجرد النظر والرؤية نظر هو عبادة فاضلة يثاب عليها ذلك هو النظر الى البيت الحرام • روت عائشة رضي الله عنها مرفوعا : النظر الى الكعبة عبادة • رواه أبو الشيخ قال العزيزى في السراج المنير ٣/٤١٧ واسناده ضعيف وقد ورد في حديث ابن عباس : تقسيم الرحمات على أنواع العبادات المتعلقة بالبيت وخص النظر الى البيت منها بعشرين رحمة •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين الى البيت ، وفي رواية وأربعون للمصلين ، وفيها ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة عشرين ومائة رحمة أخرجهما أبو ذر والازرقى ( كذا في القرى ٢٩٠ ) •

قال السخاوى في المقاصد الحسنة رواه الطبرانى في معاجمه والازرقى وآخرون كالبيهقى والحارث في مسنده ولفظ بعضهم مائة رحمة فستون للطائفين وعشرون لاهل مكة ومثلها لسائر الناس ، وقال السخاوى وأمليت فيه بمكة جزءا فيه فوائد ، وحسنه العراقى اهـ •

قلت : وذكر المنذرى حديث ابن عباس هذا وقال رواه البيهقى باسناد حسن ( ترغيب ٢/٣١٥ ) وقد تكلم الحافظ الطبرى في كيفية قسمة هذه الرحمات على كل نوع وأفاض وأجاد وخلاصة ذلك كما ظهر لى هو أن تقسيم هذه الرحمات يتأول على وجهين :

الاول : قسمة الرحمات بينهم بالسوية على المسمى لا على قدر العمل قلة وكثرة ، فيحصل لكل طائف ستون رحمة ولكل ناظر عشرون رحمة ولكل مصل أربعون .

الثانى : قال وهو الاظهر قسمتها بينهم على قدر العمل في العدد والوصف فتكون الستون رحمة بين الطائفين كلهم والعشرون بين الناظرين كلهم والاربعون بين المصلين حتى يشترك الجم الغفير في رحمة واحدة من تلك الرحمات وينفرد الواحد برحمات كثيرة ، وذكر أمورا تؤيد استظهاره لهذا الوجه .

وقد ذكر في القرى ، كما تقدم للحديث روايتين « الاولى » ينزل على أهل هذا البيت . « والثانية » ينزل على أهل المسجد قال الحافظ الطبري : ولا تضاد بين الروايتين ، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى : ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ) ، ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الاظهر ويكون المراد بالتنزيل على البيت التنزيل على أهل المسجد ، ولهذا قسمت على أنواع العبادات الكائنة في المسجد .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم : ( النظر الى البيت الحرام عبادة ) أخرجه صاحب مثير الغرام كذا في القرى •

قلت : يشهد له حديث عائشة السابق •

قلت : وقد عبر كثير من السلف عن جملة من فضائل هذه العبادة كل بحسب تذوقه ومعرفته وشهوده ، وتدخل تحت باب التأويل لمن يستشكل في نظره شيئا من ذلك ان وقع في نفسه ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ( النظر الى الكعبة محض الايمان ) •

وعن مجاهد أنه قال : النظر الى الكعبة عبادة •

وعن سعيد بن المسيب قال : من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه •

وعن عطاء قال : النظر الى البيت يعدل عبادة سنة قيامها وركوعها وسجودها •

وعن ابن السائب المدنى قال : من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ، أخرجهما صاحب مثير الغرام •

وعنه قال : النظر الى البيت عبادة والناظر اليه بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله أخرج الاربعة الازرقى ، والمخبت الخاضع الخاشع المتواضع ( قرى ٣٠٥ ) •

## فضـــل دخول البيت واستحبابه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا .

قال المحب الطبرى ، أخرجه تمام الرازى وهو حديث حسن غريب مـــن حديث عطاء بن ابى رباح ( ٤٥٢ ) .

قال العراقي ورواه البيهقي وقال تفرد به عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف ( طرح التثريب ) ( ١٣٠ ) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخـــل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح الحديث اخـــرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

قلت ففى هذين الحديثين فضل البيت واستحباب ذلك اقتداء به عليـــه الصلاة والسلام قال العراقى وهذا متفق عليه ( طرح التثريب ) .

وأيضا تعرضا لهذا الثواب ورغبة في حصول هذا الخير الكثير والفضل الجزيـــل .

قال الشافعي واستحب دخول البيت ان كان لا يؤذى احدا بدخـــوله قال العـــراقى :

دخوله صلى الله عليه وسلم كان في الفتح كما هو في الصحيحين من حديث ابن عمر ولم يدخل الكعبة في عمرته كما في الصحيحين عن عبدالله بن أبى أوفي رضي الله عنهما ولم ينقل فيما أعلم دخوله في حجه ، ولعله تـرك الدخول في عمرته وحجته لئلا يتوهم كونه من المناسك وليس منها وانما هو سنة مستقلة كما تقدم وقال البيهقى دخوله كان في حجته وحديث ابن أبى أوفى في عمرته فلا معارضة بينها .

وما ذكره من أن دخوله في حجته مردود وانما كان في الفتح كما قدمته ، وقال النووى في شرح مسلم لا خلاف في أن دخوله كان يوم الفتح ولم يكن في حجة الوداع ثم قال بعد ذلك .

قال العلماء وسبب عدم دخوله أي في عمرته ما كان في البيت من الاصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها فلما فتح الله تعالى عليه مـكة دخل البيت وصلى فيه وازال الصور قبل دخوله .

( قلت ) لو كان المعنى ما ذكره لدخل في حجة الوداع فلعل المعنى الذى أبديته أوجه والله أعـلم .

ثم قال : قال والدى رحمه الله ( في احياء القلب الميت بدخول البيت ) وأما قبل الهجرة وهو بمكة ففى طبقات ابن سعد عن عثمان بن طلحة في أثناء قصة أنه عليه الصلاة والسلام دخلها على أنه في بعض الروايات أنه دخلها يوم الفتح مرتين رواه الدار قطنى عن ابن عمر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم

البيت ثم خرج وبلال خلفه فقلت لبلال هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فلما كان من الغد دخل ، الحديث انتهى من ( طرح التثريب ٥/١٣١ ) .

قلت قال الشيخ محمد عابد مفتى المالكية رحمه الله :

ومن المستحبات دخول البيت ولو ليلا ، قال الامير في مناسكه لكن رأينا من الزحمة ما ربما أوجب الحرمة فمن عجز عن ذلك فليدخل الحجر ويتنفل فيه فانه منه انتهى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضي الله عنها صلى في الحجر ان أردت دخول البيت فادخلى الحجر فانما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت كذا في الصاوى ا ه من توضيح المناسك ( ١١٠ ) .

قلت وقد كره بعض أهل العلم دخول البيت واستدل بحديث عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين طيب النفس ، ثم رجع الي وهو حزين فقلت له فقال دخلت الكعبة وودت أني لم أكن فعلت ، اني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي أخرجه أحمد والترمذي وصححه وأبو داود .

قال المحب الطبرى ولا دلالة فيه بل تقول دخوله صلى الله عليه وسلم

دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله بالمشقة على أمته وذلك لا يرفع حـكم الاستحباب •

قال الفاسي في شفاء الغرام وقد اتفق الأئمة الاربعة على استحباب دخول البيت واستحسن مالك كثرة دخوله • انتهى • وقد سئل عن دخول البيت كلما قدر عليه فقال ذلك واسع حسن كذا في مناسك ابن الحاج •

وقد ذكر الفاسي بسنده عن الحسن البصرى في رسالته المشهورة قـال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عـز وجل وفي حمى الله تعالى وفي أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له اهـ•

وروى الفاكهى عن مجاهد عن ابن عمر في دخـول البيت : دخـول في حسنة وخروج من سيئة وخرج مغفورا له •

وروى هذا الاثر أيضا بسند آخر عن مجاهد موقوفا عليه بل ان بعض الصحابة والتابعين استحسن كثرة الدخول والتردد على الكعبة •

فروى الأزرقى عن جده عن مسلم بن خالد الزنجى أحد فقهاء مكة قال :

رأيت صدقة بن يسار يدخل البيت كلما فتح فقلت له ما أكثر دخـولك البيت يا أبا عبدالله قال : والله انى لاجد في نفسي أن اراه مفتوحا ثم لا أصلى فيـه •

وروى الازرقى عن جده عن مسلم بن خالد الزنجى عن موسى بن عقبة

قال : طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما • أحد الفقهاء السبعة خمسة أسابيع كلما طفنا سبعا دخلنا الكعبة فصلينا فيها ركعتين •

وروى الازرقي عن جده عن داود بن عبد الرحمن العطار عن ابن جريج عن نافع ـ مولى ابن عمر ـ قال كان ابن عمر اذا قدم مكة حاجا أو معتمرا فوجد البيت مفتوحا لم يبدأ بشيء اول من أن يدخله •

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه بعد دخول الكعبة:

أبعد دخول البيت والله ضامن ... بنفي قبيح والخطايا الكوامن
فخاشاه كلا بل يسامح كلها ... ويرجع كل وهو جذلان آمن

ويتعلق بهذا المبحث فائدة مهمة هي آداب دخول الكعبة • قال في القرى ( ٤٥٩ ) •

وينبغي لداخل الكعبة ان يلزم نفسه الأدب فلا يطلق بصره في أرجاء البيت فذلك قد يولد الغفلة واللهو عند القصد ، ولايكلم أحدا الا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ويلزم قلبه الخشوع والخضوع ، وعينه الدموع ان استطاع ذلك والا حاول صدهما •

عن عائشة انها قالت : واعجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف ، لايدع ذلك اجلالا لله تعالى وإعظاماً له دخل رسول الله

صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها أخرجه ابو ذر وابن الصلاح في منسكيهما •

وعن داود بن عبد الرحمن : قال أوصاني عبد الكريم بن ابي المخارق الا أخرج من منزلي يوم الجمعة حتى أصلي ركعتين والا أدخل الكعبة حتى أغتسل • أخرجه الازرقي •

وعن سعيد بن جبير • أنـــه كان اذا أراد دخول البيت أو الحجر نزع نعليـــــــه •

وعن عطاء وطاووس ومجاهد أنهم كانوا يقولون لايدخل أحد الكعبة في خف ولا نعل أخرجهما سعيد بن منصور ـ

ومما ينبغي ملاحظته أن يحرص من دخل الكعبة على أن يفعل كما فعل صلى الله عليه وسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة اشتغل بالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله عز وجـل والدعـاء والاستغفار للاحاديث المشهورة التي وردت في ذلك •

ففي رواية أنه لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها اخرج ذلك الشيخان

وفي رواية النسائي سبح وكبر •

وفي رواية له أيضا جلس فحمد الله وأثنى عليه واستغفره ثم قـام حتى

أتى ما استقبل من دبر البيت فوضع وجهه وخـده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم انصرف الى كل ركن مـن أركان الكعبة • فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله والمسـألة والاستغفار ثم خرج كذا رواه النسائي بسنده الى اسامة بن زيد • وأخرج نحوه أحمد •

وفي رواية الشيخين أنه دخل البيت وكان فيه ست سواري فقام عند كل سارية يدعو •

وهذه الأمور التي فعلها صلى الله عليه وسلم مما تقدم ذكره لاخلاف بين أحد من أهل العلم في استحباب فعلها •

وقد اختلف العلماء في مسألتين لاختلافهم في صحة ثبوت فعله صلى الله عليه وسلم لهما .

الاولى الصاق البطن والظهر بجدارها وأساطينها وقد ورد أنه فعلها صلى الله عليه وسلم . فروى الفاسي بسنده من طريق ابن نافع في معجمه الى شيبة بن عثمان وفيه قال شيبة انه صلى الله عليه وسلم صلى بين العمودين ركعتين ثم الصق بها بطنه وظهره . قال الفاسي وقد اشار شيخنا الحافظ العراقي الى استحباب هذا الفعل في الكعبة ويدل لذلك ما رويناه في مسند الشافعي عن عروة بن الزبير انه كان اذا طاف بالبيت استلم الاركان كلها والصق بطنه وظهره وجنبه بالبيت اهـ ثم قال الفاسي :

ورأيت لغير واحد من العلماء ما يقتضي عدم استحباب ذلك .

قلت وكلام الفاسي يدل على أن ما رآه ليس فيه التصريح بالنهي عـن ذلك وانما رأى من الاقوال ما يستفاد منه ذلك فقط .

الثانية السجود عند الدخول وهي التي سماها بعضهم سـجدة الشكر وقد اختلف العلماء في استحبابها لكن جاء في الحديث انـهصلى الله عليـه وسلم فعلهـا .

فقد روى الفضل بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم . حين دخلها خر بين العمودين ساجدا ثم قعد فدعا ولم يصل رواه الطبراني في الكبيروفيه ابن اسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس كذا قال الهيثمي (١)

وذلك لأنه أورد كلام من نهى عن أن يسندظهره الى البيت وكلام مالك أنه كره أن يعتنق الانسان شيئا من أساطين الكعبة .

وكل هذا ليس فيه التصريح بالنهي عن الصاق البطن والظهر بالبيت اذ يمكن فعل هذه الصورة دون اعتناق اساطين البيت أو اسناد الظهر والاتكاء عـلى البيت .

وهذا الحديث وان كان ضعيفا لأن فيه عبد الرحمن بن الزجاج قـال الهيثمي (٢) ولم أجد من ترجمه . الا أنه تثبت الفضائل بأمثاله .

هذا ما عندي والله أعلم .

---

١ ـ مجمع الزوائد ٣/٢٩٤ .
٢ ـ مجمع الزوائد ٣/٢٩٥ .

# خصـائص البيت الحـرام

للبيت الحرام خصائص وأحكام ، سنذكر أهمها وأشهرها في هذا المبحث فمنها : تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغـائط في الصحـراء والبنيان عند كثير من العلماء بخلاف التشريق والتغريب ، وعند الشافعى : في الصحراء لا في البنيان . وهذا لا يختص بالحرم ، بل يعم كل مكان . واختلف العلماء في عـلة النهى .

فقيل : انه احترام الكعبـة وتعظيمها ، وقـد روى في حديث سـراقة مرفوعا : ( اذا أتى أحدكم البراز ـ البراز : بفتح الباء الموحدة اسم للفضاء الواسع من الارض ويكنى به عن الحاجة ـ فليكرم قبلة الله ولا يستقبل القبلة ) وهذا هو الذي قاله جمهور العلماء وقيل غير ذلك ، ولكنه لا يسلم من انتقاد . وما ذكرناه هو الصواب ان شاء الله لظاهر الحديث .

ومنها أنه يجوز ستر الكعبة بالحرير ، لأن ذلك محرم على الرجال فقط ، وقال الغزالى في فتاويه : ولا بأس بتحلية المصحف بالذهب وتزيين الكعبـة وأما غيرها فلا اه قلت وذلك لما روى مسلم من حديث عائشة ( ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة واللبن ) .

وفي سنن البيهقى من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ( لا تستروا

الجدار بالثياب ) وفيه باسناد منقطع ( أنه عليه الصلاة والسلام نهى أن تستر الجـــدر ) •

قال البيهقى : روينا في الكراهة عن عثمان ، ويشبه أن يكون ذلك لما فيه من الســـرف •

وقال الغزالى في الاحياء : تزيين الحيطان لا ينتهى الى التحـــريم ، اذ الحرير محرم على الرجال ، وما على الحيطان منسوب الى الذكور ، ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة ، بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى : ( قل من حرم زينة الله ) ، لاسيما في وقت الزينة اذا لم يتخذه عادة للتفاخر •

ومنها أنه يستحب تطييب الكعبة • قالت عائشة لأن أطيب الكعبة أحب الى من أن أهدى لها ذهبا أو فضة • وقالت : طيبوا البيت ، فـــان ذلك من تطهيره تعنى قوله : ( وطهر بيتى ) وخلق ابن الزبير جوف الكعبة أجمع •

فمن خصائص الكعبة أن الله تعالى حفظها من كيد الكائدين وتخريب المخربين وذلك باهلاكهم وتدميرهم كما حصل لاصحاب الفيل فقـــد روى أن أبرهة الاشرم ملك اليمن ( وكان تابعا لملك الحبشة ) بنى كنيسة بصنعاء، وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحجاج بأن يتركوا مكة ويحجوا الى صنعاء فخرج رجل من العرب من كنانة لما بلغه ذلك فقعد فيها ليلا وتغـــوط وهرب فلما رأى ملك اليمن ذلك حلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيش جـرار من اليمن ومن الحبشة ومعه فيل وكان فيلا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلمـــا

بلغ وادي محسر الواقع بين مزدلفة ومنى ولم يبق بينه وبين مكة الا مسافة عشر كيلومترات عبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا اذا وجّهوه الى جهة الحرم وقف مكانه ولزم موضعه ولم يتحرك منه مهما قتلوه وساقوه فاذا وجهوه الى جهة اليمن أو الى غيره من الجهات هرول ومشى مسرعا فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل سوداء مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره ومكتوب على كل حجر اسم من يقع الحجر عليه فعندها هلكوا كلهم وماتوا في السهل والوعر وأما ملكهم أبرهة فتساقطت أنامله وأطرافه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره هاربا حتى وصل الى النجاشي ملك الحبشة وطائر من هذه الطيور محلق فوقه وفي منقاره الحجر فقص عليه القصة وهى هلاك الجيش كله من اوله لآخره فلما أتم حديثه مع النجاشي وقع الحجر عليه فخر ميتا بين يدي الملك وان أهل مكة احتووا على أموال الحبشة الكثيرة من دواب وأسلحة وأموال وعتاد ونقود وان عبدالمطلب جمع من أموالهم وذهبهم ما كان سبب غناه •

وجاء في أخبار من أراد الكعبة بسوء أخبار وأحاديث منها ما روى عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليخسفن بقوم يؤمون البيت ببيداء من الارض •• ومنها ما روى عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرتين ••

ومنها ان امرأة في الجاهلية أتت الكعبة تتعوذ من زوجها فمد رجل يده اليهـا بسوء فيبست . قال الراوى هو حويطب فقد رأيته في الاسلام أشل لانه لم يحترم الكعبة .. ومنها بينما رجل يطوف في الكعبة اذ برق له ساعد امـرأة جميلة فوضع ساعده على ساعدها متلذذا به فلصقت ساعداهما فأتيا بعض العلماء العارفين فسألاه الدعاء لهما فسألهما عن قضيتهما فأخبراه بها فقـال لهما ارجعا الى المكان الذى فعلتما فيه هذه المعصية فتوبا وعاهدا رب البيت أن لا تعودا لذلك ففعلا فخلى الله عنهما .

ويقرب من خبر أبرهة هذا خبر تبع ملك اليمن واسمه أسعد ، وقد كان في بلاد الشرق ثم عاد الى بلاده وكان طريقه على المدينة المنورة ومكة فوصل المدينة المنورة ودخلها ثم سار منها بجيشه الجرار الى مكة فلما كان بين المدينة ومكة لقيه جماعة من قبيلة هذيل فحسنوا له تخريب الكعبة وان يبنى بدلها كعبة عنده في اليمن تحج الناس اليها فيكثر وروده وتعلو كلمته ويعظم قدره وتعمر بلاده فعزم على ذلك فلما نوى ذلك وصمم عليه دقت بهم دوابهم أي لم تمش نحو مكة وغشيتهم ظلمة شـديدة وريح عاصف وابتلى بأمراض وأوجاع فسالت عيناه على خده ورمي بداء برأسه صار يجري منـه القيـح والصديد كثيرا وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه فدعا أحبارا كانـوا معه والاطباء فسألهم عما حصل معه من الامراض والاوجاع فجأة فهالهم مـا رأوا من أمراضه وبشاعة منظره وتنته كأنه جيفة حمار من شدة تتنه ورائحته الكريهة فقالوا له : هممت لهذا البيت بسوء فقال : نعم وأخبرهم بما قال له

الهذليون من تخريب الكعبة وأنه اراد تخريبها ونقلها لبلاده فقالوا له : ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك جيشك ومن معك هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء الا أهلكه الله تعالى قال لهم : فما الحيلة قالوا تنوى خيرا له ـ أن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن الى أهله ففعل فانجلت عنهم الظلمة وسكت عنهم الريح وانطلقت بهم دوابهم ورجعت عيناه فارتد بصيرا وشفي رأسه وتاب الى الله تعالى مما نواه وصرف جيشه الى اليمن وأقام بمكة أياما ينحر كل يوم مائة بدنة يطعمها أهل مكة وما حولها وكسا البيت وكانت هذه الحادثة التاريخية قبل الاسلام بسبعمائة سنة ولا يبعد ذلك فان الله تعالى حمى بيته من الجبابرة ولذلك سمى البيت العتيق لأنه ما اراده جبار بسوء الا أهلكه الله تعالى كما أهلك أصحاب الفيل لان الله تعالى قال : ( ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ) .

وتنسب الى تبع هذه الابيات التى يتحدث فيها عن كسوته للكعبة المشرفة وأنه وضع لها بابا محكما يفتح ويقفل وأنه أقام عشرة أشهر .

قد كسونا البيت الذى حرم الله ... ملاءا معصبا وبرودا

وأقمنا من الاهلة عشرا ... وجعلنا لبابه اقليدا

وفرحنا منه نؤم سهيلا ... ورفعنا لواءنا معقودا

**ومن خصائص الكعبة :**

أن من رأى الكعبة في المنام فهى رؤيا حق كما روى الطبرانى في معجمه من غير طريق عبدالرزاق ، أنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآنى في منامه فقد رآنى ، فان الشيطان لا يتمثل بى ، ولا بالكعبة •

وقال تفرد به عن عبدالرزاق محمد بن أبى السرى العسقلانى قال : وهذه اللفظة ، ولا الكعبة ، لا تحفظ الا فى هذا الحديث .

ومنها أنه جاء أن الكعبة هى البيت المعمور ، والمراد أنه معمور بمن يطوف به ، وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة ويقول : واحد بيت ربى ، ما أحسنه ، وأجمله ، هذا والله البيت المعمور • وقيل : ان البيت المعمور هو البيت الذى بناه آدم أول ما نزل الى الارض فرفع الى السماء أيام الطوفان يدخله كل يوم سبعون ألف ملك •

والملائكة تسميه الضراح بالضاد المعجمة لانه ضرح عن الارض الى السماء ، أي بعد عنها •

وقال أبو الطفيل : سمعت عليا ـ وسئل عن البيت المعمور فقال : ذلك الضراح ، بيت بحيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم القيامة •

وقيل : البيت المعمور في السماء الدنيا ، وقيل : في الرابعة . وقيل : في السادسة ، وقيل : في السابعة ، وقيل : غير ذلك .

قال أبو نعيم الحافظ في مستخرجه على صحيح البخارى : حدثنا عمرو ابن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا هدبة ثنا همام بن يحيى عن قتادة ثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون اليه .

ومن خصائص البيت المعظم ما ذكره ابن هشام في سيرته ، وهو أن الماء لم يصل الى البيت المعظم حين الطوفان ، ولكنه قام حولها وبقيت هى في هواء السماء ، وأن نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى بنو حام فدعا نوح أن يسود لون بنيه ، وقيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا .

ومن خصائص البيت المعظم ما جاء في الحديث من أن الكعبة تحشر كالعروس المزفقة ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة واقد ذكر الغزالى في الاحياء : هذا الحديث في باب فضيلة البيت ومكة المشرفة من كتاب أسرار الحج ولفظه : ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عزَّ وجل من الملائكة ، وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

قال الحافظ العراقي في تخريجه على الاحياء : لم أجد له أصلا ٣:٥٦ •

ومنها أنها منذ خلقت ما خلت من طائف يطوف بها من جن أو انس أو ملك ، وعن بعض السلف أنه خرج في يوم شديد الحـر فرأى حية تطـوف وحدها ، ذكره ابن الصلاح •

وقد لخص العلامة الفاسي ما أخرجه الأزرقي في طواف الجن والحية والطير فقال : روينا في تاريخ الأزرقي خبرا فيه أن بعض الجن طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ، ثم انقلب الى أهله فقتله شاب من بني سهم فثارت بمكة غيرة وفتنة بين الجن وبين بني سهم •

وروينا في تاريخ الأزرقي خبرا فيه : أن أيما ـ وهو الحية الـذكر ـ طاف بالبيت سبعا ، وصلى ركعتين وراء المقام ثم كوم برأسه كومة بطحـاء فوضع ذنبه عليها فسما الى السماء •

وروينا في تاريخ الأزرقي : أن طيرا طاف على منكب بعض الحجـاج أسابيع والناس ينظرون اليه وهو مستأنس بهم ثم طار وخرج من المسجـد الحرام وذلك السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين •

# فضـــل الطـواف بالبيت

عن ابن عمر رضي اللهعنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة ، وسمعته يقول : لايرفع قدما ولا يضع أخرى الا حط الله بها عنه خطيئة وكتبت له بها حسنة .. أخرجه الترمذي بهذا اللفظ وقال : حديث حسن .. وأخرجه بتغيير بعض اللفظ وتقديم وتأخير ، وخرج أبو حاتم من قوله : لا يرفع قدما الى آخره . وزاد : ورفع له بها درجة .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة .. أخرجه ابن حبان واخرجه ابو سعيد الجندي وقال : كعتق رقبة نفيسة من الرقاب واخرجه النسائي وقال : من طاف سبعا فهو كعتق رقبة وأخرجه الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام وقال : وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدل محرر .

وعنه رضي الله عنه : كان أحب الاعمال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم مكة الطواف بالبيت . أخرجه أبو ذر . ولعله أراد بهذا ألا يعرج على بشيء قبله .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء

زمزم غفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت . أخرجه أبو سعيد الجندي . وأخرجه الامام الواحدى مسندا في تفسيره الوسيط وهو حديث غريب من حديث أبى معشر عن محمد بن المنكدر عن جابر وعن مولى لابى سعيد قال :

رأيت أباسعيد يطوف بالبيت وهو متكيء على غلام له يقال له طهمان وهو يقول : لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرا وأصلي ركعتين أحب الي من أن أعتق طهمان ) أخرجه سعيد بن منصور .

ومعنى « هجرا » أي فحشا .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة فاذا دخله غمرته ثم لايرفع قدما ولا يضعها الا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط منه خمسمائة سيئة ـ أو قال : خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عشر رقاب من ولد اسماعيل واستقبله ملك على الركن وقال له : استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى وشفع في سبعين من أهل بيته .

وعنه عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أنه قال :

من توضأ فأسبغ الوضوء ثم أتى الركن ليستلمه خاض في الرحمة فاذا

استلمه قال : بسم الله والله أكبر أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك لـه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله غمرته الرحمة فاذا طاف بالبيت كتب الله لـه بكل قدم سبعين ألف حسنة وحط عنه سبعين الف سيئة ورفع له سبعين الف درجة وشفع في سبعين الفا من أهل بيته . فاذا أتى مقام ابراهيم عليه السلام فصلى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له عتق أربعة عشر محررا من ولـد اسماعيل وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . وفي رواية . وأتاه ملك فقال له: اعمل لما يبقى فقد كفيت ما مضى .

هكذا وقفه عمرو على جده ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الأربعة الأزرقي . وتابعه أبو الفرج على الثالث والرابع وسعيد بن منصور على الرابع .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يباهي بالطائفين ملائكته ؟ أخرجه أبو ذر وابو الفرج في مثير الغرام .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمـه ) أخرجه الترمذي وقـال :

حديث غريب . وقال البخاري : انما يروي هذا عن ابن عباس والمراد والله أعلم خمسون سبوعا . يدل عليه ما روي عن سعيد بن جبير قال : من حج البيت فطاف خمسين سبوعا قبل ان يرجع كان كما ولدته أمـه ) اخرجه

سعيد بن منصور وكذلك روي عن ابن عباس . ومثل هذا لايكون الا توقيفا والله اعلم .

وقد جاء الحديث من طريق آخر : خمسين سبوعا مكان مرة أخبرنا به الشيخ المعمر أبو الحسن علي بن أبي عبدالله ابن المقير اذنا ان لم يكن سماعا قال : أنبأنا الحافظ أبو العلاء الحسن الهمداني العطار عن محمود بن اسماعيل عن ابن فاذشاه عن الطبراني قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا يحيى بن يمان عن شريك عن أبي اسحاق عن عبد الله ابن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طاف بالبيت خمسين سبوعا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ) وقد أخرجه الامام عبد الرزاق بن همام عن شريك بهذا الاسناد وقال : خمسين سبوعا وهذا مفسر للحديث الأول وبيان لارادة الأسبوع بالمرة فيكون ردا لقول من قال : المراد بالمرة الشوط .

قال أهل العلم : وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آن واحد وانما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ولو في عمره كله .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومئة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين الى البيت ) وفي رواية : قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين

ومئة رحمة .. الحديث وقال فيه : وأربعون للمصلين ولم يقـــل للعاكفين . أخرجهما أبو ذر والأزرقي .

وعنه قال : كان آدم يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار ويقول : يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله عز وجـل : اني معمره نبيا من ذريتك اسمه ابراهيم أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه .

وعن محمد بن فضيل قال : رأيت ابن طارق في الطواف وقد انفرج له أهل الطواف فحرّروا أطوافه في ذلك الزمان فاذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ . أخرجهما ابو الفرج في مثير الغرام .

وعن عمرو بن دينار المكي قال : ان الله تعالى اذا أراد أن يبعث ملكا في بعض أموره الى الارض استأذنه ذلك الملك في الطواف ببيته الحرام فينهبط مهلا . أخرجه الأزرقي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع في الثالثة ) أخرجه ابن حبان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال : أكثروا من زيارة هذا البيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه . وأكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع . قالوا: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال ؟ قال : يسرى عليها ليـــلا

فتصبح صفرا أو قفرا حتى ينسوا لا اله الا الله • فيقولون : قد كنا نقول قولا وتتكلم به ويرجعون الى شعار الجاهلية وكلامهم • أخرجه الأزرقي •

ومعنى « صفرا » أي خلوا •

وعن علي رضي الله عنه قال : استكثروا بالطواف بالبيت قبل أن يحال بينكم وبينه • فكأني أنظر الى رجل من الحبشة أصمع أصلع خمش الساقين جالسا عليه وهو يهدم ) أخرجه سعيد بن منصور •

ومعنى « الأصمع » الصغير الأذن من الناس •

والأصلع : الذي انحسر الشعر عن رأسه •

وخمش الساقين : دقيقهما •

# فضـــل الدعاء تحت الميزاب وفي الطواف

أول من وضع ميزاباً للكعبة قريش حين بنتها سنة ٣٥ من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانت قبل ذلك بلا سقف . ثم لما بناها عبد الله بـــن الزبير رضي الله عنهما وضع لها ميزابا وجعل مصبه على حجر اسماعيل كمـــا فعلت قريش . وهكذا فعل أيضا الحجاج .

وقد وقع تغيير وتبديل في ميزاب الكعبة لسببين : أحدهما : أنه كان اذا اعتراه خراب عمل غيره .

والثاني : كان بعض الملوك أو الأغنياء من عظماء المسلمين يهدي للكعبة ميزابا فيركب في الكعبة وينزع الذي قبله مع التفنن في صنعه واتقانه وتحليته بالذهب والفضـــة .

وقد عمل السلطان عبد المجيد خان ميزابا صنع بالقسطنطنية سنة ١٢٧٦ وركب في نفس السنة وهو مصفح بالذهب نحو خمسين رطلا (١) .

قلت : وهو آ خر ميزاب ، وهو الموجود الآن بالكعبة المشرفة وقد جاء في فضل الدعاء تحت الميزاب آثار عن أئمة الصحابة والتابعين.

---

١ ـ باختصار وتهذيب من تاريخ الكعبة لباسلامة ص ١٨١ .

فمنها : ما روى الأزرقي قال : حدثني جدي ثنا عيسى ابن يونس السبعي حدثنا عنبسة بن سعيد الرازي عن ابراهيم ابن عبد الله الحاطبي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار قيل لابن عباس : ما مصلى الاخيار ؟ قال : تحت الميزاب قيل : وما شراب الابرار ؟ قال : ماء زمزم (١) .

ومنها : ما روى الأزرقي عن جده قال : حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن عطاء أنه قال : من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له . وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) .

وروى الأزرقي أيضا عن جده قال : حدثنا سعيد بن سالم . عن عثمان بن ساج عن عطاء قال : من قام تحت مثعب الكعبة فدعا استجيب له .

قلت : ابن ساج ضعيف وبقية رجاله ثقات .

ومثعب الكعبة : مجرى مائها ، وهو الميزاب . ويشهد لهذه الآثار : ما

---

١ ـ قلت : عيسى ثقة ، وعنبسة هو قاضي الري ثقة ، وابراهيم هو ابراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب الجمحي صدوق وعطاء هو الامام الحجة المعروف . فهذا سند جيد وهو حديث موقوف على ابن عباس .

٢ ـ قلت : مسلم بن خالد الزنجي صدوق وبقية رجاله معروفون من ائمة التابعين فالسند جيد وهو موقوف على عطاء ، ومثل هذا لايدخل تحت باب الاجتهاد . ولا اظن أن يصدر مثل هذا الحكم عن مثل هذا الامام من رأيه وهواه ، بل لابد أن يكون له عنده أصل مرفوع ثابت .
وعادة ائمة ذلك الزمن الارسال والقطع كما هو المعروف عن الامام مالك .

جاء في الأحاديث الثابتة عن فضل الطواف واثبات مثل هذا الفضل له من غفران الذنوب واستجابة الدعاء •

وهذا المكان الشريف بخصوصه ـ وهو تحت الميزاب ـ يدخل في تلك الدائرة بالعموم فان هذا الفضل العظيم عام في أنحاء ذلك البيت الكريم •

ولما كانت هذه الأماكن المذكورة سابقا أماكن مباركة ومشرفة ذات فضائل وخصائص ومزايا ثابتة لما كانت كذلك كان ينبغي لمن وقف فيها أو حل بها أن يغتنم فرصة الدعاء هناك • لأن المكان الفاضل كالزمان الفاضل • له أثر في مضاعفة العمل وقبوله .

وقد وردت أذكار مختلفة بعضها عام يقال في الطواف ، وبعضها خاص ببعض تلك الاماكن ومن ذلك :

١ ـ ماجاء عن ابن عمر ان من طاف سبع تطويفات لايتكلم الا بذكر الله عز وجل فعدل رقبة ، قال في القرى : أخرجه سعيد بن منصور • وأخرجه الأزرقي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص •

٢ ـ وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من طاف بالبيت سبعا لايتكلم الا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر سيئات ، وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات • قال في القرى أخرجه ابن ماجه •

٣ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا بر حجك يا آدم أما أنا حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال : فما كنتم تقولون في الطواف قالوا : كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر • قال آدم فزيدوا فيها : ولا حول ولا قوة الا بالله •

٤ ــ وعن ابن ابي نجيح قال : كان أكثر كلام عمر وعبد الرحمن بن عوف في الطواف : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » •أخرجه الأزرقي •

٥ ــ وقال خبيب بن صهيب رأيت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت وماله هجيري الا أن يقول : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذا بالنار » •

الهجيري : الدأب والعادة •

٦ ــ وعن عروة أنه كان اذا طاف بالبيت الاشواط الثلاثة يقول : « اللهم لا اله إلا أنت ، أنت تحيي بعد ما أمت » يخفض بها صوته أخرجه مالك في الموطأ .

٧ ــ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم اني أعوذ بك من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق ومن كل أمر لا يطاق » •

قال زيد بن أسلم : أما الشقاق فمفارقة الاسلام وأهله وأما النفاق فاظهار الايمان واسرار الكفر ، وأما سوء الاخلاق فالزنا والسرقة وشرب الخمر والخيانة وكل ما حرم الله فهو من سوء الاخلاق •

قال في القرى أخرجه ابن حبيب الاندلسي المالكي في كتاب جامع الادعية ( ٢٧١ ) •

أما الاماكن التي ورد في السنة لها أذكار خاصة بها في الطواف فهي :

١ ــ عند استلام الحجر ــ

وقد سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذي يقولونه عند استلام الحجر فقال صلى الله عليه وسلم : قولوا : باسم الله والله أكبر ايمانا بالله وتصديقا لاجابة محمد صلى الله عليه وسلم (١) •

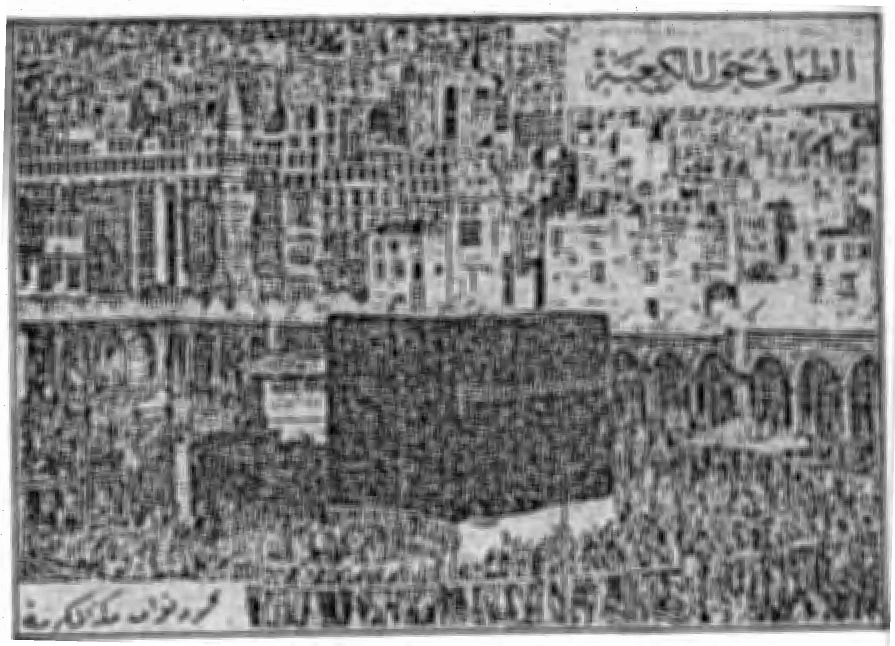
وكان ابن عمر اذا استلم الحجر يقول : اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وتصديقا بكتابك وسنة نبيك ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) •

وكان علي رضي اللهعنه يقول كذلك ويزيد : واتباعالسنتك وسنةنبيك•

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: باسم الله والله أكبر على

١ـ أخرجه الشافعي (القرى ٢٧٣)٠
٢ـ أخرجه أبو ذر (القرى).

ما هدانا الله لا اله الا الله وحده لاشريك له آمنت بالله وكفرت بالطاغوت(١) واللات والعزى (٢) وما يدعى من دون الله أن وليي الله الــذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (٣) •




المبنى الصغير هو المقام المالكي

١ ـ الطاغوت كل ما عبد من دون الله .
٢ ـ اللات والعزى صنمان من حجارة كانوا يعبدونهما في الجاهلية .
٣ ـ اخرجه الازرقي في التاريخ .



# المسجد الحرام

# تاريخه ـ فضله ـ وخصائصه

# وبيان ما فيه من آثار

## حجر اسماعيل ـ مقام ابراهيم ـ ماء زمزم

# المسجد الحرام في القرآن الكـــريم

ذكر الله سبحانه وتعالى المسجد الحرام في كتابه العزيز في خمسة عشر موضعا ، ستة في البقـــرة .

الاول : ( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فـــول وجهك شطر المسجد الحرام ) .

الثانى : ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ) .

الثالث : ( ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ) .

الرابع : ( ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ) .

الخامس : ( ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ) .

السادس : ( والمسجد الحرام واخراج أهله منه ) .

وفي سورة المائدة موضع ( أن صدوكم عن المسجد الحرام ) وفي سورة الانفال موضع : ( وهم يصدون عن المسجد الحرام ) وفي التوبة ثلاثة مواضع : الأول ( الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ) .

الثانى : ( وعمارة المسجد الحرام ) •

الثالث : ( فلا يقربوا المسجد الحرام ) •

وفي بنى اسرائيل موضع : ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ) وفي الحج موضع : ( والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس ) وفي الفتح موضعـــــان :

الاول : ( وصدوكم عن المسجد الحرام ) •

الثانى :( لتدخلن المسجد الحرام ) •

وذكر الماوردى في الحاوى في كتاب الجزية أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به : الحرم • الا في قوله تعالى : ( فول وجهك شطـر المسجد الحرام ) فانه اراد به الكعبة ، وأما ابن أبي الصيف اليمني فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر منها ما أراد به الكعبة ، كقوله تعالى : ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ) ومنها ما أراد به مكة كقوله : ( سبحان الذى أسـرى بعبده ) وقد روى أنه أسرى به من بيت أم هانىء بنت أبى طالب • ومنها مـا اراد به الحرم كقوله تعالى : ( انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ) قال : وقد روى النسائى في سننه من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الكعبة • وروى أيضا من حـديث أبى

هريرة الا الكعبة • وفي رواية ابن ماجه ( وصلاته بمكة بمائة الف ) مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلى فيه مصل بمكة •

قال : والانصاف أن الكل داخل في الاسم المذكور في القرآن الا أن الاطلاق انما ينصرف الى المسجد الذى قدر به الطواف ولهذا ورد : كنا في المسجد الحرام وخرجنا من المسجد الحرام واعتكفنا في المسجد الحرام وبتنا فيه ولا شك أن مساجد الحرم متعددة واختص هو من بينها بالمسجد الحرام في العرف •

وقد ذكر الأزرقي في أخبار مكة عن جده عن مسلم بن خالد عن محمد بن الحرث عن سفيان عن علي الازدى قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : انا لنجد في كتاب الله عز وجل أن حد المسجد الحرام من الحزورة الى المسعى •

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال : أساس المسجد الذى وضعه ابراهيم عليه السلام من الحزورة الى المسعى الى مخرج سيل أجياد •

**تاريخ المسجد الحرام :**

كان المسجد الحرام منذ بنى ابراهيم الخليل مع ابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام الكعبة المعظمة الى أن آل أمر مكة المكرمة الى قصي بن كلاب الجد الخامس لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبارة عن فسحة واسعة حول

الكعبة المعظمة ولم يكن حول الكعبة المعظمة دور مشيدة أو جدار محاطة بالمسجد الحرام حيث كانت القبائل التي قطنت مكة من عمالقة وجرهم وخزاعة وقريش وغيرهم يسكنون في شعاب مكة ويتركون حول الكعبة المعظمة احتراما لها وتعظيما لشأنها فلا تجترىء أن تبنى بجوار الكعبة المعظمة دارا ولا جدارا فلما آل الامر الى قصي واستولى على مكة وعلى مفتاح الكعبة المعظمة من خزاعة بعد أن دارت بينه وبينها حرب شعواء.وفى الجزء الأول من كتاب ( حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدينة ) جمع قصي قومه بطون قريش وأمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة المعظمة بيوتا من جهاتها الأربع حيث كانوا يقطنون ظاهر مكة وشعابها وكانوا إذا أرادوا دخول مكة لا يدخلون على جنابة ولا يقيمون بها إلا نهارا فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل فقال لهم قصي إن سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم . فبدأ هو أولا وبنى دار الندوة فى الجانب الشمالى الذى هو الآن فسحة باب الزيادة ، ثم قسم قصي باقى الجهات بين قبائل قريش .

فبنت قريش دورها حول الكعبة المعظمة وشرعت أبوابها إلى نحو الكعبة المعظمة وتركوا للطائفين مقدار مدار المطاف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى المطاف وجعلوا بناء الدور مدورة ولم تكن مربعة الشكل حتى لا يكون بينها وبين الكعبة المعظمة شبه في البناء من جهة التربيع لكون الكعبة المعظمة مربعة وجعلوا ارتفاع عموم تلك الدور أقل

من ارتفاع الكعبة المعظمة حيث لا يجرؤن على بنـاء دار أعلى من الكعبـة احتراما وتعظيما لها ولذلك كانت ترى الكعبة المعظمة من عموم أنحاء مكة المكرمة لاجل أنها كانت أعلى من عموم الدور التى بنيت حولها •

وسمى كل من بنى حول الكعبة المعظمة بيتا من قبائل قريش ( قـريش البواطن ) ثم تكاثرت البيوت بتكاثر السكان وكثرة النسل حتى تعلقت الدور بشعاب مكة في العصر النبوى •

**عمارة عمر بن الخطاب :**

وبقى المسجد على هذه الصفة في زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمن أبى بكر الصديق حتى جاء زمن عمر بن الخطاب فكانت أول توسعة وبناء للمسجد على يده وذلك انه في سنة ١٧ هجرية في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء الى مكة سيل عظيم يعرف بسيل ( أم نهشل ) من أعلى مكة فدخل المسجد الحرام من ناحية المدعا ، وذلك غير السيـل الذى ينحدر من وادى ابراهيم فاقتلع مقام ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسـلم من موضعه وذهب به الى أسفل مكة فلما جف الماء وجد المقام بأسفل مـكة فأتى به وألصق بالكعبة وربط بها •

وأما سبب تسمية ذلك السيل بسيل أم نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس هو لانه اجترفها ذلك السيل وماتت فيه فسمى باسمها •

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يومئـذ بالمدينة هاله ذلك الامر وركب من ساعته فزعا الى مكة فدخلها بعمرة في شهر رمضان سنة ١٧ من الهجرة فلما وصل مكة دخل المسجد الحرام ووقف عـلى حجر المقام ثم قال : انشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال عبدالمطلب ابن أبىوداعة السهمى رضي الله عنه أنا يا أمير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهـو عندي في البيت فقال له عمـر أجلس عندى وأرسل اليه من يأتى بها فجلس عنده وأرسل اليه فأتى بها فقيس ووضع حجر المقام في محله الذى كان فيه وهو الموضع الذى هو فيه في العصر الحاضـر وأحكم إحكاما تامـا .

فلما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن انتهى من وضع حجر المقام في موضعه وكثرة الناس وازدحام المصلين في المسجد الحرام الذى هو عبارة عن مدار المطاف اشترى دورا من تلك الدور الملاصقة للمسجد الحرام وهدمها وأخل أرضها في المسجد وبذلك توسع المسجد عما كان عليـه وكان قد امتنع بعض أصحاب تلك الدور من البيع وقبض الثمن فقومت الدور التى قد امتنع أهلها من بيعها ووضع عمر رضي الله عنه أثمانها في خزانة الكعبة وقال لهم : أنتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت عليكم الكعبة في سوحكم وفنائكم فلما رأوا العزم أخذوا الثمن فجعل عمر رضي الله عنه حائطا على المسجد .

وكان ارتفاعه دون القامة وكان المصابيح توضع فيه فكان أول من أحاط المسجد الحرام بالجدار وأول من وسّعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعل له أبوابا كما كانت بين الـدور قبل أن تهـدم على محاذات تلك الابواب السابقـة •

هذا حاصل ما رواه مؤرخو مكة من زيادة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وتوسيعه للمسجد الحرام ولم يذكروا عدد الدور التى هدمها وادخـل أرضها بالمسجد ولا مساحتها والذى يظهر من عبارة المؤرخين أنها لا تزيد عن محاذات المقامات الاربعة •

ثم بعد أن انتهى أمير المؤمنين عمر رضي اللـه عنه من عمارة المسجـد الحرام أراد أن يحول مجرى السيل الذى تعود دخول المسجد الحـرام من القديم من جهة المدعا الى مجرى سيل وادى ابراهيم فأمر بعمل ( الردم ) وهو سد عظيم بالمدعا بأعلا مكة صونا للمسجد الحرام من دخول السيل فيـه ، فكان من نتيجة عمل الردم المذكور أن تحول مجرى السيل الذى ينحدر من ناحية المدعا الى مجرى وادى ابراهيم ، حيث كان هذا السيل ينحدر من المدعا على شارع المسعى ويدخل من جهة باب السـلام الى المسجد الحرام فبنـاه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالضفائر والصخور العظام وكبسه بالتراب فلم يعله سيل بعد ذلك ، غير أنه جاء سيل عظيم سنة ٢٠٢ فكشف عن بعض أحجار الردم المذكور وشوهدت فيه تلك الصخار العظيمة الكبيرة التى لم ير مثلها • وكان الاقدمون يسمون ذلك الردم ( ردم بنى جمح ) وهذا الموضـع الذى

وضع فيه الردم هو ( المدعا ) وكانت ترى الكعبة المعظمة من ذلك الموضع لعلوه وقصر الدور التى بينه وبين المسجد الحرام عن علو الكعبة المعظمة وهو يبعد عن الكعبة بنحو نصف ميل فصار هذا الردم بعد بنائه يحول السيل المنحدر من جبل لعلع وما جاوره من المدعا الى سوق الليل على مجرى وادى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فينحـــدر منه مع سيــل وادى ابراهيم ويمران بجـــانب المسجد الحرام الجنوبى حتى ينتهى الى المسفلة ، وكان هذا الردم أول ســـد وضع بمكة ، وأما تسميته ( بردم بنى جمح ) فالظاهر أنه كانت منازلهم بذلك الموضع والله أعــلم •

وكان ذلك سنة ١٧ من الهجرة ويوافق من السنين الشمسية سنة ٦٣٨ ميلادية ، هذا حاصل ما ذكره الأزرقي والتقي الفاسي وابن ظهيرة وقطب الدين في كتابه ( الاعلام ) ونجم الدين ابن فهد القرشي وابن فضـــل الله العمرى في مسالك الابصار وغيرهم من مؤرخى مكة •

**عمارة عثمان بن عفـــان :**

فلما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ازداد سكان مكة المكرمة كثرة وظهر من ذلك ضيق المسجد الحرام على المصلين فاشترى عثمان رضي الله عنه دورا التى حول المسجد الحرام وهدمها وأدخل أرضها في المسجد الحرام توسعة له وكان ذلك سنة ٢٦ وجعل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه للمسجد الحرام أروقة فكان هو أول من اتخذ الاروقة فيه حيث كان

قبل ذلك عبارة عن متسع فسيح مثل الحصوة وليس له رواق ولا سقف يظل المصــلين •

**عمارة ابن الزبــير :**

فلما كانت خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عمر المسجد الحرام بعد أن انتهى من عمارة الكعبة المعظمة وزاد فيه زيادة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية واشترى دورا كثيرة وسقف المسجد أيضا وكانت هذه العمارة في سنة ٦٥ تقريبا •

**عمارة عبدالملك بن مــروان :**

فلما كانت خلافة عبدالملك بن مروان الاموي أمر بعمارة المسجد الحرام ولم يزد فيه شيئا غير أنه رفع جــداره وسقفه بالساج وعمــره عمارة حسنة وجعــل على رأس كل أسطوانة خمســين مثقالا من الــذهب فكانت عمارته منحصرة في تجديد البناء ورفع الجدار وتسقيفه بالســاج الذى هو أفخــر أنواع الخشب وأمتنه وزينه بالذهب الذى جعله على رءوس الاسطوانات ولم يزد فيه شيئا عما كان عليه علاوة على زيادة عبدالله ابن الزبير •

وسبب عمارة عبدالملك للمسجد الحرام لانه قد تهدم بعضه من حجارة المنجنيق التى رماه بها الحجاج بن يوسف الثقفى حال حصــاره لعبدالله بن الزبير حينما استعصم بالمسجد الحرام ، وكانت هذه العمارة بعدعمارة الحجاج للكعبة المعظمة بسنة ، وذلك في سنة ٧٥ هجرية التى توافق سنة ٦٩٤ ميلادية •

وذكر النووي في كتابه مناسك الحج ( الايضاح ) أن أول من أدار الصفوف حول الكعبة المعظمة وراء الامام خالد بن عبدالله القسري حين كان واليا على مكة في خلافة عبدالملك بن مروان ونقل ذلك عن الأزرقي ، وقال : وكان سبب ذلك أنه ضاق على الناس موقفهم وراء الامام فأدارهم حول الكعبة ، وكان عطاء ابن ابى رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهما من العلماء يرون ذلك ولا ينكرونه ، وقال ابن جرير : قلت لعطاء اذا قل الناس في المسجد الحرام أيما أحب اليك أن يصلوا خلف المقام أم يكونوا صفا واحدا حول الكعبة ، فقال : ( أي عطاء ) أن يكونوا صفا واحدا حول الكعبة .

**عمارة الوليد بن عبدالملك :**

فلما كانت خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي أمر بتوسيع المسجد الحرام ونقض عمل أبيه عبد الملك وعمره عمارة متينة محكمة وهو أول من أتى بالاساطين الرخام من مصر والشام ونقلها من هناك الى مكة على العجل حسب ماذكره أكثر المؤرخين ما عدا العمري وسقفه بالخشب الساج المزخرف وجعل على رؤوس الاساطين صفائح الذهب وأزر داخل المسجد الحرام بالرخام وجعل له شرافات وجعل في حائطه الطيفان ( العقود ) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من زين بها المسجد الحرام وجعل للمسجد سرادقات . وكانت زيادة الوليد من الجهة الشرقية كما يدل عليه سياق التاريخ ووقعت سنة ٩١ هجرية .

**عمارة أبي جعفر المنصور :**

فلما كانت خلافة أبي جعفر المنصور العباسي أمر عامله على مكة بزيادة توسيع المسجد الحرام وذلك في المحرم سنة ١٣٧ هـ فزاد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى ان انتهى الى منارة باب العمرةومنها على خط مستقيم من الجهة الغربية الى ما يلي باب ابراهيم على حد الحصوة ولم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بمجرى سيل وادي ابراهيم ولصعوبة البناء فيه كما أنه لم يزد في علو المسجد الحرام من الجهة الشرقية وكان ذلك في سنة ١٣٧ هـ .

وكان أبو جعفر المنصور أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه . وكان كل ذلك على يد زياد بن عبد الله الحارثي . وقد استدام العمل ثلاثة أعوام . وكان ابتداء العمل في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة . وانتهاء العمل في ذي الحجة سنة أربعين ومائة من الهجرة .

**عمارة المهدى بن المنصور :**

ثم وسعه الخليفة المهدي بن المنصور المذكور من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الجانب الغربي حتى صار واسعا جدا من جوانبه الاربع سنة سبع وستين ومائة وأنفق المهدي في توسعة المسجد الحرام أموالا عظيمة المقدار لانه اشترى الذراع المربع من الدور المجاورة للمسجد الحرامبخمسة وعشرين دينارا واشترى الذراع المربع من الوادي الذي لادور فيه بخمسة عشر دينارا ونقل اليه أحجار الرخام والاعمدة الكبيرة الرخامية من الشام

وغيرها حتى أنزلت بميناء جدة وحملت على العجلات الى مكة الى غير ذلك من الامور الاصلاحية التي عظمت فيها نفقته ولم يكن له في ذلك نظير .

وقد دام المسجد الحرام على عمارة أمير المؤمنين المهدي العباسي من عام ١٦٩ الى عام ٩٧٩ ثمانمائة وعشر سنين وهو على أعظم زي عرف في تلـك العصور بل وفي هذه العصور لم يعتره وهن في بنائه أو تغيير في شـكله أو زعزته في أركانه سوى بعض الاصلاحات الخفيفة والزيادات اللطيفة .

**عمارة السلطان السـليم :**

لقد دام هذا المسجد الحرام ثمانمائة وعشر سـنين يكافح صدمات السيول العظيمه ويقى المصلين من حرارة الشمس وهطول المطر واشـتداد العواصف حتى كانت سنة ٩٧٩ ظهر أن الرواق الشرقي مال الى نحو الكعبة الشـريفة بحيث برزت رؤوس خشب السقوف منه عن محـل تركيبها في جـدار المسجد .

فصدر أمر السلطان سليم خان بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جمعية بغاية الاتقان والاحكام وان يجعل بدل السقف الخشبي قببا دائرة بأروقـة المسجد الحرام وذلك لانـه كان للمسجد الحرام سقفان بين كل سـقف نحـو ذراعين .

ولا شك أن استبدال الخشب بالقبب في سقف المسجد الحرام من أعظم الفوائد من ناحية التبريد ومن ناحية المتانة .

ثم توفي السلطان سليم قبل الاتمام • وتولى بعده السلطان مرادخان فأصدر أمره بالاسراع في انجاز العمل واكماله حتى تم سنة ٩٨٤ فكان العمل قد استغرق بين الهدم والعمارة نحو أربع سنين •

ولا تزال عمارة السلطان سليم وابنه باقية ـ وهي المسجد القديم اليوم•

**التوسعة السعودية :**

وفي أوائل عام ١٣٧٥ هـ بدأت التوسعة السعودية للمسجد الحرام وأدخل المسعى بعد أن كان شارعا تجاريا ضمن المسجد الحرام واستمر البناء على أسس متينة وهندسة جميلة تليق بما لبيت الله من قداسة ومكانة في نفوس المسلمين • وأصبحت مساحة المسجد الحرام بطابقيه بعد هذه التوسعة ( ١٦٠٨٦١ مترا ) مائة وستين الفا ومائة وثمانية وستين مترا مسطحا بعد أن كانت ( ٢٩١٢٧ مترا ) تسعة وعشرين الفا ومائة وسبعة وعشرين مترا مسطحا •

وهي مساحة تتسع لاكثر من ثلاثمائة الف مصل في وقت واحد • ويعتبر مشروع توسعة المسجد الحرام الذي قامت به المملكة العربية السعودية واستغرق العمل فيه أكثر من خمسة عشر عاما من أضخم المشروعات العمرانية كما تعد العمارة غاية في الروعة والجمال •

## أهم خصائص المسجد الحرام

الأولى :

ان تقدم المأموم على امامه في الموقف في غير المسجد الحرام مبطل للصلاة على أظهر القولين سواء أكان التقدم في جهة الامام أم في غير جهته ؟ وأما في المسجد الحرام فالواجب أن يكون الامام أقرب الى الكعبة من المأمومين فلو تقدم على الامام وصار أقرب الى الكعبة منه نظر ، انكان أقرب اليها من جهة الامام كما لو كان الامام يصلي في مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم والمأموم عند الباب بطلت صلاته ، وان كان أقرب اليها في غير جهة الامام كما لو وقف الامام في المقام والمأموم في الحجر مثلا فأصح الطريقين القطع بالصحة كما قاله الرافعي ، لانه غير موصوف بالتقدم عليه ، ولانه يمكنه مشاهدة أفعاله والاقتداء به حينئذ حاصل كالمحافظة .

الثانية :

ان من صلى في بناء منفصل عن المسجد مقتديا بإمام المسجد لم يصح اقتداؤه لعدم اتصال الصفوف ، وأما في المسجد الحرام ، فلو صلى على جبل الصفا أو المروة أو أبي قبيس مقتديا بصلاة الامام في المسجد الحرام ، قال

الشافعي رضي الله عنه : يجوز لان كل ذلــك متصل وهو في حكم العرف غير منقطع .

الثالثـــة :

يستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد في المسجد الحرام ، لافي الصحراء لفضل البقعة ومشاهدة الكعبة ولحصول المضاعفة لهم في الصــلاة باتفاق . قال الشافعي في الأم : تصلى في المصلى في سائر البلدان الا في مكة فانــه تصلى في مسجدها لانه خير بقاع الارض .

الرابعـــة :

ان التلبية تستحب للمحرم فيمساجد النسك ، كالمسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى ومسجد ابراهيم بعرفة ، وأما غيرها فقولان ، القديم ، أنهلايسن فيها حذرا من التشويش على المتعبدين بخلاف المساجد الثلاثة ــ السابقــة فانها معهودة فيها ، والجديد . نعم . لعموم الاخبار .

الخامسة :

يستحب أن ينوي الاعتكاف كلما دخل المسجد فانه يحتسب له ، ويثاب عليه ولو في لحظة وينبغي أن يهتم بهذا ، ولا يتغافل عنه لتحصل لــه فضيلة العاكفين فيه اذ لاتحصل الا بالنية وكذلك يستحضر قوله صلى الله عليه وسلم للذين يظلهم الله في ظله : ( ورجل قلبه معلق بالمساجد ) .

السادسة :

ان الصلاة وان كانت مكروهة في المقابر كما جاء في الحديث ونص عليه الفقهاء لكن يستثنى منه مقابر الانبياء صلوات الله عليهم وان لم يصرح به الفقهاء . لان الله تعالى عصم ذواتهم الشريفة عن أكل الارض وانما ذكرت هذا لان البيهقي ذكر في مناقب أحمد بن حنبل ــ وهو كثير الفوائد ــ ان أحمد ابن حنبل روى فقال : حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن عبد الله بن عثمان عن خيثم عن عبد الرحمن بن سابط عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال : ما بين المقام الى الركن الى بئر زمزم الى الحجر قبر سبعة وسبعين نبيا جاؤا حاجين فماتوا فقبروا هناك . قال أحمد بن حنبل : لم اسمع من يحيى بن سليم غير هذا الحديث الواحد انتهى .

وقد اشتهر أن قبر اسماعيل وأمه في الحجر ومع ذلك فلم يقل أحد بكراهة الصلاة فيه بل ( فيه ) ما فيه من الاجر العظيم والثواب الجزيل . وكذلك مسجد الخيف قال الطبراني في معجمه:حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عيسى بن شاذان ثنا ابو همام الدلال ثنا ابراهيم بن طهمان عن منصور عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا . وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي مما وقع لي في تأملات الحج : السلام على قبور الانبياء كآدم ومن تبعه فقد روى انه ما من نبي خرج بعد عذاب قومه الا الى مكة ودفن بها وأن بها مئين أو ألوفا من الانبياء .

السابعـة :

أنه لايدخله أحد الا متواضعا خاشعا متذللا مكشوف الرأس متجرداعن لباس الدنيا بخلاف غيره من البقا ع •

الثامنـــة :

انه سبحانه وتعالى أضافه لنفسه في قولـه تعالى ( وطهر بيتي للطائفين ) وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه ، الرافعة لقدره وهي السر في اقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه •

أطوف به والنفس بعـد مشوقة — واليه وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن أطلب برد مـا — بقلبي من شوق ومن هيمـان
فوالله مـــا أزداد الا صبابـة — ولا القلب الا كثرة الخفقـــان
فيا جنة المأوى ويا غايـــة المنى — ويا منيتي مـن دون كل أماني
أبت غلبـــات الشوق الا تقربا — اليـــك فما لي بالبعاد يـدان
وما كان صدى عنك صد ملالة — ولي شاهد مـن مقلتي ولساني
دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا — فلبى البكا والصبر عنك عصاني
وقـد زعموا أن المحب اذ نأى — سيبلى هواه بعـد طول زمـان

ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا     دواء الهوى في الناس كل أوان

بلى انــه يبلي التصبر والهوى     على حاله لم يبلــه الملــــوان

وهذا محب قاده الشوق والهوى     بغير زمــــام قائــد وعنــــان

أتاك على بعد المزاد ولــو ونت     مطية جاءت بـــه القدمـــان

التاسعة :

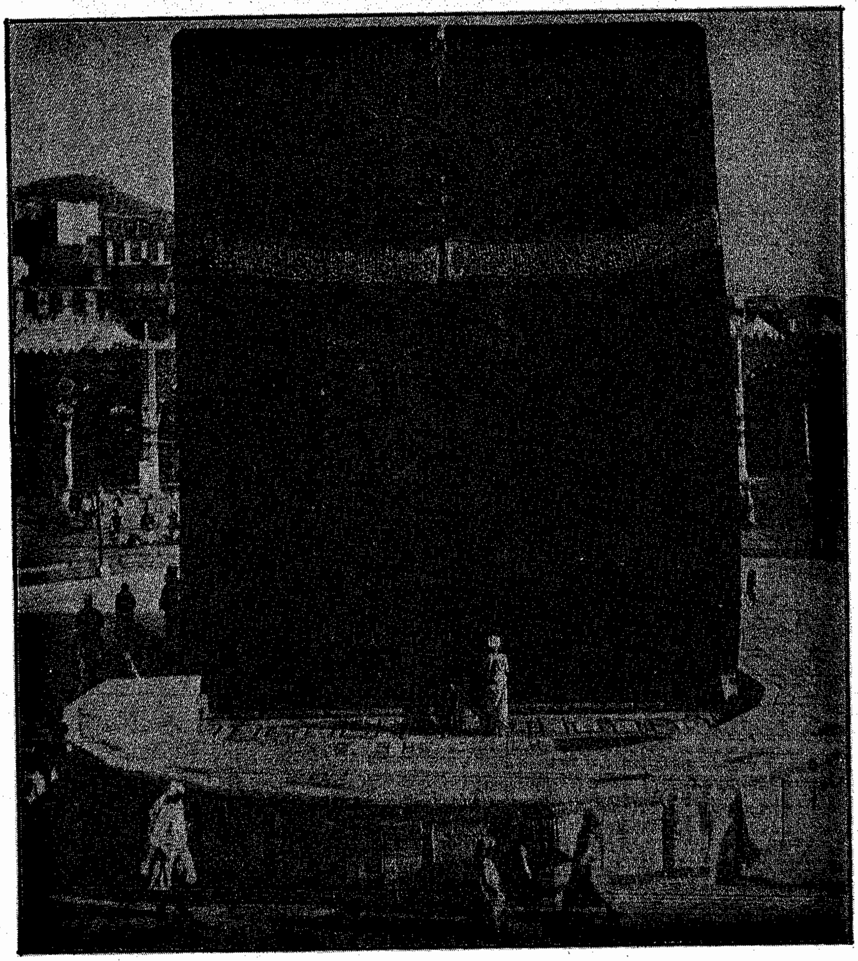
لو نذر اتيان المسجد الحرام لزمه ، لحديث : لا تشد الرحــال الا الى ثلاثة مساجد كما هو في الصحيحين وأصح الطريقين أنه ينعقد نذره بحج أو عمرة ونص عليه الشافعي كما قاله القاضي الحسين لحديث أخت عقبة انهــا نذرت أن تمشي الى بيت الله فأمرها رســول الله صــلى الله عليه وسلم أن تمشي بحج أو عمرة لان مطلق كلام الناذرين محمول على ما ثبت له أصل في الشرع ( كمن نذر أن يصلى يلزمه الصلاة المعهودة شرعا والمعهود في الشرع ) والعرف قصد المسجد الحرام بالحج والعمرة فيحمل نذره عليه .

ولو نذر صلاة في الكعبة جازت في أطراف المسجد الحرام .

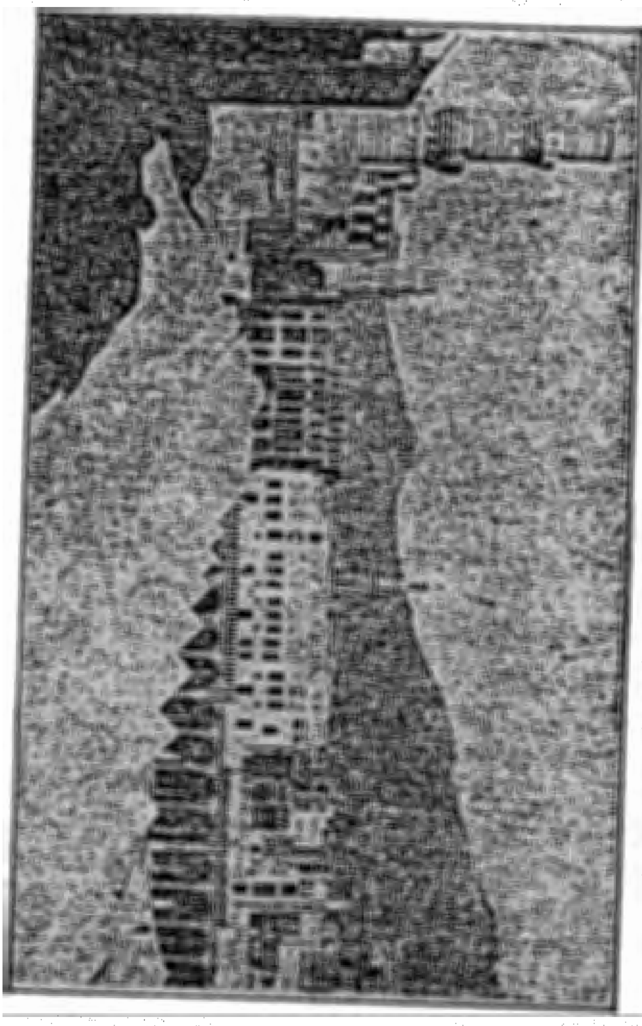
ولا فرق بين أن يقول لله عليه أن يصلي في المسجد الحرام أو في البيت الحرام اذا ثبت أن البيت الحرام انما هو الكعبة ، وكذلك المسجد الحرام ، فالتعبير بالمسجد الحرام كالتعبير بهما .

العاشــرة :

ذكر الفقهاء أن السنة أن يصلى صلاة الاستسقاء في الصحراء الا بمكة فانها تصلى بالمسجد الحرام ، وعليه السلف والخلف لفضل البقعة وسعتها .



حجر اسماعيل
وهو نصف دائرة حول الجهة الشمالية من الكعبة



المسجد الحرام

# حجـــر اسماعيل

## تاريخـه . فضلـه

# حجـــر اسماعيل

أما حجر اسماعيل عليه السلام فهو الحـائط الـواقع شمال الكعبة المعظمـة .

وهو على شكل نصف دائرة وقد جعله ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم عريشا الى جانب الكعبة المعظمة .

وكان زربا لغنم اسماعيل كما جاء ذلك في تاريخ الأزرقي . قال الأزرقي في أثناء خبر بناء الخليل صلى الله عليه وسلم للكعبة المعظمة : وجعل ابراهيم الحجر الى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز وكان زربا لغنم اسماعيل وهذه الرواية تدل على أن الحجر لم يكن من البيت المعظم وانما كان زربـا خارجا عنه غير انه لما بنت قريش الكعبة أنقصت من جانبها الشمالى ستة أذرع وشبرا على أشهر الروايات الصحيحة وأدخلته في حجر اسماعيل .

ثم لما بناها عبدالله بن الزبير رضي اللهعنهما أدخل فيها ما أنقصته قريش منها فلما كان عصر الحجاج بن يوسف الثقفى اقتطع من الكعبة الستة الاذرع والشبر وأدخلها في حجر اسماعيل .

وبذلك صار حجر اسماعيل مشتملا على ستة أذرع وشبر من الكعبـة

المعظمة كما كان عليه في زمن بناء قريش للكعبة المعظمة وهو لا يزال على حكمه الى العصر الحاضر .

قال المؤرخ الشيخ حسين باسلامة في كتابه عن تاريخ الكعبة ، وبما أن حجر اسماعيل قد هدم عدة مرات وعمر عمارات مختلفة كما سيأتى تفصيل ذلك فبدر لي ان أذرعه لاقف على ذرع ما سامت منه جدار الكعبة المعظمة هل هو ستة أذرع وشبر أو أقل أو أكثر ، فذهبت الى الحجر في ليلة الثلاثاء الموافق ٢٥ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٥٢هـ بين المغرب والعشاء وذرعت القسم المستقيم من حجر اسماعيل المسامت لاستقامة جدار الكعبة المعظمة من الحد المنحنى منه الى جدار الكعبة التى تلى الحجر فكان طول ذلك تسعة أذرع بذراع اليد . وهذا فيه زيادة كثيرة عن الستة الاذرع والشبر فعلم من ذلك أن بناء الحجر قد تغير عما كان عليه .

وقد هدم وبنى في المرة الاخيرة في عصر السلطان عبدالمجيد خان العثمانى سنة ١٢٦٠هـ وربما زادوا في طول المستقيم من الحجر في هذا البناء الاخير والذى قبله .

ويسمى حجر اسماعيل أيضا ( الحطيم ) وقد ذكر ابن الاثير في النهاية ان موضعين سميا بالحطيم قال : سمى حطيم مكة وهو ما بين الركن والباب أي الملتزم ، وقيل : هو الحجر المخرج منها يعنى الكعبة سمى به لان البيت

رفع وترك هو محطوما وقيل لان العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فتبقى حتى تنحطم بطول الزمان .

روى الأزرقي قال : الحطيم ما بين الركن الاسود والمقام وزمزم والحجر سمي حطيما لان الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا والدعاء فيه مستجاب .

وقد ذكر كثير من العلماء ان نبى الله اسماعيل دفن في الحجر الذى هو الحطيم بعد أن عاش مائة سنة وثلاثين ثم مات ودفن هو وأمه فيه وممن ذكر هذا ابن اسحق وابن هشام وابن جرير الطبرى وابن كثير وغيرهم من كبار المؤرخين .

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأدخلنى الحجر وقال : صلي فيه ان أردت دخول البيت فانما هو قطعة من البيت .

وعن على بن ابى طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى هريرة رضي الله عنه ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك ما مضى فاستأنف العمل وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا الى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج مرحوما ان كنت من أمة محمد تقيا ، وفي رسالة الحسن أن اسماعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة

فأوحى اليه أنى أفتح لك بابا من الجنة في الحجر يخرج عليك الروح منه الى يوم القيامة والروح بفتح الراء نسيم الريح •

وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه أقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألونى من أين جئت فسألوه فقال كنت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده •

# مقـــام ابراهـــيم

## تاريخـــه وفضـــله



مقام ابراهيم فى منظره الجديد

# مقـــام ابـــراهيم

لقد ذكر الله تعالى هذا المقام في كتابه العزيز فقال تعالى : ( واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ) ، قال بعضـــهم عند هذه الآية : يحتمل أن تكون من تبعيضية أو زائدة في الاثبات على مذهب الاخفش أو بمعنى في وكل بعيد : والاقرب أنها بمعنى عند اه والمقام هو بفتح الميم من قام يقوم : موضع القيام ، وأما المقام بالضم فهو من أقام يقيم •

فمقام ابراهيم هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم عليه السلام عند بنـــاء الكعبة وكان يرتفع به كلما ارتفع البناء والى هذا أشار صاحب نظم عمـــود النسب بقـــوله :

وكلمـــا طال البنـــاء ارتفـــاعا ‏ ‏ ‏ به المقـــام في الهـــوا ورفعـــا

بـــه القواعـــد وفيـــه قـــدم ‏ ‏ ‏ تشبههـــا للهاشـــمى قـــدم

وحين بالحج الخليـــل أذنـــا ‏ ‏ ‏ وفي كلا أذنيـــه أصبعـــا ثنى

أيضـــا كأطوال الجبال ارتفعا ‏ ‏ ‏ بـــه وكل من يحـــج اسمعـــا

ويؤيد صحة هذا القول ما حدث جابر عن حجة النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : ( لما طاف النبي عليه الصلاة والسلام قال له عمر : هذا مقام أبينا ؟

قال : نعم . قال : أفلا تتخذه مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل : ( واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى )وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقـام ومعه عمر ، فقال : يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا ابراهيم ؟ قال : بلى . قال : أفلا تتخذه مصلى ؟ قال : لم أومر بذلك ، فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية ) وفي البخارى عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : ( وافقت ربى في ثلاث ، أو وافقنى ربى في ثلاث قلت : يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى . فنزلت : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .. الخ ) الحديث وعن جابر أنه قال : ( استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ، فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم فقرأ : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ) قال ابن كثير في تفسيره : وهذا قطعة من الحديث الطويل الذى رواه مسلم في صحيحه من حديث حاتم بن اسماعيل .

فالخلاصة : أن مقام ابراهيم عليه السلام هو الحجر الذى كان يقـوم عليه لبناء البيت الحرام لما ارتفع جـداره ، وكان اسماعيل يناوله الحجـارة فيضعها بيده وكلما كمل ناحية انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى انتهى الى وجه البيت .

فالسنة : أن تكون الصلاة خلف المقام بأن يكـون المقام بين المصـلى والكعبة ولا تشترط مقابلة عينه ومحاذاته ، لان حجم المقام الذى هو الحجر صغير نحو ذراع لا يكفى أن يكون مصلى لشخص واحد ، فمن صـلى وراء المقام فقد أتى بالسنة وان لم يقف خلف الحجر بالتمام لان ما قـارب الشيء يعطى حكمه ، فلو اشترطنا على المصلى مقابلة عين الحجر للزم أن يصلى الناس خلفه فردا فردا لصغره ، وفي ذلك من الحرج والمشقة ما لا يخفى .

ولقد نزل المقام والركن مع أبينا آدم عليه السلام من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها فقد روى الترمذى وأحمد والحاكم وابن حبان أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءت ما بين المشرق والمغرب ) .

ولقد كان من معجزات ابراهيم عليه السلام أن صار الحجر تحت قدميه رطبا فغاصت فيه قدماه ، وقد بقى أثر قدميه ظاهرا فيه من ذلك العصـر الى يومنا هذا وان تغير عن هيئته الاصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحجر في المقصورة النحاسية ، والعرب تعرف ذلك في جاهليتها ، قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة :

وثـور ومن أرسـى ثبـيرا مكـانه
وراق لبـر في حــراء ونـازل
وبالبيت حـق البيت مـن بطن مكـة
وباللـه ان اللـه ليس بغـافل
وبالحجـر المسـود اذ يمسحـونه
اذا اكتنفـوه بالضحـى والاصـائل
ومـوطئ ابراهيم في الصخـر رطبـة
عـلى قدميـه حـافيا غـير ناعـل

فيكون هذا الحجر المقام والحجر الاسود أقدم أثر محترم لدى المسلمين بالاتفاق اذ بيننا وبين ابراهيم عليه السلام نحو أربعة آلاف سنة ٠

ومما هو جدير بالذكر والالتفات : أن العرب في جاهليتها مع عبادتهم الاحجار ، وبالخص حجارة مكة والحرم لم يسمع عنهم أن أحدا عبد الحجـر الاسود ، أو حجر المقام مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما ٠

ولقد تأملنا في سر ذلك وسببه ، وظهر لنا أن ذلك من عصمة الله تعالى ، فانهما لو عبدا من دون الله في الجاهلية ثم جاء الاسلام بتعظيمهما باستـلام

الركن الاسود والصلاة خلف المقام لقال المنافقون واعداء الدين ، ان الاسلام أقر احترام بعض الاصنام وأنه لم يخلص من شائبة الشرك ، ولتمسك بعبادتهما من كان يعبد احدهما من قبل فلهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام ابراهيم عليه السلام الى يوم القيامة من عبادة أهل الجاهلية لهما كما حفظ بيته الحرام من عبادتهم أيضا ولا يخفى أن هذه نقطة دقيقة لا يتنبه لها كل أحـــد .

**صفـــة المقـــام :**

أما صفة المقام فقد تكلم المؤرخون عنها بالتدقيق والتحقيق وآخر مـــن وصفه ممن رآه رأي العين هو العلامة المؤرخ الشيخ محمد طاهر الكردي اذ فتحت له مقصورة المقام ( وذلك قبل هدمها ) باذن خاص من ولي الأمر فدخل وكتب عنه الوصف الآتي :

لقد وجدنا حجر مقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والســـلام مثبتا فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولا وعرضا . أما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتمترا ، وقد استمسك المقام بهذه القاعدة بواسطة الفضة التي تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة ، حتى صار المقـــام ثابتا فيها ثبوتا قويا بحيث لايمكن تحريكه قط .

ثم ان هذه القاعدة الصغيرة ثابتة ثبوتا محكما جدا في وسط قاعدةكبيرة

من الرخام المرمر أيضا تشبه الدكة طول ضلعها من جميع الجهات متر واحد ، وارتفاعها من الارض ستة وثلاثون سنتميترا ولون الرخامتين أبيض •

ويحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئة الهرم الرباعي ارتفاعه نحو القامة ، ليس به منافذ مطلقا سوى الباب الذي يرى منه المقام الكريم •

أما مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام : فهو حجر لونه ما بين الصفرة والحمرة ، وهو الى البياض أقرب ، ويمكن ان يحمله أضعف الرجال وهو حجر ليس بصوان •

وأما حجم المقام الكريم فهو يشبه المكعب ، ارتفاعه عشرون سنتيمترا وطول كل ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمترا وطول ضلعه الرابع ثمانية وثلاثون سنتيمترا ، فيكون مقدار محيطه من جهة السطح مائة وستة وأربعين سنتيمترا • وأسفل المقام أوسع بقليل من أعلاه ، فيكون مقدار محيطه من جهة القاعدة نحو مائة وخمسين سنتيمترا •

وفي هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله تعالى سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقدارا كبيرا الى نصف ارتفاع الحجر ، فعمق احدى القدمين عشرة سنتيمترات • وعمق الثانية تسعة سنتيمترات ، ولم نشاهد أثرا لاصابع القدمين مطلقا ، فقد انمحى من طول الزمن ومسح الناس بأيديهم ،

وأما موضع العقبين : فلا يتضح الا لمن دقق النظر وتأمل ، وحافة القدمين الملبستين بالفضة أوسع من بطنهما من كثرة مسح الناس بأيديهم .

وطول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر والفضة سبعة وعشرون سنتيمترا ، وعرض كل واحدة منهما أربعة عشر سنتيمترا ، اما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما . فطول كل واحدة منهما اثنان وعشرون سنتيمترا وعرض كل واحدة منهما أحد عشر سنتيمترا .

وما بين القدمين فاصل مستدق نحو سنتيمتر واحد وقد استدق هذا الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم للتبرك وكذلك اتسع طول القدمين وعرضهما من أعلاهما بسبب المسح أيضا ومع أنه قد مر على حجر المقام الشريف أكثر من أربعة آلاف سنة فان معالمه وهيئة القدمين واضحة بينة لم تتغير ولم تتبدل . وتبقى كذلك الى يوم القيامة مصداقا لقوله تعالى : ( فيه آيات بينات مقام ابراهيم ) .

وحجر المقام كله ملبس بالفضة الخالصة ، فلا تظهر حقيقة الحجر الا من باطن حفرة القدمين وجوانبهما ، وان باطنهما غير مستو بل فيهما بعض تنوءات صغيرة .

وقد كان هذا الحجر داخل مقصورة نحاسية مربعة الشكل وعليها قبة قائمة على أربعة أعمدة تحتل مساحة قدرها ٣ × ٦ أمتار الا ان كثرة الحجاج في السنوات الاخيرة أوجبت توسعة المطاف بعد أن ضاق بالطائفين فكان وجود

القبة عائقا لهذه التوسعة • ودارت مناقشات بين علماء المسلمين حول جواز نقل المقام من موضعه واختلفت الآراء بين القول بالجواز أو عدمه • وانتهى الامر الى قرار من رابطة العالم الاسلامي في جلسة الرابطة المنعقدة بتاريخ ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هـ بازالة جميع الزوائد الموجودة حول المقام وابقاء المقام في مكانه على أن يجعل عليه صندوق من البللوري السميك القوي على قدر الحاجة وبارتفاع مناسب يمنع تعثر الطائفين ويتسنى معه رؤية المقام ووافق الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله وأصدر أمره بتنفيذ ذلك فعمل له غطاء من البللور الممتاز وأحيط هذا الغطاء بحاجز حديدي وعملت له قاعدة من الرخام نصبت حول المقام لاتزيد مساحتها عن ١٨٠×١٣٠ سنتيما بارتفاع ٧٥ سنتيما وتم هذا الامر في رجب سنة ٨٧ هـ •

وبعد عصر يوم السبت ١٨ رجب ١٣٨٧ هـ جرى رفع الستار عن الغطاء البللوري في حفل اسلامي بيد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله واتسعت واتسعت رقعة المطاف وتسنى للطائفين أن يؤدوا مناسك الطواف في راحة ويسر وخفت وطأة الزحام كثيرا •

## بحث هـــــام

## في أن وضع مقام ابراهيم الآن هو وضعه في العهد النبوي

ان في قو لسيدنا جابر رضي الله عنه « المشاهد للرسول صلى الله عليه وسلم والملازم له في هذه الحجة ٠ من يوم خرج من المدينة الى أن رجع اليها » ( فجعل : النبي صلى الله عليه وسلم المقام بينه وبين البيت ) دليـــلا على أن وضع المقام في زمنه عليه الصلاة والسلام هو وضعه الآن بمكانه وهو يفسر معنى الاتخاذ في قوله تعالى : « واتخذوا من مقـــام ابراهيم مصلى » روى الأزرقي في أخبار مكة بأسانيد صحيحة أن المقام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن حتى جاء سـيل في خلافة عمر فاحتمله حتى وجد أسفل مكة فأتى به فربط الى استار الكعبة حتى قدم عمر فاستثبت في أمره حتى تحقق موضعه الاول فأعاده اليه وبنى حولــه ونقله الحافظ ابن حجر في الفتح ولم يتعقبه ٠

وقد بسط هذه المسألة العلامة المؤرخ عالم مكة المحب الطبري وهو من أهــل القرن السابع في القرى لقاصد أم القرى أكثر مما تكلم غيره فيما أعلم ونقل كلام الأزرقي وأجاب عما يبدو من المناقضة لما ذكره الامام الازرقي وما سبق في بعض الأحاديث في الموضوع ٠ وخرج أخيرا عن ذلك بأن ( موضع

المقام الذي هو عليه الآن هو توقيفي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر بن الخطاب لم ينقله من موضعه الأول وانما أعاده اليه ) ويظهر لك ذلك كله بما ذكر العلامة المحب فانه ذكر عن المصلب بن أبي وداعة ولـه صحبة أسلم يو م الفتح كما قال الحافظ قال : كانت السيول تدخـل المسجد الحرام من باب بني شيبة الكبير فربما رفع المقام عن موضعه حتى جاء سيل في خلافة عمر يقال له سيل ام نهشل فاحتمل المقام فذهب به حتى وجد بأسفل مكة . فأتى به فربط الى استار الكعبة في وجهها وكتب بذلك الى عمر . فأقبل فزعا فدخل بعمرة في رمضان وقد غبي موضعه وعفاه السيل فدعا عمر بالناس وقال . أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام . أين موضعه ؟ قال المطلب بن أبي وداعة عندي ذلك ، كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الـى الركن ومن موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر فاجلس عندي وأرسل اليها فجلس عنـده وأرسل اليها فأتى بها فوجدها مستوية الى موضعه هذا فسأل الناس وشاورهم فقالوا نعم هذا موضعه فلما استثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به فأحكم بناء ربضة تحت المقام وحوله وهو في مكانه هذا الى اليوم ، قال وردم عمر الردم الاعلى .

قال أبو الوليد الازرقي قال جدي فلم يظهر عليه سيل منذ عمله عمر الى اليوم ، قال وحدثني جدي قال حدثنا عبد الجبار بن الورد ، قال سمعت ابن أبي مليكة يقول موضع المقام ـ هذا الذي هو بـه اليوم وهو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الا أن السيل ذهب به في خلافة عمر فجعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر ورده بمحضر من الناس .

وعن عروة بن الزبير قال : كان المقام عند سقع البيت . فأما موضعه الذي هو موضعه فموضعه الآن . وأما ما يقول الناس انه كان هنالك موضعه فلا .

وقال مالك في المدونة كان المقام في عهد ابراهيم عليه السلام في مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل . فكان ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر فلما ولى عمر رده بعدأن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخروه وعمر هو الذي نصب معالم الحرم بعد أن بحث على ذلك . قال مالك وبلغني أن الله تبارك وتعالى أوحى الى الجبال أن تنحى ، فتنحت حتى أرى الله ابراهيم موضع المناسك وهو قوله « وأرنا مناسكنا » هذا آخر كلامه في المدونة :

وقال الفقيه سند بن عنان في الطراز روى أشهب عن مالك قال سمعت من يقول من أهل العلم ان ابراهيم عليه السلام أقام هذا المقام وقد كان ملصقا بالبيت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وقبل ذلك وانما ألصق به لمكان السيل مخافة أن يذهب به فلما ولي عمر أخرج خيوطا كانت في خزانة الكعبة وقد كانوا قاسوا بها ما بين موضعه وبين البيت في الجاهلية اذ قدموه مخافة السيل فقاسه عمر وأخره الى موضعه اليوم وكان السيل يأتي

من الجبال الى الوادي والبيت في وسط الوادي فيدخل السيل فرفعت العرب بابه وقدموا مقام ابراهيم اليه فالصقوه بالباب ، قال مالك والذي حمل عمر على ذلك والله أعلم ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكره من كراهية تغيير مراسم ابراهيم عليه السلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة « لولا حدثان قومك بكفر لنقضت البيت » الحديث فرأى عمر أنه ليس فيه تغيير لمكان ما رآه من مراسم ابراهيم عليه السلام.

وفي هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الازرقي عن ابن أبي مليكة وسياق لفظ حديث الصحيح الطويل وما روى نحوه يشهد بترجيح قول ابن أبي مليكة وذلك قوله ( ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فجعل المقام بينه وبين البيت ) والمتبادر الى الفهم عند سماع هذا اللفظ أنه لم يكن حينئذ ملصقا بالبيت لانه لايقال في العرف تقدم الى كذا فجعله بينه وبين كذا الا فيما يمكن أن يقدمه أمامه وان يخلفه خلفه واذا كان ملصقا تعين التقديم لا غير ، أما ما ذكره الازرقي عن المطلب بن أبي وداعة فيحتمل أمرين ( أحدهما ) أن يكون قول عمر أنشد اللهعبدا علم عن هذا المقام أين موضعه أي الذي كان فيه في عهد النبوة وهو المتبادرالى الفهم وعليه دلت القرينة المتقدم ذكرها لانه كان بحاثا عن السنن وقافا عندها وكذلك فهمه إبن أبى مليكة فلذلك أثبت أن موضعه اليوم هو الموضع الذى كان فيه في عهد النبوة وأن الصاقه بالكعبة انما كان لعارض السيل ( الاحتمال الثانى ) أن يكون عمر رضي الله عنه سأل عن موضعه في زمن ابراهيم عليه السلام

ليرده اليه لعلمه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بقاء مراسم ابراهيم ويكره تغييرها ويكون سبيله صلى الله عليه وسلم في تقرير المقام ملصقا بالبيت الى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرير ما كان من الكعبة في الحجر تألفا لقريش في عدم تغيير مراسمهم فلذلك سأل عن مكان المقام في زمن ابراهيم عليه السلام ليرده اليه اعتمادا على ما بلغه وذلك مشهور ، وعلى هذا فـــلا مناقضة بين ما نقله المطلب وما نقله الامام مالك فيكون الجمع بينهما أولى من دحض أحدهما ويكـــون ابن أبى مليكة قال ما قاله فهمـــا من سياق ما رواه المطلب رضي الله عنه والامام مالك أثبت ما أثبته جازما به ولا يكون ذلك الا عن توقيف فكان الجمع أولى والله أعلم •

( قلت ) وحاصل ما ذكره المحب في الجواب أن لدينا مسلكين ( مسلك ) الترجيح بتقديم رواية ابن أبي مليكة لانه يؤيدها سياق الحديث الصحيح في صفة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما يتبادر الى الفهم الصحيح : ( ومسلك ) الجمع بين الروايتين وهو أوفق مهما أمكن ، وعلى كل فالظاهـــر من ذلك أن وضع المقام الذى نزلت في شأنه آية ( واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ) توقيفى سواء قلنا ان موضعه الاول كان ملصقا بالبيت كما هو الرأي المرجوح أو كان موضعه في عهد النبوة كما هو موضعه الآن ومضى عليه نحو أربعة عشر قرنا وهو الراجح •

( فان قيل ) يفهم من التقرير السابق بقطع النظر عن الترجيح والمرجح أن المقام المذكور قد عرض في شأنه النقل في الجملة ان كان في الجاهلية ملصقا

فأقره عليه الصلاة والسلام بالبيت فكان سبيله سبيل تقرير ما كان من الكعبة في الحجر تأليفا لقريش الى آخر ما سبق ، وأما النقل من البيت من قبل سيدنا عمر الى هذا الموضع كما في خبر ابن أبى مليكة فهل يسوغ نقله اليوم لاتساع المطاف للطائفين ؟؟ ويكون هذا مبررا للنقل مع الاستناد الى الاختلاف السابق وتبقى الكعبة المقدسة كما هي قبلة للمصلين ومطافا للطائفين لايزاحمهم مقام غاية ما هنالك أن يتخير للمقام مكان في أطراف المسجد الحرام يليق بمكانته وهل قال بذلك أحد من علماء السلف أو محققى العلماء المتأخرين استنادا على ذلك ( فالجواب ) أنك قد علمت أن المقام ووضعه في مكانه السابق أمر توقيفى سواء قيل انه كان ملصقا بالبيت كما هو الرأي المرجوح أو في موضعه المثبت به من زمن النبوة أو زمن عمر بن الخطاب الى الآن كما هو الرأي الراجح وأنت تعلم أن الامور التوقيفية لا يسوغ أن يدخلها تغيير أو تبديل لا سيما ما كان من شعائر الله تعالى ومعالم دينه المقدسة التى قال الله عنها ( ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ) فشعائر الله تعالى ومعالم دينه لها مكانها المقدسة ومن مظاهر تعظيمها المحافظة عليها والبعد عن التصرف فيها بما يعد تبديلا وتغييرا ( على أنك ) لو ذهبت الى أبعد الفروض وقلت ان ذلك النقل انما كان من عمر بن الخطاب عن موضعه الاول النبوي ولم تلاحظ اهتمام أمير المؤمنين بذهاب السيل به حتى وجدوه فالصقوه بالبيت وسفر عمر بن الخطاب في الحال من المدينة في رمضان الى مكة والبحث عنه وسؤال الحاضرين واحضار المقاط لذرعه الى آخر ما تقدم ( أفليس عمر بن الخطاب أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم من قبل صاحب الشرع

المعصوم ) فلا أقل أن تكون تلك سنة عمرية لها مكانتها ، وينبغي أن تلاحظ بعض ما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من المزايا السامية سوى صحبته لسيد الوجود حضرا وسفرا التى تختص به ولا توجد في غيره ولا فيمن يوجد بعد الى يوم القيامة مهما علا كعبه ، وسما أفقه . فان آية واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى انما نزلت بسببه واشارته وقد قال وافقت ربى في ثلاث أو قال وافقنى ربى في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ، فنزلت وهذا في صحيح الامام البخارى .

زد على هذا أن عمر بن الخطاب كان ملهما بالصواب ومحدثا به كما قال عليه الصلاة والسلام لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يكن في أمتى أحد فانه عمر . رواه الامام البخارى في صحيحه عن أبى هريرة ومسلم كذلك عن عائشة ، وان عمر اختص بتأهله للنبوة لو كان نبي بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الامام أحمد والترمذى فيما يرويه عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان نبى بعدى لكان عمر بن الخطاب ونقله المحب الطبرى في الرياض وقال في بعض طرقه لو لم أبعث لبعثت يا عمر ، ( هذا ) وقد كان عمل عمر رضي الله عنه المذكور بمحضر الجم الغفير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقروه على هذا العمل بذلك المقاس المحافظ عليه وهم القوم الذين لا ينافقون ولا يداهنون ولا يحابون ، كيف ومنهم الذى قال لعمر يوم ولى أمر المسلمين لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بسيوفنا ، فقابل هذا بحمد الله تعالى على ذلك فلا جرم أن يكون نقل عمر

للمقام الى هذا الموضع أمرا مجمعا عليه من أولئك القوم أهل الحل والعقد واستمر على ذلك كالعمل المتوارث الى هذا العهد .

أما نقله من هذا الموضع لا الى البيت الحرام ملصقا بل الى موضع آخر بطرف المسجد الحرام فلم أقف فيه على قول لاهل العلم بل الذى يظهر كل الظهور أن مثل هذه الفكرة يبعد أن تخطر على المفكرين من أهل العلم فضلا عن أن تثبت قولا لهم بالجواز ، ولعل بعض تلك المعانى السامية التى حظى بها عمر بن الخطاب دون غيره تؤيد هذه السنة العمرية مع ما تقدم من الادلة التى يستأنس بها في الموضوع وتوالى القرون العديدة من عهده الى هذا العهد ولا يزال البيت الحرام والمقام يصلى عنده الطائفون في تعظيم ومكانة في الصدور والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وهو الهادى الى سواء السبيل لا رب غيره .

# زمـــزم

## تاريخــه - فضــله



منظر عام للكعبة المعظمة

ويظهر بئر زمزم . وكان عليه من قبل بناء يسمى بيت بئر زمزم وفوقه غرفة تسمى بمقام الشافعى ويظهر باب بنى شيبة وهى عبارة عن عقد خلف مقام ابراهيم ويظهر المنبر ويظهر المقام الحنفى أمام ميزاب الكعبة وكل هذا هدم فى التوسعة الجديدة للحرم .

# بئـر زمـزم عبر القـرون

مـاء زمزم عرف عبر القرون بنقاوته حيث إن مياهه لم تتأثر قط بأية شوائب ومن قدرة الله سبحانه وتعالى أنه عندما حدث سيل عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ووصوله إلى باب الكعبة المشرفة إن مياه زمزم كانت تتدفق من البئر إلى الخارج ولم تختلط بأية مياه تأثرت بها منطقة المسجد الحرام.

ومنذ أن طبق نظام أخذ عينات من المياه وتحليلها لم تسجل في أي وقت من الأوقات أي شائبة تنقص من نقاء المياه المأخوذة مباشرة من البئر أو تقلل من صلاحيتها للشرب بكل المقاييس المأخوذ بها في هذا المجال.

ونتناول في هذا التحقيق بئر زمزم عبر مختلف العصور والمراحل التي مرّ بها والإصلاحـات والمشاريع التي أدخلت عليه.

## زَمْـزَم عبـر القـرُون :

تميز ماء زمزم بوفرته رغم كثرة زوار بيت الله الحرام حـجّاجاً ومعتمرين وزواراً حيث بلغ متوسط المستهلك من مائه في اليوم السابع من شهر ذي الحجة خلال السنـوات الخمس المـاضية عشرة آلاف لتر مكعب يوميا بمعدل ضخ مقداره **٧٦٥** لتـرا مكعبا في الساعة وكان ماء زمزم قد قـلّ في القرون الماضية عدة مرات سجلها المؤرخون الذين ذكروا أن ماء زمزم قد قـلّ بشكل كبير عام **٢٢٣** وعام **٢٣٤** الهجريّين حتى كاد يجف فَزيد عمقه تسعة أذرع في الأرض ثم ماء زمـزم ثم زِيدَ عمقـه في خلافـة هارون الـرشيد والمهـدي وفي عهود عديدة بعدهما.

## في عهـد الخلفاء :

وقد كان بئر زمزم موضع عناية كثير من الخلفاء الذين كانوا يدخلون كثيرا من التحسينـات على البئـر في سياق عنـايتهم بالمسجـد ففي عهـد أبي جعفـر المنصور. كُسيت أرض البئر بالرخام عام ١٣٧ هـ. وضُعِتْ له قبة وشباك ثم جدد المهدي عمارة البئر في العام ٣٢٠ هـ. كانت زمزم مكشوفة إلا قبة في أعلى البئر فأمر المعتصم بالله العباسي بسقف بيت زمزم بالسياج المذهب من الداخل وفي أوائل القرن التاسع الهجري عمرت مظلة المؤذنين فوق زمزم عدة مرات وأجريت ترميمات واصلاحات، منها: وضع شبكة من الحديد منخفضة على سطح البئر عام ١٠٣٠ هـ ثم وضعت شبكة من الحديد فوق الدارابزين عام ١٣٣٣ هـ وانتهى أمر بيت زمزم إلى حجرة مربعة الشكل أبعادها ٨,٣٥ م، ٨,٣٥ م تجاورها حجرة صغيرة للاغوات وبجوارها الدرج الذي يعلو بيت زمزم ثم عملت مظلة يستظل الناس تحتها عام ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م.

## في العهد السـعودي:

وعند تنفيذ التوسعة السعودية الأولى للمطاف عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م وضع تصميم فريد بعمارة بيت زمزم روعى فيه إزالة ما يضيق على الطائفين من بقاء بيت زمـزم أعلى الأرض وكذلك تيسير رؤية البئر وأنشئت مناهل بحَذَرٍ كافٍ للرجـال والنسـاء وتصـريف للمعدوم من المياه فأزيلت بيت زمزم من صحن المطاف وأقيمت بناية أخرى مكانها تحت الأرض بحيث صار سقفها مساوياً لأرض المطاف بذلك باتت سقاية الناس من بئر زمزم أفضل مما كانت عليه.

## تصميم فريد

وجعل للبئر جدار ساند من الخرسانة المسلحة وكسي بالرخام بنصف قطر (٤,٩٠م) يحد الجانب الغربي للبئر جهة الكعبة المشرفة ويحده من الجوانب

الأخرى بنفس القطر حاجز نصف دائري من قوائم معدنية وألواح شفافة من مادة البولسترين تسمح برؤية البئر وتقاوم الضغط أثناء الزحام وظهر من فوهة البئر على هذا المنسوب الجديد للأرضية ارتفاع (١,٣٠م) كسى بالرخام كما فُرشت الأرضية كذلك بالرخام.

## أرقى مستوى.

وعلى الزيادة المطردة لزوار بيت الله الحرام وتزايد الطلب على مياه زمزم وما تبع ذلك من أعمال وصلت السقاية إلى أرقى وأفضل مستوى لها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ذلك أنه بات بوسع رواد الحرم أن يجدوا المياه المبردة في متناول أيديهم في أي موقع داخل المسجد وخارجه حتى بلغ إستهلاك المياه في الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م أربعمائة وسبعين مترا مكعبا في الساعة واستهلاك ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك من نفس العام ستمائة وخمسين مترا مكعبا في الساعة ونفس المعدل تقريبا خلال النصف الأول من شهر ذي الحجة من السنة نفسها بينما بلغ ليلة التروية **٧٦٥** متراً مكعباً في الساعة.

## زمـزم الأم:

يتم توزيع مياه زمزم عن طريق منطقة البئر الرئيسية التي تعرف باسم زمزم الأم وتضم وحدات رخامية مزودة بصنابير من الكروم وحوض من الصلب غير القابل للصدأ فيها **٣٤٩** وحدة في قسم النساء والمياه فيها مبردة والمنطقة مزودة بأكملها بأجهزة تبريد الهواء كما يجرى التوزيع عن طريق مجمعات زمزم في البدروم والطابق الأرضي والأول من مباني المسجد وعلى جدرانه من الداخل في سبعـة مواقع بالبدروم وثمانية مواقع في الطابق الأرضي وتسعة مواقع في الطابق الأول وكلها مزودة بوحدة رخامية مجموعها **٣٩٤** وحدة منها **٩٦** وحدة

في الجهة الجنوبية وبكل طابق منها ٣٢ وحدة وفي الجهة الغربية من المسجد ١٤٤ وحدة وفي كل طابق ٤٨ وحدة ومثلها في الجانب الشمالي وعشر وحدات في الطابق الأول جهة المسعى وهذا إضافة إلى مجمعات (الترامس) والثلاجات في أروقة المسجد (المبنى القديم) وعددها ثلاثة عشر مجمعا في كل منهما خمس وعشرون ثلاجة سعة أربعين لترا لحفظ المياه المبردة. وفي المحيط الخارجي لصحن المطاف يوجد أحد عشر مجمعا لترامس المياه وفي أروقة الحرم والمسعى توجد ثلاثة آلاف ترمس في الأيام العادية تزداد إلى خمسة آلاف في أيام المواسم سعة الواحد منها أربعون لترا.

**مجمعات زمزم :**

ويجرى توزيع مياه زمزم أيضا عن طريق مجمعات زمزم خارج أبواب الحرم، وفي كل مجمع خمسة عشر صنبورا وقد استحدثت هذه المجمعات لاستخدامها أيام الحج وكذلك سبل زمزم لملء الأواني (الجوالين) خارج المسجد وهناك مجمعات لهذا الغرض لكل خمسة وعشرين صنبورا والأول يقع في الساحة شرقي الحرم في مواجهة باب علي والثاني يقع عند منعطف الطريق أمام الشبيكة في الجهة الغربية للمسجد.

ويعتبر سبيل الملك عبدالعزيز في الهجلة من أهم مناهل زمزم لتعبئة الناقلات من السيارات الصغيرة والكبيرة إلى جانب ما يحويه من صنابير لتعبئة الأوانى (الجوالين) وهناك موقعان لتزويد السيارات أولهما خاص بالرئاسة العامة لشئون الحرم المكي والحرم المدني لنقل ماء زمزم إلى المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة حيث تنقل منه أربعون طنا من المياه يومياً وتزداد هذه الكمية أيام المواسم أما الموقع الثاني فيقع في نهاية أنفاق قلعة أجياد في مواجهة باب الملك وقد بدىء بتشغيله في أواخر شهر رمضان عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

أما بالنسبة لباقي تجهيزات السقاية فقد مدت شبكة لسحب المياه من بئر زمـزم عبر نفق خدمة يقع أسفل صحن المطاف ومباني المسجد إلى الساحة الشمالية ومنها إلى الخزان أعلى باب الفتح وأقيم مبنى المعدات الذي يحتوي على جميع معدات تبريد مياه زمزم وهواء البدروم وقد تكلف إنشاؤه ستين مليون ريال وبدىء بتشغيله في موسم حج عام **١٤٠٣هـ ١٩٨٣**م.

## سـحب المياه :

تبدأ عملية السقاية باستقبال ماء زمزم من البئر خلال نفق الخدمة وتنقل المياه مع أنابيب من الصلب غير القابل للصدأ حيث تخزن في خزائن سعة كل منهما ستون متراً مكعباً وفي بدروم المبنى توجد ثلاثة مبردات حرارية لإمداد بدروم زمزم ومناهله بالمياه المبردة إضافة إلى مجموعة مضخات وخزائن ضغط هواء لرفع المياه المبردة وتوصيلها إلى أماكن التوزيع بالحرم.

## تبريـد الميـاه :

وفي هذا المبنى يتم تبريد الهواء اللازم للمرحلة الأولى من تبريد مياه زمزم بواسطة معدات تتولى تبريد ستين متراً مكعباً من الهواء في الساعة لتبريد مياه قسم الرجال وحوالي ستة وأربعين متراً من الهواء في الساعة لتبريد قسم النساء ويتم التحكم لجميع المعدات أليكترونيا بواسطة الكمبيوتر الذي يبيِّن للفنيين المشرفين على التشغيل حالة كل قسم ودرجة الحرارة.

وفي غرفـة التحكم هذه يتم التحكم في كميات المياه وقوة ضغطها وتبلغ الطاقة الكهربائية لخدمة هذا المرفق **٣٥٠٠** كيلو فولت.

وقد جهز المبنى بشبكة صرف عبر نفق الخدمة.

**التعقيم بالأشعة :**

وبعد التوسع في شبكة التوزيع التي تمتد إلى أكثر من تسعة آلاف متر طولي وتعدد أماكن التخزين استخدمت أشعة فوق البنفسجية للتعقيم وهي عبارة عن مصابيح خاصة تمر المياه عليها فلا يتغير طعمها ولا لونها ولا تركيبها ولا يضاف إليها شيء. وتستخدم الأكواب البلاستيكية التي تستعمل لمرة واحدة في أعمال السقاية ويتم تأمين عدة ملايين منها كل عام. أما بالنسبة للثلج الذي يضاف إلى الخزانات عند الحاجة فإنه يصنع خصيصاً من مياه زمزم في أحد المصانع حيث تُنقل المياه إلى المصنع وتعاد إلى المسجد الحرام المبارك بعد تحويلها إلى ثلج.

**إضـاءة البئر :**

وعلى الجانب الشرقي من البئر وعلى نفس المنسوب أسفل المطاف أيضاً أنشىء بدروم بمسطح **١٤٥٠** متراً مربعاً أضيء بمصابيح متوهجة تعطي ضوءاً غير مباشـر يريح العين عنـد الانتقـال من المطاف إلى منطقة زمزم الرئيسية وقسمت هذه المسـاحة بجدار فاصل إلى قسمين وُضعت في إحداهما **٣٤٠** وحـدة رخـامية زُودت كل منهـا بصنبـور وحـوض من المعدن المقاوم للصدأ (ستانلس ستيل)، ووضعت في القسم لسقيا النساء فبلغ المجموع بذلك **٤٥٠** وحـدة للسقاية تخدم ما يقارب مليون شخص في اليوم الواحد ووضع الدرج المؤدي إلى منطقة زمزم الرئيسية في نهاية صحن المطاف وفي ركنه الجنوبي الشرقي جهة الصفا وهو بعرض **٤٠** مترا وله **٣٣** درجة وقد فرشت أرضية زمزم برخام جعل سطحه خشنا بعض الشيء تحسباً لوجود مياه بالأرضية رغم عمل تصـريف وميول طبقـاً لمـواصفات هندسية معينة ويظهر موضع بئر زمزم على أرضية المطاف الرخامية على شكل دائرة برخام أسود مكتوب في وسطها برخام

أسـود أيضـاً كلمـة: (زمزم) وهذه الدائرة على شكل غطاء يرفع عند الحاجة لإجراء الصيانة لمعدات ضخ المياه من البئر.

## تطور أساليب السقاية من البئر:

أما السقاية من ماء زمزم فقد مرت بمراحل عديدة حيث كان الماء في عهد العباس ينضح من البئر ويوضع في أحواض. وفي عهد المهدي كانت السقاية تتم بواسطة ملبن ساج مربع ركب على البئر وفيه اثنتا عشرة بكرة يستقى عليها ثم تطورت الطريقة حيث وضع الماء في خزانات مكشوفة ذات صنابير يصب منهـا في أواني الشرب بجانب قيام الزمازمة بتوزيع المياه في أروقة المسجد الحرام المبارك وخارجه باستخدام القرب ثم الدوارق الفخارية.

## المضخات الغاطسة:

وفي عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م استخدمت المضخات الغاطسة في توزيع مياه زمـزم، أمـا بداية توزيع المياه بشكله الحـالي فقـد كانت مع مشروع توسعة المسجد الحرام حيث ضخت المياه من البئر إلى خزان في سطح الحرم جهة باب السلام ثم وُزعت المياه من الخزان عبر ماسورة قطر ٣ بوصة تغذي ١٥٥ صنبـورا في غرفـة الزمازمة و ٣٩ صنبوراً في منطقة زمزم الرئيسية مركبة على ارتـفـاع نصف متـر من سطح الأرض وفي عام ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م وُضِعت التصميمـات لتجديد منطقة بدروم زمزم ضمن أعمال مشروع توسعة المطاف وتصرف المياه في الحرم وبُوشِرَ في تنفيذ المشروع عقب ذلك.

## البرادات الكهربائية:

وبعد تطهير بئر زمزم وتنظيفه في ١٣٩٩/١٠/٣٠هـ - ١٩٧٩م تقرر إيقاف استخـدام الـدوارق الفخارية داخل المسجد في أعمال السقاية ووضع نظام

توزيع وهو عبارة عن مجمعات للمياه في أماكن متفرقة بأروقة الحرم، وتتصل هذه المجمعات ببرادات كهربائية إضافة إلى عدد من الثلاجات الحافظة للبرودة سعة ٤٠ لتراً في أماكن على دائرة المطاف ودائرة المبنى القديم للمسجد وفي أماكن متفرقة بأدوار التوسعة السعودية إضافة إلى إنشاء سبل بدروم الحرم لاستخدامها في ملء الأواني «الجوالين».

**ما جاء في ماء زمزم :**

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ماء زمزم لما شُرب له»**. رواه أحمد وابن ماجه.

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة والبيهقي والدارقطني والحاكم وصححه المنذري والدمياطي وحسنه الحافظ.

وزاد الدارقطني: وإن شربته مستعيذا أعاذك الله، قال: فكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا، وشفاء من كل داء».

وأخرج الدينوري في المجالسة قال: كنا عند ابن عيينة فجاء رجل فقال: يا أبا محمد الحديث الذي حدثتنا به عن ماء زمزم صحيح؟ قال: نعم. قال: فإني شربته الآن لتحدثني مائة حديث، قال: اجلس، فحدثه مائة حديث.

وفي الباب عن أبي ذر مرفوعاً عند أبي داود الطيالسي في مسنده قال: **«زمزم مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم»**. وهو بهذا اللفظ في صحيح مسلم. وجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أن

(١) مرفوعاً أي قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله. (رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب).

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السّقاية ـ أي سقاية زمزم ـ فاستسقى فقال: «**اعملوا فإنكم على عمل صالح ولوْلا أن تُغلبوا لنَزَلْتُ حتى أضع الحبْلَ يعنى على عاتقه وأشار إلى عاتقه**». **(رواه البخاري)**.

قال الشوكاني: قوله: «**ماء زمزم لما شرب له**» فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة لأن «ما» في قوله «لما شرب له» من صيغ العموم (قوله: كان يحمله) فيه دليل على أنه لا بأس بحمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة. (قوله: لولا أن تغلبوا) وذلك بأن يظن الناس أن النزع سُنة، فينزع كل رجل لنفسه فيغلب أهل السقاية عليها.

وفي الحديث استحباب الشرب من ماء زمزم، وما قيل من أن الشرب جبلى فلا يدل على الاستحباب إذ لا تأسى في الجبلى مدفوع بأن القصد إلى ذلك المحل والأمر بالنزع، وإعطاء أسامة الفضلة ليشربها من غير أن يستدعى الماء كما في صحيح مسلم مما يدل على أن الشرب للفضيلة لا الحاجة. أ. هـ. (نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٩٤).

# أسماء زمزم

( وأما أسماؤها ) فزمزم وشباعة ومروية ونافعة وعافية وميمونة وبركة وبرة ومضنونة وكافية ومعذبة وشفاء سقم وطعام طعم وهزمة جبريل وسقيا اسماعيل فأما زمزم ففيه لغات المشهورة زمزم بفتح الزاى وسكون الميم الثانية زمزم بفتحها أيضا وتشديد الميم الثالثة زمزم بكسر الزايين وتشديد الميم سميت بذلك لوجوه فقيل لكثرة مائها فتكون مشتقة من قولهم ماء زمزوم وزمزام أي كثير وقيل لزمزمة الماء فيها أي حركته وقيل لزمزمة جبريل عليه الصلاة والسلام أي كلامه قال في القاموس الزمزمة أي بفتح الزاى الاولى والثانية وسكون الميم الاولى وفتح الثانية الصوت البعيد له دوى وتتابع صوت الرعد وهو أحسنه صوتا وألينه مطرا وفي النهاية الزمزمة الصوت الخفى وقيل لزم هاجر لمائها حين انفجرت أي ضمها اياها وحصرها لها بالتراب وقيل لانها زمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا وقيل لان عبدالمطلب رأى في منامه أن قائلا يقول له أحفر زمزم كما يأتى ( وأما ) شباعة فبفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وفتح العين المهملة من الشبع ضد الجوع سميت بذلك لحصول الشبع عند شربها بقصد ذلك كما يأتى ( وأما ) مروية فبضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر الواو وتخفيف المثناة التحتية من الرى ضد العطش يقال روى من الماء واللبن كرضى ريا بكسر الراء وريا بفتحها وروى

بكسرها أيضا سميت بذلك لشدة قمعها للظمأ ( وأما ) نافعة فبنون بعدها ألف ثم فاء فعين مهملة من النفع ضد الضر سميت بذلك لكثرة منافعها التى لا تحصر من جملتها أن شربها يقوى القلب ويسكن الروع كما يأتى ( وأما ) عافية فبالعين المهملة والفاء بعدها مثناة تحتية من عافاه الله من كذا معافة وعافية وهب له العافية من العلل والبلايا سميت بذلك لدفع كثير من العلل بشرب مائها فكم ابرأ الله بمائها من الامراض ما عجزت عنه حذاق الاطباء ( وأما ) ميمونة فبفتح الميم الاولى وسكون المثناة التحتية وضم الميم الثانية من اليمن وهو البركة سميت بذلك لان بركتها مأثورة فقد شربها جماعة من السلف والخلف لكثير من المقاصد والمآرب فنالوها كما يأتي ( وأما ) برة فهو بدون ال وبفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المهملة من البر بكسر الموحدة ضد العقوق أي ذات بر واحسان لشاربها لما يناله ويحصل له من بركتها ( وأما ) مضنونة فهو بفتح الميم وسكون الضاد المعجمة وضم النون بعدها واو ثم نون مفتوحة بعدها هاء من ضن به يضن ضنا اذا منعه عن غيره أي لنفاسته اذ الضنين النفيس سميت بذلك لان الناس يضن بعضهم على بعض بها لكونها نفيسة وقد منع الله تعالى منها قوما من العرب سكنوا حولها فعصوا وتهاونوا بحرمة الكعبة فطردهم الله عنها ومنعهم اياها ( وأما ) كافية فمن الكفاية أي التى تكفى من شربها عن الميل والطلب لغيرها لما يحصل له من الرى بها ( وأما معذبة ) فهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الذال المعجمة وفتح الموحدة من أعذب الماء أي صار عذبا أي مانعا للعطش لحلاوته يعنى ذات عذوبة وحلاوة فهو بمعنى مروية ( وأما ) شفاء سقم فهو علم اضافي والاضافة

فيه على معنى اللام سميت بذلك لان شـرب مائها سبب في شفاء كثـير من الاسقام ودفع الآلام ( واما طعام طعم ) فهو علم اضافي أيضـا بضم الطـاء الثانية وسكون العين المهملة التى بعده وهو الذى يشبع من أكله سميت بذلك لحصول الشبع عند تناولها فهو بمعنى شباعة ( وأما هزمة جبريل ) فبفتح الهاء وسكون الزاى وفتح الميم من هزمه يهزمه اذا غمزه بيده فصارت فيه حفـرة فالهزمة موضع الهزم أي الغمز والضـرب ويروى همزة جبريل بفتح الهـاء وسكون الميم مقدمة على الزاى من همز يهمز بكسر الميم في المضارع ويهمز بضمها أيضا همزا اذا اغمزه أيضا أو ضغطه أو دفعه أو ضربه فهو بمعنى مـا قبله سميت بذلك لضرب جبريل عليه الصلاة والسلام بعقبه لها ولان عبدالمطلب رأى في الرؤيا الآتى ذكرها قائلا يقول له زمزم وما زمزم هزمة جبريل برجله وسقيا اسماعيل وأهله زمزم البركات تروى الرفات الواردات شفاء سـقم وخير طعام وقد جاء أيضا في مبتدء حديث الوضوء مثل هذا وهو أن جبريل همز للنبى صلى الله عليه وسلم بعقبه في الوادى فنبع الماء .

**تاريخهـــا :**

أول من أظهرها جبريل عليه الصلاة والسلام سقيا لاسماعيل عليه الصلاة والسلام عندما ظمىء وهو صغير ثم حفرها الخليل عليه الصلاة والسلام ثم أظهرها عبدالمطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن الله عز وجـل أمر ابراهيم الخليل بالمسير من الشام الى بلد الله الحرام فركب البراق وحمل اسماعيل امامه وكان رضيعا وقيل كان ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل

يدله على موضع البيت فوضعهما ابراهيم عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس فيها ماء ولا عمارة ولا زراعة وأمرها أن تتخذ فيه عريشا فلما أراد ابراهيم ان ينصرف راجعا الى الشام ورأت هاجر أن ليس بحضرتها أحد من الناس ولا ماء ظاهر تركت ابنها اسماعيل في مكانه وتبعت ابراهيم فقالت يا ابراهيم الى من تدعنا فسكت عنها حتى اذا دنا من كدا قال الى الله أدعكم قالت فالله أمرك بهذا قال نعم قالت فحسبى تركتنا الى كاف وخرج ابراهيم حتى وقف على كدا ولا بناء ولا ظل ولا شيء يحول دون ابنه اسماعيل فنظر اليه فادركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال : ربنا انى اسكنت من ذريتى الآية وانصرفت هاجر الى ابنها وعمدت فجعلت عريشا في موضع الحجر بكسر الحاء المهملة من سمر بفتح السين المهملة وضم الميم والقت عليه ثماما بضم المثلثة وتخفيف الميم وفي رواية أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء فلما نفذ الماء عطش اسماعيل وعطشت أمه وانقطع لبنها فأخذ اسماعيل كهيئة الموت فظنت أنه ميت فجزعت وخرجت جزعا أن تراه على تلك الحالة وقالت يموت وأنا غائبة عنه أهون علي ثم ظهر لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه مكان البئر فظهر الماء فوق الارض وفي الحدائق فبحث جبريل بعقبه أو قال بجناحه على شك الراوى وجعلت هاجر تزم الماء أي تحصره خيفة أن يفوتها قبل أن تأتى بشنها فاستقت وبادرت الى ابنها فسقته قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا ( ثم )

ان الجرهمى عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله تعالى الحوادث قيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد عمرو المذكـور الى نفائس الاشياء من أموال الكعبة وكان من جلتها غزالان من ذهب وأسياف سبعة كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة ووضعها في زمزم وطمها وبالغ في طمهـا ودفنها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم مدفونة مغيبة أكثر من خمسمائة سنة لا يعرف مكانها الى أن أظهرها عبدالمطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بعلامات عرف بها موضعها في رؤيا رآها متكررة ثلاث مرات فحفرها وأظهرها ولم تزل ظاهرة بحمد الله تعالى الى الآن والى ما شاء الله تعالى .

**فضـل زمـزم :**

قد ورد في فضل زمزم أحاديث كثيرة لكن البخارى لم يذكرها لكونها لم تكن على شرطه صريحا ووقع في صحيح مسلم من حديث أبى ذر ماء زمزم طعام طعم وزاد الطيالسي وشفاء سقم .

وفي المستدرك من حـديث ابن عباس مرفوعا ماء زمـزم لما شـرب له وصححه البيهقي في الشعب وابن عيينة وابن حبـان ووثق رجاله الحـافظ الدمياطى وكذلك الحافظ العسقلانى حيث قال في الفتح بعد نقله هذا الحديث رجاله ثقات الا أنه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح انتهى .

وحذا حذوهما القسطلانى حيث قال بعـد ايراده حـديث المستدرك المذكور وبالجملة فقد ثبتت صحة هذا الحديث أعنى حديث ماء زمزم لمـا

شرب له ومعناه انك ان شربته لتستشفى به شفاك الله • وان شربته لشبعــك اشبعك الله • وان شربته لقطع ظمأ قطعه الله تعالى •

وهكذا وقد ورد عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى انه شربه للعلم والفقاهة فكان أفقه زمانــه •

قال البكرى رحمه الله تعالى وأنا قد جربت ذلك فوجدته صحيحا على أنى لم أشربه الا على يقين من هذا وتصديق بالحديث انتهى •

وفي البخاري عن الشعبي أن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه قـــال سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم قال الحافظ ابن حجر في الفتح فيه أي الحديث المذكور الرخصة في الشرب قائما انتهى أي فيكون النهي عن الشرب قائما الوارد في الصحيح نهي أدب وارفاق ليكون تناول المـــاء على ســكون وطمأنينة فيكــون أبعد من الفساد كما قالــه محي السنة •

قال على القارى اقول ويمكن أن يكون القيام مختصا بماء زمزم ونكتة التخصيص الاشارة الى استحباب التضــلع من مائه ثم قال ورأيت بعضهم صرح بأنه يسن الشرب من ماء زمزم قائما اتباعا له صلى الله عليه وسلم انتهى وبالجملة فيستحب الشرب من مائها والتضلع منه لما روى الدارقطنى والبيهقى مرفوعا آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم وقد جاء في حديث على رضي الله عنه خير بئر في الارض زمزم ولهذا الصلحاء يشربونه ويحملونه

معهم في أسفارهم اتباعا له صلى الله عليه وسلم فانه أو لمن حمل ماء زمزم عند رجوعه من حج البيت تبركا به واستشفاء •

والدعاء عند شربه مستجاب وأولى ما يشرب لتحقق التوحيد والموت عليه والعزة بطاعة الله •

قال ابن المنير وكأنه عنوان على حسن العهد وكمال الشوق فان العرب اعتادت الحنين الى مناهل الاحبة وموارد أهل المودة وزمزم هو منهل أهل البيت فالمتعطش اليها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد للاحبة والشرب منها ولذا جعل التضلع منها علامة فارقة بين الايمان والنفاق ولله در القائل •

( وما شربى للماء الا تذكرا     لماء به أهل الحبيب نزول )

وروى الفاكهى وغيره عن ابن عباس صلوا في مصلى الاخيار واشربوا من شراب الابرار قيل وما مصلى الاخيار قال تحت الميزاب قيل فما شراب الابرار قال ماء زمزم •

وبالجملة فمعرفة اسمائها وفضلها والتضلع من مائها من جملة البر بها والوفاء بحقها وحق أهلها كما أشار لذلك الفقيه الزاهد يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ رحمه الله تعالى حيث قال :

لعمرك ان تركى زمزما     لأسميه من باب العقوق

وكيف وماؤها بردت منه     رفاتى اذا حر من الحريق

وأرجـو من سقانيه هنا ان     سيسقينى كـذاك من الرحيق

ازمزم ها أنـا اسميك أيضا     لما قـدمت عندى من حقـوق

ومـا المحمود الا الله ربى     ورب الـكل والبيت العتيـق

( فائدة ) حكى في المجموع من كتب الشـافعية الاجماع على صحـة الطهارة بماء زمزم وانه لا ينبغى ازالة النجاسة به سيما في الاستنجاء لما قيل أنه يورث البواسير وذكر نحوه ابن الملقن في شـرح البخارى وهل ازالـة النجاسة به حرام أو مكروه أو خلاف الاولى أوجه حكاها الدميرى والطيب الناشرى من غير ترجيح تبعا للاذرعى والمعتمد الكراهة .

وقال العلامة المناوى في شرح الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له لانه سقيا الله وغياثه لولد خليله فبقى غياثا لمـن بعده فمن شربه باخلاص وجد ذلك الغوث قال الحكيم الترمذي : هذا جار للعباد على مقاصدهم وصدقهم في تلك المقاصد والنيات لان الموحد اذا رابه أمر فشأنه الفزع الى ربه فاذا فزع اليه واستغاث به وجد غياثا وانما يناله العبد على قدر نيته فان النية تبلغ بالعبد عناصر الاشياء ، والنيات على قدر طهارة القلـوب وسعيها الى ربها وعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على الطيران الى الله تعالى ، فالشارب لزمزم على ذلك .

وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها ، فقد صح عن امامنا الشافعى

رضي الله عنه أنه شربه للعلم فكان فيه الغاية ، وشربه للرمى فكان يصيب من كل عشرة تسعة ، وشربه أبو عبدالله الحاكم لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفا .

وقال الحكيم في نوادر الاصول عن والده انه اشتد عليه بالليل الاراقة وهو يطوف يخشى أنه ان خرج من المسجد أن يتلوث بأذى الناس وكان في الموسم فتوجه الى زمزم وشرب منها ورجع فلم يحس بالبول حتى أصبح اه .

وهذا من الغرائب فان زمزم تدر الاراقة ، ونحوه ما جرى لبعض الاصحاب أنه أصابه اسهال فشربه فذهب عنه مع أنه يطلق البطن غالبا . قال الشبلى والاولى ينبغي شربه لشفاء القلب من الاخلاق الذميمة وتحليته بالاخلاق العلية ، فاذا قصد شربه استقبل القبلة ثم ذكر الله تعالى وسماه ثم يقول اللهم بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء زمزم لما شرب له اللهم وانى اشربه لكذا ويسمى حاجته ويشرب كثيرا حتى يتضلع لقوله عليه الصلاة والسلام ( آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم ) رواه الدارقطنى ، والتضلع : الاكثار .

# مكة المكرمة

## تاريخها ـ فضلها ـ خصائصها



بناء مكة القديم

تقول سبيعة بنت الأحب في كلمة توصي ابنها فيها بتعظيم مكة وبيت الله تعالى وتذكر الملك تبع وما صنع بها .

أبنـــي لاتظلــــم بمـــــــكة لا الصغـــــير ولا الكبـــــير
أبنـــي قـــــد جربتهــــا فوجـدت ظالمهــــا يبـــور
ألله آمنهـــــا ومـــــــا بنيـت بعرصتهـــا قصـــور
والله آمــــن طيرهـــــا والعصـــم تأمــــن في ثبـــير
ولقـــد غزاهـــا تبـــع فكســا بنيتهـــا الحبـــير
وأذل ربــــي ملكــــــه فيهـــا فأوفى بالنــــــذور
ويظـــل يطعم أهلهــــا لحـــم المهـاري والجـــزور

# أسماء مكـــة

مـــكة أسماؤهـــا كثيرة أشهرها مكة وبكـــة

وقد إختلف في معنى تسميتها مكة بالميم فقيل لانهـــا تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم • وقيل لانها تمك الفاجر عنها أي تخرجه • وقيل كأنها تجهد أهلها من قولهم تمككت العظم اذا أخرجت مخه وقيل لانها تجذب النـــاس اليها من قولهم أمتك الفصل مـــا في ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيئا وقيـــل لقلـــة مائهـــا •

واختلف في معنى تسميتها بكة بالباء فقيل لانها تبك أعناق الجبابرة اذا ألحدوا فيها أي تدقها • والبك الدق وقيل لازدحام الناس بها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل لانها تضع من نخوة المتكبرين قاله الترمذي • وهـــذان الاسمان لمكة مأخوذان من القرآن العظيم من قوله تعالى : ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين •

وأخذلها منه عدة أسماء منها أم القرى قاله الضحاك في تفسير قولـــه تعالى : لتنذر أم القرى • واختلف في سبب تسميتها بذلك فقيل لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان فيهـــا بيت الله ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الاماكن سمى أما

لان الام متقدمة وقيل لانها قبلة تؤمها جميع الأمة • ومنها القرية قاله مجاهد في تفسير قوله تعالى : وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان •

والقرية اسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس من قولهم قريت الماء في الحوض اذا جمعته فيه ويقال للحوض مقراة ومنها البلد قال الله تعالى « لاأقسم بهذا البلد » قال ابن عباس هي مكة وقال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هي مكة ذكر ذلك عنه الفاكهي •

ومنها البلد الأمين قال الله تعالى : « وهذا البلد الأمين » قال الفاكهي فيما رواه بسنده الى ابن عباس في قوله تعالى « وهذا البلد الامين » قال يعني مكة وروى ذلك بسنده عن زيد بن أسلم •

ومنها البلدة قال الله تعالى « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » قال الواحدي في الوسيط هي مكة وقاله ابن برجان في تفسيره • وقال ياقوت في معجم البلدان « باب » البلدة ثلاثة مواضع • الاول في قوله تعالى بلدة طيبة ورب غفور » أراد بها مكة انتهى •

ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى : « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» كما في صحيح البخاري قال حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا يعلي قال حدثنا سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادك الى معاد قال الى مكة انتهى فهذه ثمانية أسماء لمكة

مأخوذة من القرآن العظيم ولم يذكر المحب الطبري من أسمائها المأخوذة من القرآن الا خمسة لانه قال سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء بكة ومكة والبلد والقرية وأم القرى انتهى .



صورة مبنى الحميدية في الخمسينيات

# تاريخ مكــة المكــرمة

قدم اسماعيل مكة أول ما قدمها وهي اذ ذاك فلاة ينبت فيهـــا السلم والسمر وبها ناس يقال لهم العماليق خارجا عن مكة فيما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء •

ولقدومه قصة يمكن تلخيصها في أن أباه ابراهيم كان ينزل في مشارف الشام وقد ضاقت زوجته سارة بجاريته هاجر التي ولدت لــه اسماعيل ولم تكتم ضيقها وكان ابراهيم برا بزوجه سارة فقبل عــن طيب خاطر أن يقصي الولد وأمه عنها وفي سبيل ذلك ارتحل بهما ليبلغ البقعة التي اختارها الله لمنزل اسماعيل ويضع وديعته في ظل دوحة في بطن هذا الوادي من مكة على خطوات من الربوة الحمراء حيث رفعت قواعد البيت فيما بعد وظلت ذراها سامقــة البنيان يستقبلها الى اليوم ملايين لايستوفى حصرها في أطراف الارض •

ثم انقلب ابراهيم راجعـــا على دابته واتبعت أم اسماعيل أثره قليلا ثم قالت الى من تتركني وابني ؟ قال : الى الله عز وجل •

أجل وقد تركها الى الله وقد رأينا قدرته جلّ وعلا تتجلى في هذا العالم الزاخر من ذرية ذلك الوليد •• رأينا مكان الدوحة التي أظلته يوما ينبثق عن أمه كان لها كيانها في التاريخ الحي •

ورجعت أم اسماعيل تحمل ابنها حتى قعدت تحت الدوحة فوضعت ابنها الى جنبها وعلقت مشنها تشرب منها وتدر على ابنها حتى فرغت المشنة فعطش ابنها واشتد عطشه فعمدت أم اسماعيل الى الصفا حين رأته مشرفا تستوضحه فرأت المروة فقالت لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الصبي ولا أراه .

فمشت بينهما ثم عادت حتى فعلت ذلك سبع مرات ثم رجعت تطالع ابنها فسمعت صوتا ثم خرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله الارض فظهر ماء فوق الارض فكانت زمزم بل كانت مكة ، وكانت هذه القبائل من عدنان ، ثم كانت قريش ، وكان بنو هاشم ، بل وكان الاسلام ، وكانت أعلامه التي خفقت فيما بعد في أكبر محيط من الارض .

واستقت هاجر وروت ابنها .. وبينا هي كذلك إذ مر ركب من جرهم قافلين من الشام فرأى الركب الطير على الماء ، فقال بعضهم ما كان بهذا الوادي ماء و لا انس فأرسلوا من أتى الى أم اسماعيل ،وعادا اليهم بالامر فأقبلوا عليها واستأذنوا في النزول على مائها فأذنت لهم فبعثوا الى أهليهم ، وسكنوا بهم تحت الدوح ، واعترشوا عليها العرش ، فكانت معهم هي وابنها حتى ترعرع الغلام وأعجبهم ، وتوفيت أم اسماعيل عليه السلام .

وكان طعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج معهم اسماعيل فيصيد فلما بلغ الحلم أنكحوه جارية منهم ، وأقبل ابراهيم عليه السلام من الشام

يطالع تركته فلم يجد اسماعيل ، وفي مرة أخرى وجده تحت الدوحـــة يبري نباله ،فسلم عليه ونزل عليه وقعد معه ثم قال ان الله أمرني أن أبني له بيتا •

ثم قاما يحفران عن القواعد : ( ربنا تقبل منا انك أنت السميع ) ويحمل اسماعيل الحجارة، ويشرع الشيخ عليه السلام في البناء ، فلما ارتفع البنــاء وشق على الشيخ وتناوله قرب اسماعيل حجرا يقوم عليه أبوه ويبني حونه في نواحي البيت حتى انتهى فسمى الحجر مقام ابراهيم لقيامه عليه •

وهكذا أنشأ اسماعيل مكة ورفع أبوه بمعونته قواعد البيت •

## ولاية جرهم على مكــة المكــرمة

لما مات اسماعيل عليه السلام قام بولاية مكة بعده ابنه ثابت الى أنمات، فقام بولاية مكة بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وهو جد ثابتأبو أمه وضم اليه بني ثابت وأولاد اسماعيل عليه السلام وصار ملكا بمكة عليهم وعلى غيرهم فلما كثرت قبيلة جرهم وكثر عددها ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها وبأطرافها فرحل منهم قسم كبير وانبسطوا في الارض قلما يأتون قوما أو ينزلون بلدا الا أظهرهم الله تعالى عليهم بسبب تمسكهم بدين اسماعيل عليه السلام حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العمالقة •

وصاروا هم ولاة مكة والبيت لاينازعهم أحد حتى ولا أولاد اسماعيل لخؤولتهم ولقرابتهم ولإعظام الحرم بأن يكون به بغي أو قتال •

ولا زال أمر جرهم يعظم في مكة ويستفحل وهم ولاة البيت وحجابه وحكامه وعظم شأنهم وكثر أتباعهم وسيطروا على من جاورهم •

وكان مضاض بن عمرو ملك والمطـــاع فيهم ، ثم أن جرهما استخفت بالبيت والحرم وارتكبوا أمورا عظاما وأحدثوا فيها المظالم ، فقـام مضاض الثاني بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض الاول وهو ملكهم خطيبــا فقال لهم : ياقوم احذروا البغي فانه لابقاء لاهله قد رأيتم من كان قبلكم مــن

العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم من مكة فتفرقوا في البلاد فلا تستحقوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله أوجاءه معظماً لحرمته أو جـــاءه بائعا لسلعته ومرتعبا في جواركم فانكم ان فعلتم ذلك تخوفت عليكم أنتخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لايقدر أحد منكم أن يصل الحرم ولا على زيارة البيت الذي هو لكم حرم وأمن فالطير تأمن فيه . فقال قائل منهم يقال له يجدع :

« من الذي يخرجنا منه ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجـــالا وأموالا وسلاحا » فقال مضاض الثاني له : اذا جاء الامر بطل ما تقولون » .

# ولاية خـزاعة عـلى مكـة

ثم أن جرهما بغوا في مكة واستحلوا المحرمات فيها وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدي اليها وفعلوا الزنا في داخلها . فسلط الله عليهم قبيلا من اليمن من أولاد قحطان ( خزاعة ) فأزاحهم ، وذلك أن عمرو ابن مــاء السماء وينتهي نسبه الى امريء القيس ثم يعرب قحطان ، وكانت منازله في جنوب الجزيرة ارتحل وقومه من منازلهم فرارا من سيل العرم ،ثم سار من بلد الى بلد ، لايطأ بلدا الا غلب عليه أهله وقهرهم ، ثم يرتحل وقومه ليبحثوا عن أفضل منه حتى وصلوا مكة ، وعليها مضاض فأبت جرهم أن تنزلهم طوعا وتعبأت لقتالهم فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزمت جرهم فلم ينج منهم الا الشريد وبذلك تم الفتح للقحطانيين واستقام الامر لهم في مكة .

ثم جاءهم بنوا اسماعيل عليه السلام وكانوا قد اعتزلوا الحرب وسألوا خزاعة السكنى معهم فأذنوا لهم .

فلما رأى ذلك الحارث بن مضاض الثاني وقد أحزنه خروجه من مـكة وأحب العودة اليها والسكنى بها ، فأرسل الى خزاعــة يستأذنها في الدخول عليهم والنزول معهم في مكة في جوارهم فأبت خزاعة ورفضت فأنشــأ يقول وهو حزين على خروجه من مكة أبياتا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فكنا ولاة البيت من بعد ثابت نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة وكذلك بين الناس تجري المقادر

وظلت خزاعة على أمرها في مكة يحكمها كبيرها عمرو بن لحي الذي بلغ شرفا كبيرا وكان عمرو أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الابل ولحمانها على الثريد وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برد اليمن ، وكان قوله فيهم دينا متبعا لايخالف وهو الذي وصل الوصيلة وحمى الحام وسيّب السائبة ونصب الاصنام حول الكعبة وجاء بهبل من الجزيرة فنصبه في في بطن الكعبة . فكانت قريش والعرب تقتسم بالازلام وهو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام .

وولي البيت عمرو بن لحى وولده خمسمائة عام لم يخربوا في البيت شيئا ولم يبنوا فيه حتى آل أمره الى قصي بن كلاب وهو الذي جمع قريش ولم يزل أمر مكة يتسلسل في أبناء قصي وذريته مع حصول اختلافات ومنازعات بينهم حتى انتهت الرئاسة في قريش الى عبد المطلب فظفر من الشرف والرئاسة والجاه في قريش بما لم يظفر به بنو عمومته ومن أهم أعمال عبد المطلب كشفه عن بئر زمزم وفي عهده كانت واقعة الفيل وولد الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم .

# فتح مكة المكرمة

كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وسببها انه لما تصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة في غزوة الحديبية كان في شروط الصلح من أحب أن يدخل في عقد رسول الله من القبائل ويكون من حلفه فليدخل وكذلك أهل مكة فدخل في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة خزاعة ودخل في حلف أهل مكة قبيلة بني بكر وكان بين القبيلتين دماء وعداوة وقتال واستمر ذلك حتى جاء الاسلام فانشغلوا به لكن لازالت العداوة في قلوبهم لبعضهم • فلما تم الصلح وأمن الناس اغتنمت بنو بكر هذه الفرصة وقاموا بالاغارة على خزاعة ليلا وأمدتهم قريش بالسلاح والرجال فما كان من خزاعة الا أن بعثوا جماعة منهم ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حصل فلما سمع ذلك تأثر صلى الله عليه وسلم وقال : نصرت خزاعة نصرت خزاعة وعزم على قتال قريش لانهم نقضوا العهد • وقد أحست قريش بقبح فعلهم فجاؤا الى أبي سفيان وأخبروه بما صنعوا وطلبوا منه أن يذهب الى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب منه تمديد مدة الصلح فقال لهم أبو سفيان • والله انه لشر صدر منكم والله ليغزونا محمد وقد حدثتني زوجتي هذا الصباح أنها رأت رؤيا كرهتها انها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة •

ثم خرج أبو سفيان من مكة قاصدا المدينة المنورة ومواجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه تجديد العقد وزيادة المدة فان مدة الصلح ثمان سنوات ولم يمض منها الا سنتان فقط فنقضوا العهد وهذا النقض كان لصالح الرسول والمسلمين فانه كان سبب اسلام أهل مكة وفتحها • ثم أسرع أبو سفيان في السير لعله يصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل وفد خزاعة • وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قبل قدوم أبي سفيان للمدينة كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع بسخطه •

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : اني كنت غائبا يوم صلح الحديبية فجدد العهد وزدنا في المدة فقال صلى الله عليه وسلم له :ألهذا جئت يا أبا سفيان • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : هل كان فيكم من حدث قال : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغيره ولا نبدله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم • نحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت اليه ولم يرد عليه • فذهب يستشفع بأبي بكر وعمر وعثمان فلم يفلح ثم أتى الى علي كرم اللهوجهه وقال له يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي وانسدت بوجهي فانصحني قال له والله لا أعلم لك شيئا يغني عنك ويفيدك ولكنك سيد قومك قم وأجر بين الناس ثم اذهب لبلدك قال : أو ترى هذا مغنيا عني شيئا ؟ قال : لاولكني لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد وقال : أيها الناس أني أجرت بين الناس وما أظن أن يخفرني أحد ولا يرد جواري • ثم ركب بعيره

وسار حتى وصل مكةوقد طالت غيبته واتهمه أهل مكة بأنه أسلم وغير دينه واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما أصبح قالت له قريش : ما وراءك هل جئت بكتاب أو عهد من محمد فقال لا والله لقد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم • وقال لي علي أجر بين الناس فأجرت فقالوا : هل أجاز محمد قال : لا قالوا : ما جوارك بجائز ولا مقبول فقد لعب بك علي وسخر بك قال: ما وجدت غير هذا •

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وقد خرج في العاشر من رمضان وهو صائم ومعه عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والانصار واستمر صائما حتى وصل الى كديد بقرب عسفان فأفطر وأمر الناس بالافطار•

ولم يزل سائرا حتى وصل الى وادي مر الظهران وهو المعروف بوادي فاطمة فنزل هناك • في هذا الاثناء كان العباس حريصا على أن يخرج أحد من أهل مكة ليطلب لهم الامان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصادف أبا سفيان فأجاره وأخذه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وبعد مراجعات أسلم وأعطاه الامان له ولاهل مكة بقوله : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن•

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة وأن يعزز رايته عند أول البيوت وقال : لاتقتلوا الا من قاتلكم • وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل قد جمعوا أناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا فلما لقيهم خالد بن

الوليد رضي الله عنه في جيشه فقاتلوه فقتل خالد من قتل منهم وانهزم وهرب من لم يقتل واستمر خالد بن الوليد يدفعهم الى أن فروا •

وقد حرص صلى الله عليه وسلم أن لايجري في مكة قتال ولا يقتل أحد ولشدة حرصه على ذلك فانه صلى لله عليه وسلم سمع سعد بن عبادة رضي الله عنه رئيس الانصار وقائدهم يقول : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا • قال ذلك انتصارا لرسول الله من أهل مكة الذين آذوه وأخرجوه منها فقال له صلى الله عليه وسلم : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة اليوم يوم أعز الله فيه قريشا وأمر ان ينزع اللواء منه ويعطي الى ابنه مخافة أن يأمر بقتال أهل مكة •

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة على ناقته القصواء مردفا وراءه أسامة بن زيد صباح يوم الجمعة واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى فتح مكة وكثرة المسلمين وقال : اللهم لاعيش الا عيش الاخرة

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واطمأن الناس • وكان نزوله بالحجون ثم سار صلى الله عليه وسلم والى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله يحادثه ويقرأ سورة الفتح حتى جاء الكعبة وطاف بها سبعا على راحلته ومحمد ابن سلمة رضي الله عنه أحد قواد جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بزمامها ليستلم الحجر الاسود بمحجن بيده وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامها بالرصاص فجعل صلى

الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به لكل صنم منها فيخر لوجهه من غير أن يمسه بما في يده ويقول : جـاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا • حتى ألقاها كلها •

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد أن أخذ مفتاحها من عثمان بن أبي طلحة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه بمحو الصور منها وهي صور الملائكة وابراهيم واسماعيل عليهما السلام في أيديهما الازلام يستقسمان بها واسحاق وبقية الانبياء عليهم السلام وصورة مريم •

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة وقف خالد بن الوليد رضي الله عنه يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الكعبة وأقبل على قريش وهم صفوف ينتظرون قضاءه فيهم وهم تحته فقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده • ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم أني أقول لكم ما قال يوسف لاخوته لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء •

ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقام ابراهيم عليه السلام وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ثم أخره لمكانه الآن ثم انصرف الى زمزم فاطلع

فيها وانتزع له العباس رضي الله عنه دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدرالمسلمون لاخذ ماء وضوئه فلا تسقط نقطة الا في يد انسان ان كان قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده .

وقد أقام صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة حتى خرج منها في شوال الى الطائف ثم رجع الى جعرانة فأقام بها خمس عشرة ليلة قسم فيها الغنائم وأحرم منها بالعمرة ودخل مكة المكرمة معتمرا فطاف وسعى وتحلل . ثم رجع الى المدينة المنورة وقد جعل على مكة المكرمة عتاب بن أسيد أميرا وأوصاه بأهلها خيرا بقوله استوص بهم خيرا فانهم أهل الله وخاصته .

# فضل مكة المكرمة على غيرها من البلاد سوى المدينــة المنــورة

انعقد الاجماع كما قال القاضي عياض وغيره على أن أفضل بقع الارض على الاطلاق المكان الذي ضم جسده صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن مــكة والمدينة أفضل بقاع الارض بعده ، ثم اختلفوا في أيهما أفضل ؟

فذهب عمر وغيره من الصحابة الى تفضيل المدينة وهو قول مالــك ، وأكثر المدنيــين •

وذهب الشافعي وأحمد وأبو حنيفة وأكثر العلماء الى تفضيل مكة •

وقد احتج من ذهب الى تفضيل المدينة بأمور : منها : ان الله تعالى قد بدأ بها في قوله : ( وقل رب أدخلني مدخل صدق • وأخرجني مخرج صدق ) والمخرج الصدق : مكة ، والمدخل الصدق : المدينــة ، السلطان النصير : الانصــار •

وكان القياس أن يبدأ بمكة ، لانه خرج منهــا قبل أن يدخل المدينة . ويأبى الله أن ينقل نبيه الا الى ما هو خير منه •

ومنها : ما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدي

هذا أفضل من ألف صلاة فيما ســـواه الا المسجد الحرام وتأولوا على أن الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة بمسجد مكة بدون الالف .

ومنها : مـــا رواه الطبراني في معجمه الكبير ، والبخاري في تاريخه باسنادهما عن رافع بن خديج قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المدينة خير من مكة .

ومنها : ما رواه الحاكم في المستدرك من قوله صلى الله عليه وســلم : اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع الي ، فأسكني في أحب البقــاع اليك . وهذا الحديث فيه كلام كثير عند العلماء .

ومنها : أن عمر قال لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة : أنت القائل : مكة خير من المدينة ؟ فقال له عبد الله : هي حرم الله وأمنه وفيها بيته ، فقال لــه عمر : لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا .

ومنها : صح قوله صلى الله عليه وسلم : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . وصح أنه عليه السلام قال : لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وبمجموع الحديثين ثبت أن المدينة من خير الارض .

وقد احتج من يرى تفضيل مكة بأحاديث :

منها : ما رواه النسائي والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عدي ابن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بمكة يقول : لمكة : والله انك لخير أرض الله الى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح •

ومنها : ما رواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق الحزورة : يا مكة والله انك لخير أرض الله . وأحب البلاد الى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت •

قال ابن الاثير : الحزورة موضع بمكة •

ومنها : ما رواه الترمذي وصححه عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمكة : ما أطيبك وأحبك لي ؟!! ولولا قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك وكل هذا عندنا يدل على فضل مكة وشرفها ولا يدل على الافضلية •

فان وجوده صلى الله عليه وسلم بالمدينة لاتبقى معه أفضلية لبلد كائنا كان •

فنيها قضى آخر حياته . وفيها انتقل الى الرفيق الاعلى وبها قبره . ومنها يبعث ، فهل بعد هذا يبقى كلام لمتكلم أو معارض •

# فضـــائل مكـــة المكـــرمة

وهذا البحث نذكر فيه : فضائل مكة المكرمة عامة ومزاياها ومناقبها وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية ومسائل علمية .

أعظم فضيلة وأشرف مزية للبلد الامين هو ثبوت تحريمه واتفاق الامة على ذلك باعتقادهم وتسليمهم واقرارهم لما يترتب على ذلك من أحكام ثبت بالدليل اليقيني المقطوع به تحريم الكعبة وتسميتها بالبيت الحرام قـــال الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .

وهذا التحريم يشمل مكة كلها الى الحدود التي ينتهي عندها الحرم . وهي التي تسمى ( بأنصاب الحرم ) أو الاعلام التي تحيط بمكة . وما بين هذه الاعلام هو حرم مكة الذي جعل الله حكمه حكم الكعبة في الحرمة تشريفا لها .

قال الزهري : أول من نصب هذه العلامات على جوانب حدود الحرم هو ابراهيم عليه السلام بدلالة جبريل ثم جددها قصي ثم بعث صلى الله عليه وسلم عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجددها ، ثم أمر بتجديدها عمر بن الخطاب ثم معاوية ثم عبد الملك اهـ (١) .

---

١ ـ القـــرى ٦٠٣

وفي رواية الزبير بن بكار أن قريشا نزعوها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته ثم أعادوها كما كانت(١) .

## سبب تحـريم مكـة

اختلف في سبب تحريم مكة ولم أر في ذلك نصا صحيحا ، ومع ذلـك فقد وردت أقوال مختلفـة في هذا الموضوع قـال الفاسي (٢) : اختلف في سبب تحريمه :

فقيل : ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض خاف على نفسه مـن الشيطان فاستعاذ بالله منه فأرسل الله له ملائكة حفوا بمكة مـن كل جانب ووقفوا في موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم ، فصار ما بينه وبين موقـف الملائكة حرمـا .

وقيل : لأن الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الأسود في الكعبة حين بناها أضاء الحجر يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله الحرم من حيث انتهى نور الحجر الاسود وقيل : لأن الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والارض « ائتيا طَوْعا أوكَرْها قالتا أتينا طائعين » لم يجبه بهذه المقالة من الأرض الا

---

١ ـ شفاء الغـرام ١/٥٥ .
٢ ـ شفاء الغرام ١/٥٤ .

ارض الحرم ولذلك حرمها ذكر هذا القول السهيلي وذكر الارزقي ما يشهد للقولين الاولين وقيل : غير ذلك •

قلت : والظاهر أن كل ذلك بعيد ما دام أنه لادليـــل عليه ويظهر لي أن أقرب من ذلك كله ان نقول : ان البيت الحرام لا شك في تحريمه كما ثبت في القرآن الكريم • والسبب هو كونه بيت الله وهذه الاضافة تقتضي أن يتميز عن غيره بمنقبة خاصة •

ولما كان للجوار حق مقرر في كل شيء اقتضي أن يكون لما حول البيت مثل ذلك الحكم فحرم من أجله •

# آثار تحريم مكة

تتجلى آثار هذا التحريم في جملة من المسائل العلمية المهمة التى تذكر أكثرها كتب الفقه وتتعرض لها وهذه المسائل :

**الاولى : صيد الحرم :**

صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالاجماع ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفر صيدها ونبه بالتنفير على الاتلاف لانه اذا حرم التنفير فالاتلاف بالاولى . وهو مضمون عند الجمهور ، والسبب في التحريم هو تعظيم الحرم. وقد ذكر بعض العلماء سببا آخر لكنه لادليل عليه الا أنه قد يستأنس به نقله الزركشي (١) وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار ونسج العنكبوت أمر الله حمامة فباضت على نسج العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما نظر الكفار اليها على فم الغار ردهم ذلك عن الغار وجاء في الاثر أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اللتين ركزتا على فم الغار فلذلك احترم حمام الحرم(٢)

١ ـ اعلام الساجد ١٥٤ .

٢ ـ ذكر السهيلي نقلا عن مسند البزار أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اهـ الروض الانف .

وهو من جنس قوله تعالى : « وكان أبوهما صالحا » قيل جدهما السابع فحفظ الأعقاب رعاية الأسلاف ، وان طالت الأحقاب • وضد هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل الوزغ لما قيل انها كانت تنفخ النار على ابراهيم صلى الله عليه وسلم •

اما ادخال صيده من الحلال الى الحرم فقال ابن المنذر كرهه ابن عمر وابن عباس وعائشة وعطاء وطاووس وأحمد واسحق ، وأهل الرأي • ورخص فيه جابر بن عبد الله وسعيد بن جبير ومجاهد ومالك والشافعي وابو ثور وهو أصح •

## الثانيــة ـ لقطة الحرم :

لقطة مكة وحرمها لايجوز أخذها للتمليك وانما تؤخذ للحفظ والتعريف بخلاف سائر البلاد لما في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : ان هذا البلد حرمه الله لايعضد شوكه ولاينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها • ومعلوم أن لقطة كل بلد تعرف ولـو كان كغيره لم يكن لتخصيصه بهذا الذكر معنى • وفي مسند أحمد عن عبـد الرحمن بن عثمان أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن لقطة الحاج والمعنى في ذلك أن مكة مثابة للناس يعودون اليها مرة بعد أخرى وربما يعود اليهـا صاحب اللقطة أو يبعث في طلبها •

وهذا الذي قررناه ــ من أن لقطته لا تحل لتملك وانما تحل لمنشد ــ هو مذهب الشافعي • أما عند الأئمة الثلاثة فحكم لقطة الحرم كغيره من البلاد ، وهذا معنى قول الخطابي انه مذهب أكثر أهل العلم (١) •

قلت : ولعل السبب في اختلافهم هـــو اختلافهم في المنشد من قوله : ( ولا تلتقط لقطتها الا لمنشد ) اذ يحتمل أن المنشد هو صاحبها الطالب لها • والمعنى : لا تحل لمن يتملكها الا صاحبها التى هى له دون الواجد • ويحتمل

---

١ ــ معالم السنن ٢ / ٤٣٧ •

أن المنشد هو الواجد المعرف . والمعنى لاتحل لقطتها الا لمعرف يقيم على تعريفها واللغة العربية تتسع لكلا التأويلين .

أما لقطة عرفة فقد نقل الزركشي(١) عن الحاوي أن فيها وجهين :

أحدهما : حل لقطتها قياسا على الحل .

الثاني : أنه كالحرم لاتحل الا لمنشد لانه مجمع الحاج وينصرف الناس منه الى سائر البلاد كالحرم .

فائـــــدة :

قال الماوردي : واختلفوا في جواز انشادها في المسجد الحرام مع اتفاقهم على تحريم انشادها في غيره من المساجد أصحهما جوازه اعتبارا بالعرف وأنه مجمع الناس بخلاف سائر المساجد اهـ .

قلت : عموم الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد هذا القول فهو ظاهر في أن المساجد لاتعرف فيهااللقطة كما لاتطلبالضالةفيها.

واستثناء المسجد الحرام لكونه مجمع للناس باطل لا دليل عليه ولاحاجة اليه اذ يمكن ذلك على أبوابه وفي ساحاته .

---

١ ـ اعلام الساجد ١٥٢

## الثالثة ـ شجر الحرم

شجر الحرم وحشيشه يحرم قطعه على الحلال والمحرم لعموم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ولا يعضد شجرها » .

وهذه الحرمة كانت معلومة عند قريش قبل الاسلام . وكانوا قائمين بحقها مقدرين لها . فقد نقل الواقدي عن بعض أهل العلم أن قريشا لما أرادت البنيان قالوا لقصي كيف نصنع بشجر الحرم ؟ فنهاهم وحذرهم في قطعها وخوفهم من العقوبة في ذلك فكان أحدهم يحوق بالبنيان حول الشجرة حتى تحصل في منزله .

قال : وأول من رخص في قطع شجر الحرم في البنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان (١) لكنه جعل دية كل شجرة بقرة .

وكان يروى عن عمر أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزي ، وكانت تنال أطرفها ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطعها عمر رضي الله عنه ودفع بقرة دية لها .

---

١ ـ جبل بمكة .

قلت : ومذهب مالك في هذا ان لافدية في شجر الحرمين ونقل بعضهم عن مالك أنه قال : لم يبلغني في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك .

قلت : أي وعليه أن يستغفر من ذلك ، وقد أيد هذا القول ابن المنذر فقال : لا أجد دلالة أوجب بها في شجر الحرم فرضا من كتاب ولا سنة ولا اجماع وأقول كما قال مالك نستغفر الله تعالى .

وأوجب الشافعي وأبو حنيفة الفدية على من قطع شجر مكة ، أما الشافعي فقد أوجب في الشجرة الكبيرة بقرة وفي الصغيرة شاة . وأما أبو حنيفة فأوجب القيمة فيها بالغة ما بلغت .

وقال ابن المنذر : وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على اباحة أخذ كل ما ينبته الناس في الحرم من الزرع والبقول والرياحين وغيرها .

قلت : ونقل السهيلي عن أبي حنيفة أيضا التفريق بين ما نبت بنفسه وبين ما يستنبته الناس وأن الاول فيه الفدية وأن الثاني لا فدية فيه .

# اشياء مستثناة من التحــريم

الاول الاذخر : وقد جاء استثناءه في الحديث الصحيح فانه قال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر وهو نبات معروف بمكة المكرمة •

الثاني : الشوك كالعوسج لما جاء في بعض روايات الحديث المشهور في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا يعضد شوكه » وهذا فيه دليل على تحريم جميع نبات الحرم من الشجر والشوك المؤذي وغيره •

قال الخطابي : أكثر العلماء على اباحة الشوك ويشبه أن يكون المحظور منه ما ترعاه الابل (١) •

قال الزركشي : قال جمهور أصحابنا : لايحرم الشوك لانه مؤذ فأشبه الفواسق • ويخصون الحديث بالقياس اهـ •

قلت : وهو توجيه مفيد وجيد وسديد الا أن النووي رحمه الله رجح التحريم وقال أنه الصحيح لظاهر الخبر في قوله : لايعضد شوكه (٢) •

قلت : تخصيص الحديث بالقياس على الفواسق الذي ذكره توجيه مفيد ومنزع سديد لكن قال العيني : القياس المذكور ضعيف لقيام الفارق وهو أن الفواسق الخمس تقصد الأذى بخلاف الشوك (٣) •

---

١ ـ انظر معالم السنن •
٢ ـ انظر شرح النووي على صحيح مسلم •
٣ ـ انظر عمدة القاري على شرح البخاري •

الثـــالث :

ما ينبته الناس في الحرم من الزرع والبقول والرياحين وغيرها قال ابن المنذر : أجمع كل من يحفظ من أهل العلم على اباحة أخذ كل ما ينبته الناس في الحرم من الزرع والبقول والرياحين وغيرها اهـ (١) ٠

ونقل السهيلي عن أبي حنيفة أيضا التفريق بين ما نبت بنفسه وبين مـــا يستنبته الناس وأن الاول فيه القيمة بالغاً ما بلغ وان الثاني لافدية فيه على من قطع شيئا منها اهـ (٢) ٠

وكذلك اشار النووي الى ذلك فقال : اتفق العلماء على تحريم قطـــع أشجارها التي لايستنبتها الادميون في العادة اهـ ٠

الرابـــع :

اذا احتاج الى شيء من الكلأ لعلف البهائم جاز أخذه على الاصح قال الزركشي : لان المنع منه لاجلها كما يجوز تسريحها فيـــه لان الصحابة كانوا يدخلون ابلهم الحرم وهي ترعى فأبيح ذلك دفعا للضرر كما أبيح الاذخر ٠ قال ابن العربي وهو الصحيح .

ونقل ابن المنذر عن الشافعي أنه قال : أما الرعي فيه فلا بأس بـــه لان الذي حرم النبي صلى الله عليه وسلم فيه الاختلاء الاذخر ٠ والاختلاء الاحتشاش (٣) ٠

---

١ ـ انظر معالم السنن ٠

٢ ـ انظر معالم السنن للخطابي ٢ / ٤٣٦ ٠

٣ ـ انظر معالم السنن ٢ / ٤٣٧ ٠

الخـامس :

اذا احتيج اليه للدواء فالاصح أنه لا يحرم قطعه لان الحاجة اليه أهم من الحاجة الى الاذخر وقد استثناه الشـرع • قال ابن المنـذر : كان عطاء يرخص في أخذ ورق السنا من بستانه •

قلت : ويقابل هذا قول من قال : انه لا يلحق بالاذخر غيره وان مست الحاجة اليه والخلاف أشد فيما احتيج اليه لتسقيف البيوت ونحـوه ، وهى نفس الحاجة التى من أجلها رخص في الاذخر فتدبر •

وكذلك جرى الخلاف في قطع المساويك من فروع الشجـرة قال ابن المنذر اختلفوا في أخذ السواك من شجر الحرم فروينا عن مجاهد وعطاء وعمرو ابن دينار الترخيص فيه وحكى أبو ثور ذلك عن الشافعى قال ابن المنذر ولا أجد دلالة أبيح بها ما أباح عطاء من أخذ السواك وغيره من الحرم والشىء اذا حرم حرم القليل منه والكثير • وأخرج ابن أبى شيبة في مصنفه عن ليث قال : كان عطاء يرخص في القضيب والسواك والسنا من الحرم وعن مجاهد أنه كـرهه •

# المسألة الرابعة

# القتال بمكة

يحرم القتال بمكة لقوله صلى الله عليه وسلم : ( انها لم تحل لى الا ساعة من نهار ) وهذه مسألة اختلف فيها العلماء ، ففى الصحيحين : ان عمرا بن سعيد(١) لما أراد بعث الناس الى مكة لقتال ابن الزبير قال أبو شريح : أيها الامير أحدثك حديثا سمعته أذناى ووعاه قلبى أنه صلى الله عليه وسلم قال : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان أحد ترخص بقتال رسول الله فيها فقولوا : ان الله عز وجل أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أذن لى فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب فقال عمرو بن سعيد أنا أعلم منك يا أبا شريح لا تعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربه(٢) انتهى .

قال الزركشي فحمله أبو شريح على العموم وهو ظاهر الخبر ونهاه عن القتال بمكة خشية أن تستباح حرمتها وحمله عمرو على الخصوص .

---

١ ـ كان واليا على المدينة من قبل يزيد بن معاوية .
٢ ـ قال في النهاية الخربة أصلها العيب .

وقوله لابى شريح : لا تعيذ عاصيا ليس بمطابق للكلام لانه لم يختلف معه في أن من أصاب حدا في غير الحرم ثم لجأ اليه هل يجوز قتاله أم لا ؟ وانما أنكر عليه بعثه الخيل الى مكة واستباحة حرمتها ونصبه الحرب عليها فأحسن أبو شريح في استدلاله وحاد عمرو عن الصواب •

فان قيل : لا شك في حل القتال بعده صلى الله عليه وسلم اذا وجد ما يوجبه من استيلاء أهل الشرك أو البغى أو منع حق فما فائدة التنصيص على التحريم حينئذ لان هذا ثابت لجميع الامكنة ؛ قيل · فائدته توكيد حرمتها وبيان فضلها وشرفها على غيرها قلت : مسألة جواز قتال البغاة فيه مختلف فيها وان كان جمهور الفقهاء قالوا بجوازه •

قال المحب الطبرى : وقوله : ولا تحل لاحد من بعدى معناه تحريم القتال بها اه(١) •

قلت : وقد حرر القول في هذه المسألة الزركشي وجمع بين الاحاديث جمعا يدفع التعارض ويحدد وجه الخصوصية فقال : وجه الخصوصية ان الكفار أو البغاة لو تحصنوا بغيرها جاز قتالهم على أى وجه وبكل شيء ولو تحصنوا بها لم يجز بما يعم كالمنجنيق وغيره وقد نص الشافعى في الام على هذا(٢) أما مسألة قتال البغاة فقد ذهب جماعة من العلماء الى تحريم قتال

١ ـ القرى •
٢ ـ أعلام الساجد ١٦٢ •

البغاة فيه وأنه يضيق عليهم الى أن يخرجوا او يفيئوا ونقل الـزركشي عن الماوردى : أن جمهور الفقهاء قالوا يقاتلون على بغيهم اذ لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال ، لان قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها فحفظها في الحرم أولى من اضاعتها .

وأجاب بعض هؤلاء عن الاحاديث الواردة في تحريم القتال لحديث أبى شريح بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم كالمنجنيـق وغيره اذا أمكن اصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما اذا تحصن الكفار في بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه وبكل شيء .

واعترض الشيخ أبو الفتح القشيرى على من أول بهذا التأويل فقال : هذا التأويل خلاف الظاهر فان قوله صلى الله عليه وسلم : ( لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ) تبيين خصوصية احلالها له ساعة من نهار وقال : فان أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقولوا : ان الله أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم والمأذون له فيه انما هو مطلق القتال ولم يكن قتاله لاهل مكة بمنجنيق وغيره وأيضا فالاحاديث دالة عـلى أن التحريم لاظهار حرمة البقعة بتحريم مطلق القتال فيها وسفك الدم اهـ .

وجاء في مسند البزار عن عبد الاعلى بن حماد عن مسلم بن خالد عن أبى خيثمة عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان قوم صالح لما عقروا الناقة أهلك الله من كان في الارض منهم الا رجلا كان

في حرم الله فمنعه من عذاب الله قالوا : يا رسول الله من هو ؟ قال أبو رغال جد ثقيف لكن مسلم بن خالد فيه ضعف وقال الحجاج يقولون ان ثقيفا من بقية ثمود وهل نجا من ثمود الا خيارهم ؟ قال تعالى : ( وثمود فما أبقى ) فبلغ ذلك الحسن فتضاحك وقال : فما أبقى أى لم يبقهم .

والحاصل أن قتال البغاة بالحرم مختلف فيه لاختلاف الادلة واختلاف أنظار العلماء في فهمها .

فمن لاحظ عموم حديث : ( لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دما بها ) مع قوله : ( ان الله أذن لرسوله ) ورأى وجه الخصوصية بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ووجه العموم بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم ذهب الى تحريم قتالهم وقال : يضيق عليهم فقط محافظة على بقاء حرمة البقعة بتحريم مطلق القتال وسفك الدم .

ومن لاحظ عموم الامر بقتال البغاة الذى هو حق من حقوق الله والتى لا يجوز اضاعتها الى جواز قتالهم ، وهذا رأي جمهور الفقهاء وقد تقدم تأويلهم للحديث الذى يفيد التحريم .

## المسألة الخامسة

## إقامة الحدود بها

من وجب عليه حد أو قتل بقصاص أو رجم بالزنا وغيره فالتجأ الى الحرم ففيه للعلماء ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه آمن ما دام في الحرم لقوله تعالى : ( ومن دخله كان آمنا ) ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق : ( لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ) ولكن يضيق عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل أو يستوفى منه قصاص العضو أو الحد الا أن ينشىء القتل فيه ونقل هذا عن أبى حنيفة .

وروى عن عمرو بن عباس وسعيد بن جبير والحكم بن عتبة والظاهرية وهى رواية عن أحمد .

وعن أبى الزبير المكى قال : لو وجدت في الحرم قاتل أبى ما كلمته ؟

الثاني : ان كان قاتلا لم يقتل حتى يخرج من الحرم ، وان كانت الجناية فيما دون النفس أقيم عليه الحد وهى رواية عن أحمد وأبى حنيفة .

الثالثة : ان الحدود تقام فيه ويستوفى القصاص وهو قول مالك

والشافعي لقوله تعالى : ( ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ) • واحتج مالك بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ابن خطل لما وجد متعلقا بأستار الكعبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ( اقتلوه ) • نقله الزركشي عن ابن المنذر •

وكذلك أمر صلى الله عليه وسلم بقتل الفواسق الخمس في الحل والحرم كما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور(١) •

قال البدر العينى : وسميت هذه الحيوانات فواسق لان الفسق خروج وقد خرجت هذه عن حكم غيرها من حرمة القتل فجاز قتلها في الحرم دون غيرها(٢) •

قال الزركشي أمر بقتل هذه الخمس لانها مؤذيات طبعا فاذا جاز قتله مع ضعف أذاه فالقاتل أولى ولانه علله بالفسق والحكم يعم لعموم علته •

وفي حديث أبى شريح أن الحرم لا يعيذ قاتلا ولا فارا بدم وأما قوله : لا يسفك بها دما فلا حجة فيه لان السفك عبارة عن اراقة الدم بغير حق ، ومنه قوله تعالى : ( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ) وأما قوله :

---

١ ـ رواه البخاري في صحيحه .
٢ ـ عمدة القاري ١ / ١٨٣ .

( ومن دخله كان آمنا ) فمعناه : الخبر عن تعظيم حرمته في الجاهلية نعمة من الله على أهل مكة .

وعليه فاذا التجأ الى المسجد الحرام أو غيره من المساجد أخرج وقتل صيانة للمسجد انتهى .

قلت : ويظهر من هذا الكلام أن من جنى جناية بحرم مكة لا يدخل تحت هذا الخلاف ، بل نقل ابن الجوزى الاجماع على ذلك وقال : وهو اجتراء على الله وانتهاك حرمة بيته والحاد فيه قال تعالى : ( ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم )١ .

---

١ ـ سورة الحج ٢٥

## المســـــألة السادســـة

## تغليـــظ الديـــة في حـــرم مـــكة

من قتل في حرم مكة ووجبت عليه الدية فانها تكون دية مغلظة لانه لما تغلظ بتحريم الصيد كان أولى ان تغلظ فيه نفوس الآدميين لان للحرم تأثيرا في اثبات الامن وتغلظ وان كان القتل خطأ سواء كان القاتل والمقتول معا في الحرم أو أحدهما فيه دون الآخر •

واختلفوا في قدر التغليظ فقال ابن المنذر : روينا عن عمر بن الخطــاب أنه قال : من قتل في الحرم أو الاشهر الحرم فعليه الدية وثلث الدية وبه قــال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح وسليمان بن يسار وأحمد بن حنبــل وغـــيرهم •

وقالت طائفة التغليظ جاء في أسنان الابل لا الزيادة في العدد وبه قــال طاووس والشافعى •

وممن كان لا يرى التغليظ الحسن البصرى والشعبى والنخعى قال ابن المنذر : وبه نقول : وليس يثبت ما روى عن عمر وعثمان وابن عباس في هــذا الباب وأحكام الله على الناس في جميع البقاع واحدة •

# المسألة السابعة

# حمل السلاح بمكة

جاء في الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة ) رواه مسلم ·

وقد ذهب الحسن البصرى : الى أنه لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة لان القتل فيه منهى عنه فلا يحل ما يسببه قال القاضي عياض وهو محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة فان كان لحاجة جاز قال : وهذا مذهب مالك والشافعى وعطاء وحجتهم دخول النبى صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء بما اشترطه من السلاح في القراب ـ أي الغمد ـ ودخوله عام الفتح متأهبا للقتال ·

قال : وشذ عكرمة عن الجماعة قال : اذا احتاج اليه حمله وعليه الفدية ولعله أراد اذا كان محرما ولبس الدرع أو المغفر حتى يوافق الجماعة ، وقد أنكر ابن عمر على الحجاج أمره بحمل السلاح في الحرم وكأنه لكثرة الخلق في أيام الموسم ، فيخاف أن يصيب أحدا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : ( من مشى في مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لئلا يصيب مسلما ) رواه البخارى(١) ·

---

١ ـ كتاب الصلاة باب المرور في المسجد .

# المسألة الثامنة

## بيع دور مكة وتاجيرها

اختلف العلماء في حكم بيع دور مكة وكراءها ورهنها فذهب الشافعى وأحمد في رواية ومالك في قول الى جواز ذلك وبه قال عمر بن الخطاب وجماعات من الصحابة وهو مذهب أبى يوسف ، وذهب أبو حنيفة الى عدم الجواز وهو المشهور عن مالك ٠

وحجتهم :

أولا : وهى ما رواه أبو حنيفة عن عبدالله بن أبى الزناد عن ابن أبى نجيح عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مكة حرام وحرام بيع رباعها وحرام أجر بيوتها ) ٠

ثانيا : وما روى الحاكم في المستدرك من طريق اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر بسنده عن عبدالله بن عمرو مرفوعا « مكة مباح لا تباع رباعها(١) ولا تؤجر بيوتها » ٠

ثالثا : ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : ألا

---

١ ـ الرباع جمع ربع وهو المنزل ٠

نبنى لك بيتا أو بناء يظلك من الشمس قال : انما هو مباح لمن سبق اليـه • رواه أبو داود •

رابعا : ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( منى مباح لمن سبق ) قال النووى : وهو حديث صحيح •

خامسا : أن مكة بقعة من الحرم فلا يجوز بيعها كنفس المسجد الحرام قياسا عليـه •

سادسا : وما جاء عن عثمان بن أبى سليمان عن علقمة بن نضلة الكنانى قال : كانت بيوت مكة تدعى السوائب لم تبع رباعها في زمان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر وعمر من احتاج سكن ومن استغنى أسكن رواه البيهقى •

سـابعا : وحجتهم أيضا حـديث ابن أبى نجيح عن عبدالله بن عمـر ويرفعه : ( من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا ) رواه الدارقطنى •

ثامنا : وقول مجاهد قال النبى صلى الله عليه وسلم : ( مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباعها ولا اجارة بيوتها ) •

قال النووى : واحتج الشافعى ومن يرى جواز بيع دور مكة واجارتها ورهنها :

١ ــ بقوله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديـارهم » والاضافة تقتضي الملك • فان قيل : قد تكون الاضافة لليد والسكنى لقوله تعالى : « وقرن في بيوتكن » فالجواب أن حقيقة الاضافة تقتضى الملك ولهذا لو قال : هذه الدار لزيد حكم بملكها لزيد ولو قال : أردت به السكنى واليد لم يقبل •

٢ ــ قال النووى : واحتجوا أيضا بحديث أسامة بن زيد أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما وصل مكة : أين تنزل من دارك في مكة ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل من دار ؟ وكان ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرثه جعفر ولا علي" لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين• رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما • وهذا يدل على ارث دورها والتصرف فيها •

٣ ــ واحتجوا أيضا بحديث أبى هريرة رضي الله عنه في قصة فتح مكة قال : فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن » • رواه مسلم •

٤ ــ واحتجوا أيضا بالاثر المشهور في السنن للبيهقى وغيره أن نافع بن

عبدالحارث اشترى من صفوان بن أمية دار السجن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بأربع مائة وفي رواية بأربع آلاف •

٥ ـ واحتجوا أيضا بما روى الزبير بن بكار وغيره أن حكيم بن حزام باع دار الندوة(١) بمكة من معاوية بن أبى سفيان بمائة الف فقال له عبدالله ابن الزبير يا أبا خالد بعت مأثرة قريش وكريمتها فقال : هيهات ذهبت المكارم فلا مكرمة اليوم الا الاسلام فقال : اشهدوا أنها في سبيل الله تعالى يعنى الدراهم •

٤ ـ قلت : وللطحاوى كلام مفيد ومنزع سديد بعد نقله عن أبى يوسف أنه قال : لا بأس ببيع أرضها واجارتها كسائر البلدان •

قال الطحاوى : اعتبرنا ذلك فوجدنا المسجد الحرام الذى كل الناس فيه سواء لا يجوز لاحد أن يبنى فيه بيتا ولا يحتجر منه موضعا وكذا حكم جميع المواضع التى لا ملك لاحد فيها وجميع الناس فيها سواء •

ألا ترى أن عرفة لو أراد رجل أن يبنى في المكان الذى يقف الناس فيه لم يكن له ذلك ؟ وكذلك منى قالت عائشة يا رسول الله : ألا تتخذ لك بمنى شيئا تستظل به قال : يا عائشة ان منى مناخ لمن سبق • رواه الترمذى وقال حسن والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى •

---

١ ـ هي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور .

قال الطحاوى : ورأينا مكة شرفها الله تعالى على غير ذلك قد اجيز فيها البناء . وقال صلى الله عليه وسلم : ( من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فأثبت لهم ملكية كريمة .

أما أدلة المانعين فالجواب عنها بما يأتى :

١ ــ أما ما رواه أبو حنيفة بسنده الى عبدالله بن عمرو عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم فهو وهم والصحيح أنه موقوف ، كذا قال الدارقطنى وغيره من الحفاظ ونقله عنه الزركشي في أعلام الساجد .

ثم ان في سنده ابن ابى زياد وهو ضعيف ، كذا قال النووى في شـرح المهـذب .

٢ ــ واما ما رواه الحاكم بسنده من طريق اسماعيل بن ابراهيم ابن مهاجر عن أبيه فان هذا الحديث باتفاق المحدثين ضعيف واتفقوا على تضعيف اسماعيل قال فيه البخارى منكر الحديث وضعفه يحيى والنسائى قال ابـن حبان كان فاحش الخطأ وأبوه ضعفه يحيى بن معين وقال أبو حاتم منكـر الحديث .

٣ ــ وأما حديث عائشة الذى فيه : ( ألا نبنى لك بيتا ) الحديث فقد قال النووى ان صح كان محمولا على الموات من الحرم وهو ظاهر الحديث .

٤ ــ أما قوله صلى الله عليه وسلم منى مناخ لمن سبق فقد قال النووى

هو محمول على مواتها ومواضـع نزول الحجيج منها(١) • قلت : الحديث رواه أبو داود وسكت عنه ومعناه أن هذا مقام لا اختصاص فيه لاحد دون أحد • قال الطيبى : ( أي أتأذن أن نبنى لك بيتا في منى لتسكن فيه فمنع وعلل بأن منى موضع لاداء النسك من النحر ورمى الجمار والحلـق يشترك فيه الناس فلو بنى فيها لادى الى كثرة الابنية تأسيا به فتضيق على الناس وكذلك حكم الشوارع ومقاعد الاسواق اهـ قال الخطابى : انما لم يأذن في البنـاء لنفسه وللمهاجرين لانها دار هاجروا منها لله فلم يختاروا أن يعودوا اليها ويبنوا فيها وفيه أن هذا التعليل يخالف تعليله صلى الله عليه وسلم مع أن منى ليست دارا هاجروا منها قاله القارى(٢)

٥ ــ وأما قياس مكة على نفس المسجد فمردود لان المساجد محـرمة محررة لا تلحق بها المنازل المسكونة في تحريم بيعها ولهذا في سائر البلاد يجوز بيع الدور دون المساجد •

٦ ــ وأما حديث عثمان بن أبى سليمان فجوابه من وجهين : كما قـال النـووى :

أحدهما : جواب البيهقى أنه منقطع •

والثانى : جـواب البيهقى أيضا والاصـحاب أنه اخبار عن عادتهم في

---

١ ــ المجموع للنووي .
٢ ــ بذل المجهود ٩٦/٣٦١

اسكانهم ما استغنوا من بيوتهم بالاعارة تبرعا وجودا • وقد أخبر من كان أعلم بشأن مكة منه بأنه جرى الارث والبيع فيها •

٧ ــ وأما حديث ابن أبى نجيح عن ابن عمر فمنقطع لان ابن نجيح لم يدرك عبدالله بن عمر واسمه عبدالله بن يسار •

٨ ــ وأما قول مجاهد فهو مرسل لا حجة فيه وهو مثل حديث أبى حنيفة المروى عن ابن عمر مرفوعا وذكرنا أن الصحيح وقفه فلا يبعد أن يكون المخرج واحدا للاثرين •

وقد جرت مناظرة للشافعي معاسحق بن راهويه • فقد روى البيهقي بسنده الى ابراهيم بن محمد الكوفى قال : رأيت الشافعي يفتي الناس ورأيت اسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين قال أحمد بن حنبل لاسحق : يا أبا يعقوب تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله فقال اسحق لم تر عيناى مثله ؟ قال : نعم ، فجاء فأوقفه على الشافعي فذكر القصة الى أن قال : ثم تقدم اسحق الى مجلس الشافعي وهو مع خاصته جالس فسأله عن سكنى بيوت مكة أراد الكراء فقال له الشافعي : عندنا جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من دار فقال له اسحق : أتأذن لي في الكلام فقال : تكلم ، فقال : حدثنا يزيد عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى بذلك ، وأخبرنا أبو القاسم وغيره عن سفيان عن منصور عن ابراهيم أنه لم يكن يرى بذلك وعطاء وطاووس لم يكونا يريان بذلك • فقال الشافعي لبعض من عرفه ، من هذا ؟ فقال اسحق بن راهويه

الحنظلى الخرساني ، فقال له الشافعى : أنت الذى يزعم أهل خرسان أنك فقيههم فقال اسحق : هكذا يزعمون قال الشافعى ما أحوجنى الى أن يكون غيرك موضعك فكنت آمر بفرك أذنيه (١) أنا أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول عطاء وطاووس وابراهيم والحسن هؤلاء لا يرون ذلك هل لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة فذكر قصته الى أن قال قال الشافعى : قال الله تعالى : ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم(٢) فنسب الديار الى المالكين أو الى غير المالكين ؟ قال اسحق : للمالكين ، فقال الشافعى : قول الله تعالى أصدق الاقاويل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ) فنسب الديار الى مالك أو الى غير مالك فقال اسحق : الى مالك ، فقال الشافعى : وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين وأسكنها وذكر جماعة من الصحابة فقال له اسحق : اقرأ أول الآية قال عز وجل : « سواء العاكف فيه والباد »(٣) فقال الشافعى : لو كان هذا كما تزعم لكان لا يجوز لاحد أن ينشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تلقى فيها الارواث ، ولكن هذا في المسجد خاصة قال : فسكت اسحق ولم يتكلم فسكت عنه الشافعى رحمهما الله انتهى(٤) .

---

١ ـ أي بفرك .
٢ ـ سورة الحشر ٨
٣ ـ سورة الحج ٢٥
٤ ـ انظر هذه المناظرة في المجموع للنووى واعلام الساجد للزركشي ١٤٨

قلت : ومعنى الآية أن أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام سـواء ، ولا يختص أهل مكة فيه بشيء لا يجوز لغيرهم لكونهم جيرانه بل الجميـع فيه سـواء •

قلت : ولما كان أقرب طريق لتعيين الصواب فيما هو مختلف فيه بـين العلماء هو معرفة سبب الخلاف وأصله •

فاعلم أن أصل النزاع وسببه هو أن العلماء اختلفوا في قـوله تعالى : « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » ومحـل الخلاف هو الضمير من قوله « فيه » هل يرجع الى المسجد الحرام أو البلد ؟

واختلفوا أيضا في صفة فتحه صلى الله عليه وسلم مكة ، هل فتحهـا عنوة أم فتحها صلحا ؟

وقد سبق بيان معنى الآية وأن الصواب أنها خاصة بالمسجد الحـرام الثابت مسجديته ، وأنها لو كانت تعم مكة كلها مسجدها وحـرمها لكان لا يجوز لاحد أن ينشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا يلقى الارواث •

وأما ما يتعلق بفتح مكة هل كان صلحا أم عنوة ؟

فاعلم أن الفقهاء اختلفت أنظارهم في هذه المسألة فقال بعضهم فتحت عنوة وهو مذهب الحنفية وقال بعضهم فتحت صلحا وهو مذهب الشافعي •

فمن رأى حالة دخوله صلى الله عليه وسلم وطلب أبى سفيان الامـان

منه لاهل مكة وتأمين الناس جميعا في دورهم وأموالهم وقوله صلى الله عليه وسلم : « اليوم يوم المرحمة لا الملحمة » .

يترجح عنده أنها فتحت صلحا ويترتب عليه بقاء ديارهم وأملاكهم وبقاء تمام تصرفهم فيها من بيع واجارة .

ومن رأى حالة دخول خالد بن الوليد والمعركة التى دارت بينه وبين بعض سادة قريش ثم حضور الجميع بين يديه صلى الله عليه وسلم أسرى موثقين بالحبال في قبضته وتحت رحمته ورهن اشارته يحكم فيهم بكلمته .

يترجح عنده أنها فتحت عنوة ويترتب علبه أنها تكون كالاراضي المغنومة لا تباع ولا تكرى .

والظاهر أن القول الاول أقوى وتشهد له آثار مختلفة وتؤيده أحوال وأخبار تلك الغزوة المباركة والصبغة العامة لها والمواقف المتعددة فيها للنبى صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة .

## المسألة التاسعة

## حكم بيع أشجار الحرم

قال الزركشي : بيع أشجار الحرم حرام باطل . قال القفال : الا أن يقطع شيئا يسيرا للدواء فيجوز بيعه حينئذ قال في الروضة وفيما قال نظر .

# المســــــألة العاشــــرة

## دخول المشــرك الى الحـــــرم

قال الله تعالى : « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعــد عامهم هذا » • وهذه الآية نزلت في سنة تسع مــن الهجرة ، والمراد بالمسجد الحرام في الآية : الحرم كله لقوله سبحانه : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » وانما أسرى به من بيت أم هانيء أو من بيت خديجة كما قاله الماوردي والبغوي وكلاهما خارج عن الحرم •

والآية تدل على أن الكافر لايمكن من دخول حرم مكة سواء مساجدها أو غــيرها •

قال الشافعي في الام : ليس للامام أن يدع مشركا يطأ الحرم بحال مــن الحالات طبيبا كان أو صانعا اهـ •

قلت : المقصود بذلك الحرم كله أي مكة عامة وتمام الآية يدل على هذا من قوله تعالى : « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء » أي ان خفتم انقطاع التجارة عنكم فاعتصموا بفضل الله ومعلوم أن مــن يخاف العيلة من هو في البلد لا في المسجد نفسه • ولقوله تعالى : « واذ قال ابراهيم

رب اجعل هذا بلدا آمنا » الى أن قال « ومن كفر فأمتعه قليلا » أي بمكةوهو ما قبل فتحها فدل على تحريمها على الكافر بعد الفتح .

وقد روى الشافعي بسنده أنه عليه السلام قال : لايجتمع مسلم ومشرك في الحرم وقال ابن عباس لايدخل أحد مكة الا محرما والكافر لايمكن احرامه فامتنع دخوله .

قلت : ومما يترتب على هذا التحريم ما ذكره الزركشي عن بعض الفقهاء من أنه لو دخل الكافر خفية ومرض ومات في الحرم ودفن نبش ، وأخرجمنه مالم ينقطع بخلاف غيره من البلاد . وفي قضية دخول الكافر الحرم تفصيلات واختلافات بين الفقهاء من ناحية التفريق بين الذمي وغيره او التفريق بين الكتابي وغيره أو التفريق في الحكم بين مكة وبين نفس المسجد وهي كلها ( جزى الله أصحابها خيرا ) لا ينشرح لها الصدر . ولا تطمئن اليها النفس وما نقلناه عن الشافعي وغيره هو الذي يناسب حرمة الحرموتعظيم المكان وقدسية المشعر وهو الذي يناسب ظاهر الآية . هذا ما عندي والله أعلم .

## المسألة الحادية عشرة
## ( نقل تراب الحرم )

قال الزركشي : يحرم نقل تراب الحرم وأحجاره عنه وسواء في ذلك تراب نفس مكة وما حواليها من جميع الحرم ، هذا هو الأصح في شرح المهذب للنووي . والذي أورده الرافعي في باب محرمات الاحرام : كراهته . وعند الحنفية : أنه لابأس باخراج الاحجار وترابه . ونقله الشافعي في الأم عن أبي حنيفة وهو المنقول عن عمر وابن عباس : لكنهما كرهاه . وقال أحمد: اذا أردت أن تستشفى بتراب الحرم فلا تأخذه لكن ألصق عليه طينا من غير طين الحرم .

قلت : ولعله يمكن أن تفهم علة هذا التحريم أوالكراهة من قول النووي في شرح المهذب عن مسألة نقل تراب الحل الى الحرم بأنهم على أنه خلاف الأولى ثم قال : وهو محل الشاهد ـ لئلا يحدث لها حرمة لم تكن اهـ .

قلت : ويمكن أن نقول في مسألة نقل تراب الحرم أن من رأي تحريم ذلك لاحظ هذا المعنى . وهو أن في النقل سلب الحرمة الثابتة لها واضاعةلما خص الله تعالى به ذرات ذلك التراب المنقول من تعظيم واكرام وأحكام .

# المســـــألة الثانية عشرة

## قضــــــاء الحاجــــــة بمـــكة

تورع بعضهم عن قضاء الحاجة بمكة ، وكان يتأول أنها مسجد ، قـال الزركشي : وهذا التأويل مردود بالاجماع والنص وقد فعله صلى الله عليـه وسلم وأصحابه والسلف •

قلت : ولعل ما رآه بعضهم تورعا كان ذوقا خاصا لايتبع فيه ولايوافق عليه ويمكن أن يستأنس له بما رواه الحافظ أبو علي بن السكن في سـننه الصحاح من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس (١) وهو على ثلاثة فراسخ منها ورواه أبو جعفر الطحاوي في تهذيب الآثار • وقال على ميلين مـن مكة • ورواه الطبراني في الاوسط من حديث نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب بحاجته الى المغمس •

قال نافع : نحو ميلين من مكة •

وقال : لم يروه عن عمرو إلا نافع مولى ابن عمر تفرد به سعيد بن أبي مريم .

---

١ ـ المغمس بضم الميم وفتح الغين وتشديد الميم الثانية مع فتحها أو كسرها موضع في طرف الحرم ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة فجعلوا ينخسونه بالحراب فلا ينبعث حتى بعث الله طيرا أبابيل فاهلكهم . معجم البكري .

## المسألة الثالثة عشرة

## الاستنجاء بحجارة الحرم

قال الزركشي : حكى الماوردي وجهين في جواز الاستنجاء بحجارة الحرم.

وقال : ظاهر المذهب سقوط الفرض بذلك مع تأثيمه •

قلت : لم يرد في السنة المشرفة ما يدل على كراهة ذلك صراحة فضلا عن تحريمه •

والظاهر : جوازه وانما ذكرناه للتنبيه عليه وهو كما قلنا سابقا ذوق خاص لايتبع صاحبه فيه ولا يوافق عليه ، ويمكن أن يستأنس له بما رواه ابن السكن عن ابن عمر وقد علمت ما فيه •

واشتهر عن الامام مالك رحمه الله أنه كان لا يقضي حاجته في المدينه المنورة بل كان يذهب خارجها رضي الله عنه ويسع المخالف أن لايوافقه على ذلك وأن يسلك المسلك العام الذي هو ظاهر الشرع وان لايكلف نفسه معاناة الاعتراض والنقد فان مالكا أو غيره لم يلزم الناس بهذا بل ولم يصدر عنه

ما يشير إلى أنه يرغب فى إلتزام هذا الأدب أو يندب إليه وبهذا تعلم أنهم رضى الله عنهم أبصر الناس بالسنة وأعرفهم بالبدعة والحسنة وبمواقع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبما يدعون الناس إليه فلا تصدر أعمالهم إلا عن نسق الصواب ولا يلبسون العادة ثوب العبادة ولا يظهرون الذوق بمظهر الحق .

## المسألة الرابعة عشرة

## جواز الصلاة في الاوقات المنهى عنها

جاء في الصحيح النهي الصريح منه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح وعند الاستواء حتى تزول وعند الاصفرار حتى تغرب وبعد صلاة الصبح الى الطلوع وبعد صلاة العصر الى الغروب ويستثنى حرم مكة ففي السنن من حديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يابني عبد مناف لاتمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار (١) •

وقد روى هذا الحديث الحاكم في المستدرك وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين •

وفي رواية : لاصلاة بعد الصبح الا بمكة • قال الزركشي : والمراد جميع الحرم ــ وذلك لزيادة الفضل في تلك الاماكن ، فلا يحرم المقيم هناك من استكثارها •

وروى أبو الحسن علي بن الجعد عن سفيان بن سعيد عن أبي جريج عن ابن أبي مليكة أنه صلى الله عليه وسلم طاف بعد العصر فصلى ركعتين •

وذكر ابن ابي شيبة في مصنفه فيما أفرده في الرد على ابي حنيفة في

١ ــ انظر سنن أبي داود •

الجواز آثارا في ذلك • فعن عطاء قال : رأيت ابن عمر طاف بالبيت بعدالفجر وصلى ركعتين قبل طلوع الشمس • وعن عطاء قال : رأيت ابن عمر وابن عباس طافا بعد العصر وصليا •

وعن ليث عن أبي سعيد أنه رأى الحسن والحسين قدما مكة فطافا بالبيت بعد العصر وصليا •

وعن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل أنه كان يطوف بعد العصر ويصلي حتى تصفار الشمس •

وعن عطاء قال : رأيت ابن عمر وابن الزبير طافا بالبيت قبل صلاة الفجر ثم صليا ركعتين قبل طلوع الشمس •

قلت : وقد اختلف العلماء فيهذه المسألة اختلافا كبيرا لاختلافأنظارهم في الاحاديث الواردة في هذا الباب • فيرى بعضهم : أن هذه الرخصة انما هي خاصة لركعتي الطواف فقط فهي التي يباح فعلها في الاوقات المنهى عنها أما باقي الصلوات فالحكم فيها واحد لايختلف • ودليلهم عموم أحاديث النهي عن الصلاة مع ورود مسألة الطواف بخصوصها في الحديث من قوله : « لاتمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أو صلى » وأما قوله : « لاصلاةبعد الصبح الا بمكة فأجابوا عنه بأن الاستثناء فيالحديث انما هو لركعتي الطوافوقالوا: ان الحديثين اذا كان كل منهما أعم من الآخر من وجه لايقدم خصوص أحدهما على عموم الآخر الا بمرجح •

قال الزركشي : ومال اليه البيهقي وحمل الحديث على ركعتي الطواف قال : وهو الاشبه بالآثـار .

ويرى بعضهم أن هذه الرخصة خاصة بالمسجد الحرام فقط دون غيره من أجزاء البلد .

ويرى بعضهم أن هذه الرخصة خاصة بالبلد دون باقي الحرم .

ويرى بعضهم أن هذه الرخصة خاصة بالآفاقي دون المقيم بمكة .

قلت : وهؤلاء كلهم رحمهم الله اجتهدوا في استنباط العلة فاختلفوا فيها، فلذلك اختلفوا في تعيين الحكم فمنهم من رأى ان العلة انما هي لشرف البقعة فعلى هذا لافرق بين المكي والافاقي .

ثم رأى بعضهم تفاوت أجزاء البقعة في الشرف فعلى هذا خص الحكم بالمسجد نفسه دون مكة كلها أو البلد دون بقية الحرم .

ومنهم من رأى ان العلة هي لان الناس يقصدون مكة لاقامة الطاعة فيها فلو منعوا عنها فات مقصودهم فعلى هذا يختص بالافاقي ــ أي فلا يكره بخلاف المقيم بمكة .

ومنهم من لم ير الاخذ بهذه الرخصة أصلا ويرى ان مكة كغيرها في هذه المسألة .

# المســـألة الخامسة عشرة

# مضاعفـــــة الصـــلاة بمـــكة

ان صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صــلاة فيما سواه من المساجد لما في الصحيحين من حديث أبى هريرة : أن رسول الله صلى اللــه عليه وسلم قال : صلاة في مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ، والمعنى : أن الصلاة فيه تفضل على مسجد الرســول ، ويدل لذلك أحاديث ، أحــدها ما رواه أحمد ، والبزار في مسنديهما ، وابن حبان في صحيحه من حديث حماد بن زيد وغيره عن حبيب المعلم عن عطاء بن أبى رباح عن عبدالله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة ، واسناده على شرط الصحيح .

الثاني : حديث جابر ، رواه ابن ماجه في سننه ، ثنا اسماعيل ابن راشد ، ثنا زكريا بن عدى ، أنا عبدالله بن عمرو ، عن عبدالكريم عن عطاء ، عــن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحــرام أفضل من مائة ألف فيما سواه ، وعبدالكريم فيه لين .

الثالث : حديث ابن عمر ، رواه ابن عبدالبر : حدثنا أبوالقاسم خلف بن سعيد ، ثنا عبدالله بن محمد ، ثنا أحمد بن خالد ، ثنا على بن عبدالعزيز ، ثنا محمد بن عمار ، ثنا أبو معاوية عن موسى الجهنى عن نافع ، عن ابن عمر به ، ثم قال : ورجال اسناده علماء أجلاء ، وموسى الجهنى كوفى أثنى عليه يحيى القطان وأحمد ويحيى وغيرهم وروى له مسلم ، قال أبوبكر فحسبت ذلك على هذه الرواية التى هى : وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام وهى خمس صلوات عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال .

طريق آخر : رواه أبو أحمد حميد بن زنجويه ، ثنا يعلى ابن عبيد ، ثنا عبدالملك بن أبى سليمان عن عطاء ، حدثنى ابن عمر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان صلاة في مسجدكم هذا ــ يعنى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا الصلاة في المسجد الحرام فهى أفضل ، قال : وقال سلمة بن كهيل : الا الصلاة في المسجد الحرام فانها تعدل مائة صلاة في مسجد المدينة .

الرابع : حديث أبى الدرداء ــ أخرجه البزار في مسنده ــ ثنا ابراهيم بن حميد ، ثنا محمد بن يزيد بن شداد ، ثنا سعيد بن سالم القداح عن سعيد بن بشير عن اسماعيل بن عبيدالله عن أم الدرداء عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم : فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف

صلاة ، وفي مسجدى ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة ، وقال : لا يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد ، وإسناده حسن ، انتهى .

ونقله ابن عبدالبر عنه محتجّا به .

الخامس : حديث أنس رواه ابن ماجه في سننه ، ثنا هشام ابن عمار ، ثنا أبوالخطاب الدمشقى ، أنا زريق أبو عبدالله الالهانى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة في المسجد الاقصى ، ومسجد المدينة ، بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة .

السادس : حديث ابن عباس ، رواه الطبرانى في معجمه الكبير ، ثنا على بن اسحق ، ثنا ابراهيم بن يوسف الغريانى المقدسي ، ثنا عمرو بن بكر ، ثنا مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدى هذا بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة ألف صلاة ، وصلاة الرجل في بيت المقدس بألف صلاة ، وصلاة الرجل في بيته حيث لا يراه أحد أفضل من ذلك كله ؛ (غريب) .

السابع : روى ابن وضاح عن حامد بن يحيى البلخى ، ثنا ابن عيينة عن زياد بن سعد أنا سليمان بن عتيق : سمعت عبدالله بن الزبير ، سمعت عمر

بن الخطاب يقول : صلاة في المسجد الحرام أفضـــل من مائة ألف صـــلاة في مسجد النبى صلى الل هعليه وسلم • قال ابن حزم هذا سند كالشمس في الصحـــة •

الثامن : روى ابن أبى خيثمة عن أبيه ، ثنا هشيم عن الحجاج عن عطاء عن عبدالله بن الزبير قال : الصلاة في المسجد الحرام تفضل على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة ضعف قال : فنظرنا فاذا هى تفضل على ســـائر المساجد بمائة ألف صلاة •

قال ابن عبدالبر وابن حزم : فهذان الصحابيان جليلان يقولان : يفضل المسجد الحرام على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ولا مخالف لهمـــا من الصحابة ، فصار كالاجماع منهم على ذلك •

وفي رسالة الحسن البصرى الى الرجل الزاهد الذى أراد الخروج من مكة ، قال صلى الله عليه وسلم : من صلى في المسجد الحرام ركعتين فكأنما صلى في مسجد ألف ألف صلاة ، والصلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان •

تنبيهـــات :

وهذه المضاعفة في المسجدين لا يختص بالفريضة بل تعم النفل والفرض كما قال في شرح مسلم : انه المذهب •

# المسألة السادسة عشرة

## التضعيف ليس خاصا بالصلاة

واعلم أن التضعيف لا يختص بالصلاة بل وسائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت في الصلاة والنظر الى الكعبة فألحق به ما في معناه من أعمال البر .

قال الحسن البصري : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف .

وفي سنن ابن ماجه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه ، وقام منه ما تيسر ، كتب له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه ، وكتب بكل يوم وليلة عتق رقبة ، وفي كل يوم حمل فرسين في سبيل الله ، وفي كل ليلة حسنة .

وروى البزار في مسنده من جهة عاصم بن عمر عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة .

وفي المستدرك للحاكم من حديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه

وسلم قال : من حج من مكة ماشيا حتى يرجـع اليها كتب له بكل خطـوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، وحسنات الحرم ، الحسنة بمائة ألـف حسـنة .

قا ل الحاكم : هذا حديث صحيح **الا**سناد .

وروى البيهقى في سننه ، وضعفه ، وفي المعجم الاوسط للطبرانى من حديث الاعمش عن أبى صالح عن أم هانىء قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أمتى لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان ، قيل ، يا رسول الله وما خزيهم في اضاعته ؟ قال انتهاك المحارم فيه ، عمل فيه زنا ، أو شرب خمرا ، لعنه الله ومن في السموات الى مثله من الحول ، فان مات قبـل أن يدرك شهر رمضان فليست له عند الله حسنة يتقى بها النار ، فاتقوا شهـر رمضان ، فان الحسنات تضاعف فيه ما لا تضاعف في سواه ، وكذلك السيئات انتهى .

واذا ثبتت المضاعفة بالسيئة بالنسبة الى الزمان الفاضل فالمكان كذلك .

# المســـألة السابعة عشرة

## تضعيـــف الســـئيات بمـــكة

ذهب جماعة من العلماء الى أن السيئات تضاعف بمكة كما تضـاعف الحسنات ، وممن قال ذلك مجاهد وابن عباس وأحمد بن حنبل وابن مسعود وغيرهم لتعظيم البلد .

قال الزركشي : وسئل ابن عباس عن مقامه بغير مكة فقال : مالى ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات(١) .

وقال مجاهد : تضاعف السيئا ت بمكة كما تضاعف الحسنات(٢) وسئل أحمد بن حنبل تكتب السيئة أكثر من واحدة فقال لا الا بمكة لتعظيم البلد . وذهب جماعة من العلماء الى عدم التضعيف أخذا بعموم قولـه تعالى : « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها »(٣).

وعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « من هم بسيئة وعملها كتبت لـه سيئة واحدة »(٤) .

---

١ ـ اعلام الساجد ١٢٨
٢ ـ القـرى ٦٠٩ .
٣ ـ سورة الانعـام ١٦٠ .
٤ ـ أخرجه مسـلم .

قلت : والاولى في هذا المقام تحرير الكلام على طريقة تناسب المذهبين وتؤيد حرمة البلد وتعظيمه .

وذلك بأن نقول : ليس المراد بتضعيف السيئة تكرار أفرادها مراعاة لقوله تعالى : « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » . وانما المراد أنها أكبر جرما وأشد قبحا من السيئة الواقعة في غير مكة مراعاة لقوله تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

قال بعض السلف لابنه : يا بنى اياك والمعصية فان عصيت ولا بد فلتكن في مواضع الفجور لا في مواضع الاجور لئلا يضاعف عليك الوزر أو تعجل لك العقوبة اهـ . والمقصود أن المراد بالمضاعفة غلظها لا كميتها في العدد أي أن السيئة جزاؤها سيئة لكن السيئات تتفاوت فالسيئة في حرم الله وبلاده على بساطه أكبر وأعظم منها في طرف من أطراف البلاد ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه .

وروى عبدالرزاق عن معمر قال : أخبرنى عبدالكريم الجزرى أنه سمع مجاهدا يقول رأيت عبدالله بن عمرو بن العاص بعرفة ومنزله في الحل ، ومصلاه في الحرم فقيل له : لم تفعل هذا ؟ فقال : لان العمل فيه أفضل والخطيئة فيه أعظم (١).

---

١ ـ رواه عبد الرزاق في مصنفه ٥ / ٢٨ .

وروى عبدالرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني اسماعيل بن أمية أن عمر بن الخطاب قال : لان أخطىء سبعين خطيئة بركبه أحب الي من أن أخطىء خطيئة واحدة بمكة(١) .

قلت : ويشهد عندى لثبوت مضاعفة السيئات بمكة الحديث المروى عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أمتى لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان قيل : يا رسول الله ؟ وما خزيهم في اضاعة شهر رمضان ؟ قال : انتهاك المحارم فيه من زنا فيه أو شرب خمرا لعنه الله ومن في السموات الى مثله من الحول فان مات قبل أن يدركه رمضان فليست له عند الله حسنة يتقى بها النار فاتقوا شهر رمضان فان الحسنة تضاعف فيه ما لا تضاعف فيما سواه وكذلك السيئة(٢) .

ووجه الاستدلال هو أن هذا الحديث أفاد مضاعفة السيئة بالنسبة الى الزمان الفاضل ، واذا ثبتت المضاعفة بالسيئة الى الزمان الفاضل فالمكان كذلك .

---

١ ـ رواه عبد الرزاق في مصنفه ٥ / ٢٨ . وقوله بركبه : مكان بالطائف . وفي شفاء الغرام بركيه بالياء : مكان محاذ لذات عرق .

٢ ـ رواه الطبراني في الصغير والاوسط وفيه عيسى بن سليمان أبو طيبة ضعفه ابن معين وفيه كلام انظر ذلك في مجمع الزوائد ١٤٤/٣ .

# المســـألة الثامنة عشــرة

## العقـــاب عــلى الهم بالسيئة في الحـــرم

ذهب قوم من العلماء الى أن الانسان يعاقب على ما ينويه من المعاصى بمكة وان لم يعمله أي يعاقب على الهم بالسيئة ويدل على ذلك قــول اللـــه تعالى: « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »(١).

قال الزركشي مبينا وجه الاستدلال من الآية ان فعــل الارادة ( يرد ) عدى بالباء في قوله ( بإلحاد ) ولا يقال أردت بكذا الا اذا ضمنه معنى يهم فانه يقال هممت بكذا(٢) .

وقد قال بهذا القول من أهل التأويل الضحاك وابن زيد قال القرطبي(٣) وقد روى نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا : لو هم رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن لعذبه الله .

قلت : وقد صحح شعبة أحد رواة هذا الحديث وقفه على ابن مسعود .

---

١ ـ ســـورة الحج ٢٥ .
٢ ـ اعـــلام الساجد ١٢٩ .
٣ ـ انظر تفسيره في سورة الحج وانظر تفسير ابن كثير أيضا .

ورواه أحمد عن يزيد بن هارون مرفوعا . وقال ابن كثير : ان اسناده صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه .

وأشار القرطبى الى أن في سورة : نٓ والقلم ما يؤيد هذا المعنى قلت : ومقصوده قصة أصحاب الجنة في قوله تعالى : انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمُنّها مصبحين(١) .

والظاهر أن وجه الاستدلال منها هو أنه لم يحصل فعل من أصحاب الجنة وانما الذى حصل أنهم عزموا على أن يحصدوا زرعهم قبل أن يخرج المساكين ويعلموا بهم لئلا يعطوهم منها فعاقبهم الله على عزمهم ذلك وخرب عليهم زروعهم وهم نائمون فما أصبحوا الا وقد اقتلعت من أصلها فعوقبوا قبل فعلهم .

ويؤيد هذا المعنى أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه(٢) .

فعلق الوعيد على الحرص وهو العزم .

ويؤيد هذا المعنى أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : انما الدنيا لاربعة

---

١ ــ سورة ن والقلم .
٢ ــ رواه البخاري .

نفر : رجل أعطاه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل به رحمه ولايعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل ورجل لم يؤته اللهمالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته(١) •

قلت : وهذه الادلة التى أشار اليها القرطبى هى في غير محل النزاع لانها لا تدل على أن مجرد الهم بالمعصية يعاقب عليه الانسان ، بل ولو دلت على ذلك فانها لا تدل على أن هذا خاص بالحرم بل الظاهر عمومه وهو لا خلاف في أنه غير مقصود •

قلت : وينبغى أن يعلم أن ارادة المعصية اذا وصلت الى حد الاصرار والعزم فانه يعاقب عليها ولو لم ينفذها وهذا الذى أشارت اليه الآية في قوله تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »(٢) ففى قوله : ولم يصروا : حجة واضحة ودلالة قاطعة على أن الانسان يؤاخذ

---

١ ـ رواه الترمذي وصححه من حديث أبي كبشه الانماري .
٢ ـ سورة آل عمران ١٣٥ .

بما وطن عليه ضميره وعزم عليه بقلبه من المعصية ، وهذا هو الذى عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين كما قال القرطبى(١) .

فالعزم على المعصية بهذا المعنى لا اشكال في ترتب العقاب عليه سواء بمكة أو غيرها .

وأما اذا لم يصل الى درجة الاصرار بل كان هاجسا أو خاطرا أو حديثا في النفس فلا شيء فيه ولا عقاب عليه لصريح قوله صلى الله عليه وسلم : من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة(٢) .

قال بعض الفضلاء :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا
فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعت
الا الاخير عليه الاخذ قد وقعا

وعندي أن التوسط في القول أولى وهو أن نقول أن العزم على المعصية بمكة المكرمة يضاعف عقابه أيضا كما يضاعف العقاب على نفس فعل المعصية فيها بالمعنى المتقدم في مبحث تضعيف السيئات بمكة .

---

١ ـ تفسيره ج ٢١٥/٤ .

٢ ـ رواه البخاري

وأما مجرد الهم بدون اصرار فلاشيء فيه • وتوجيه هذا القول هو أن العلماء جعلوا العزم على المعصية في قوة فعلها وتنفيذها مستدلين على ذلك بظواهر الاحاديث وصريحها واذا كانت السيئة بمكة مضاعفة فالعزم عليها والاصرار على تنفيذها بمكة يكون أيضا في قوة فعلها بمكة ـ أي يكون العزم عليها بمكة مضاعفا أيضا كنفس فعلها ولا أرى أن مجرد الهم يعاقب عليه الانسان لا بمكة ولا بغيرها ـ لقوله صلى الله عليه وسلم : من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ـ ولان الهم مرور الفكرة بالنفس من غير استقرار فيها فهو حديث نفس غير مكتسب •

والله تعالى يقول : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، مالم تتكلم به أو تعمل به . رواه البخارى ومسلم .

وفي قوله ( بظلم ) من قوله تعالى : ( ومن يرد فيه بالحاد بظلم ) يفيد فائدة تامة أن المقصود به من يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي عامدا قاصدا أنه ظلم ليس بمتأول وأما قول الزركشي السابق : ان فعل الارادة لما عدى بالباء ضمن معنى الهم ـ فالجواب عنه : ان هذا أحد معاني الفعل ، والا فانه يصح أن تكون الباء زائدة كزيادتها في قوله تعالى : تنبت بالدهن • وكقول الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

أراد نرجو الفرج ـ والشواهد على هذا كثيرة في كلام العرب . وخلاصة

القول أن من عمل سيئة كتبت عليه سيئة واحدة وان عملها بمكة كتبت عليه مضاعفة على الوجه المتقدم • وان من نوى على فعل سيئة بعزم كتبت عليه سيئة واحدة كما لو فعلها ، فان نوى فعلها بعزم في مكة كتبت عليه مضاعفة كما لو فعلها بمكة • وان من هم بفعل سيئة ( مجرد الهم ) فانه يعفى عنه ولا يكتب عليه شيء لا في مكة ولا في غيرها •

وبهذا يستقيم انتظام الاحاديث النبوية والآيات القرآنية على وجه سليم لا تنتفى معه مزية الحرم على غيره . فتدبر هذا .

ويتأول قول من قال من الأئمة : ان هم بالمعصية في الحرم يعاقب عليه بأن هذا خرج مخرج التحذير والتنفير عن المعصية مبالغة في تعظيم حرمة الحرم .

أو أن المقصود بالهم هنا العزم لان كل ذلك من إرادة الانسان فالتعبير بهذا عن هذا تجاوزا لاشيء فيه وأما قول شيخنا محمد العربي رحمه الله في كتابه ( خلاصة الكلام في المراد بالمسجد الحرام ) :

وقد ذهب كثير من العلماء الى أن هذه الآية ـ أي قوله تعالى : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » ـ تدل على أن الانسان يعاقب على ما يعزم عليه من المعاصي بمكة وان لم يعمله ثم قال : ويشهد له قصة أصحاب الجنة في سورة نٓ عوقبوا بهلاكها بمجرد عزمهم على منع الفقراء . أقول : هذا الكلام يحتاج الى مراجعة لان العزم على المعصية يعاقب عليه الانسان وان لم يعمله وهذا فى مكة وفي غيرها ولا خصوصية لمكة في ذلك •

الا أن نقول : ان مقصوده أن العزم على المعصية يعاقب عليه الانسان فى مكة باتفاق ، وفي غيرها مع الخلاف ويكون هذا هو وجه الخصوصية ولكنه بعيد جدا •

ولهذا المعنى السابق من العقاب على الهم وتضعيف السيئة بمكة كره جماعة من السلف المجاورة بمكة وسنتكلم عنها بايجاز •

## المسألة التاسعة عشرة

## المجاورة بمكة

كره جماعة من السلف المجاورة بمكة ، وحكى ذلك عن أبي حنيفة وغيره من العلماء المحتاطين لمعان ثلاثة ، أحدها خوفا من التقصير في حرمتها ، والتبرم واعتياد المكان ، والانس به ، وذلك يجر الى قلة المهابة والتعظيم ، ولهذا كان عمر يأمر الحجاج بالرجوع الى أوطانهم، ويمنع الناس من كثرة الطواف بالبيت وقال : خشيت أن تنتهك حرمة هذا البيت بخلاف الذي يقدم زائرا ، ثم يذهب فانه يهاب المكان ويعظمه أكثر من القاطنين ولمثل هذا نهى السلف عن الكلام في ذات الله تعالى .لان كثرة النظر في ذلك تسقط مهابة الرب من القلب وفي الحديث : زر غبا تزدد حبا .

الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود قال تعالى : ( واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ) أي يثوبون اليه ويترددون اليه مرة بعد أخرى ، لايقضون منه وطرا .

وقال بعضهم : لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة ، متعلق بهذا البيت ،خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام ، وقلبك في بلد آخر .

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فان ذلك محظور ، ويورث مقت الله تعالى لشرف الموضع وروى عـن وهيب ابن الوردي المكي قال : كنت ذات ليلة في الحجر أصلى سمعت قائلا بين الكعبة والاستار يقول : الى الله أشكو • ثم اليك ياجبريل ما القى من الطائفين حولي ( من ) تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لاتنفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه • ولهذا انتهى حال بعض المقيمين بمكة الى انه لم يقض حاجته في الحرم ، بل كان يخرج الى الحل ، ولهذا كره بعض العلماء أجور دور مكة •

قال الغزالي في الاحياء : ولا تظنن كراهة المقام يناقض فضل الكعبة ،لان هذه كراهة سببها ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله وحكى ابن الصلاح عن سعيد بن المسيب ان هقال لرجل من أهل المدينة جا ءيطلب العلم : ارجع الـى المدينة ، فانا كنا نسمع أن ساكن مكة لايموت حتى يكون الحرم عنـــده بمنزلة الحـــل •

وذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما : الى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التي لاتحصل فيغيرها من الطواف وتضعيف الصلوات والحسنات وحكاه صاحب الغاية عن ابي يوسف ومحمد بن الحسن وقد ذكر ابن الجوزي في مثير الغرام عدة من استوطن مكة من الصحابة • فبلغوا أربعا وخمسين صحابيا • وجماعة كثيرة من التابعين •

قال : وقد جاور بها عبدالله بن عمر ، وجابر بن عبدالله .

قال النووي : والمختار أن المجاورة بها مستحبة ، الا ان يغلب على ظنه الوقوع في الامور المحذورة . وينبغي له أن يتذكر بها ما جاء عن عمر بـن الخطاب رضي الله عنه انه قال : لخطيئة أصيبها بمكة أعز علي مـن سبعين خطيئة بغيرهـا .

وفي بعض كتب الحنابلة : سئل احمد عن الجوار بمكة وكان هو لما أراد الخروج استأذن المتوكل أن يجاور بها فقيل له : حر شديد ، فأمسك وقال : الجوار لابأس به ، انما كره عمر الجوار لمن هاجر منها .

# المسألة العشرون

ان الدجال لايدخلها لما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها الا عليه الملائكة حافين يحرسونها .

## المسألة الواحدة والعشـــرون

روى ابو القاسم الطبراني في معجمه الاوسط من طريق عبد الله بـــن المؤمل : ثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن محيصن عن عطاء ابن أبى ربـــاح عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: احتكار الطعام بمكة الحاد، ورواه ابو داود .

## المسألة الثانية والعشرون

روى الحافظ أبو القاسم الاصبهاني في كتاب الترغيب بسنده الى سفيان ابن وكيع ، ثنا موسى بن عيسى الليثي عن زائدة عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايسكن مكة سافك دم ولا مشاء بنميم ، قال : وهذا الحديث بهذا الاسناد رواه غير واحد عن سفيان بن وكيع وقوله : لايسكن بجزم النون على النهي أي لاينبغي أن يسكن .

# المسألة الثالثة والعشرون

انه لايصح دخول مكة المكرمة الا بالاحرام . وهذه مسألة خلافية بين أهل العلم . والاصل فيها أنهم اختلفوا : هل قصد مكة قصد للنسك أم لا ؟ فمن يرى أن قصد مكة قصد للنسك يرى أنه لا يجوز دخولها الا بالاحرام . ومن يرى أن قصدها قد يكون للنسك وقد يكون لغيره يرى أنه لايلزم الاحرام لكل داخل لمكة الا لمن قصد الحج او العمرة أما من كانت له حاجة بمكة وجاء لقضائها فلا يلزمه الاحرام .

# المسالة الرابعة والعشرون

ان الله سبحانه وتعالى أقسم بمكة في موضعين من كتابه فقال ( وهــذا البلد ) وقال ( لا أقسم بهذا البلد ) أي أقسم لان ( لا ) في هـــذا الموضع عند النحويين صلة.

# المسألة الخامسة والعشرون

ان الدعاء في مكة وحرمها مستجاب ففي الصحيحين : عن عبد الله بن مسعود لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على قريش شق عليهم وكانوا يرون ان الدعوة في تلك البلدة مستجابة .

وقال الحسن البصري : الدعاء هناك مستجاب في خمسة عشر موضعا : في الطواف ، وعند الملتزم ، وتحت الميزاب ، وفي البيت ، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة وعند الجمرات وعند الركن اليماني وبين الصفا والمروة وبين الركن والمقام ، وفي جوف الكعبة .

وذكر المحب الطبري أن الحسن البصري قال : ان الحجر الاسود يستجاب عنده الدعاء أيضا . وذكر أن شيخه القاضي مجد الدين الشيرازي ذكر في كتاب الوصل والمنى في فضل منى : أن هناك مواضع أخرى بمكة وحرمها يستجاب فيها الدعاء : منها ثبير الذي بلحفة منارة الفتح ، ومسجد الكبش ، ومسجد الخيف ، وفي مسجد النمر ببطن منى .

وزاد ابن الجوزي مواضع : منها : مسجد البيعة بمنى ، وغارالمرسلات ومغارة الفتح .

وذكر آخرون أماكن أخرى . كذا في شفاء الغرام .

قلت وكثير من هذه الأماكن لا يعرف مكانه الآن فالاقتصار على المعروف الثابت أولى وأحسن .

أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث جابر ــ رضي الله عنه ــ أنه صلى الله عليه وسلم رقى على الصفا فوحد الله وكبره وهلله ثم دعا بين ذلك وفعل على المروة كما فعل على الصفا .

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ في حديث طويل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى الصفا وصلى عليه حتى نظر الى البيت ورفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو ما شاء الله أن يدعو .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لاترفع الايدي الا في سبعة مواطن : حين تفتتح الصلاة وحين تدخل المسجد الحرام فتنظر الى البيت ، وحين تقوم على الصفا، وحين تقوم على المروة ، وحين تقوم مع الناس عشية عرفة وتجمع العشاءين ، وحين ترمي الجمرة .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفي الاسناد محمد بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وحديثه حسن .

وقال الازرقي في تاريخ مكة : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا محمد بن سليم، حدثنا الزنجي مسلم ابن خالد عن ابن جريج عن عطاء أنه قال : من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه •

وحدثنا أبو الوليد قال : حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن سراج عن جعفر ابن محمد عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا جاء ميزاب الكعبة وهو في الطواف يقول : اللهم اني أسألك الراحة عنـد الموت والعفو عند الحساب •

## المســألة السادسة والعشرون

يختص ذبـــح الهدايـــا بمكة

يختص ذبح دماء الحيوانات في الحج والهدايا بها ، ويجب تفريقه على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون ، والقاطنون أولى ، ولو ذبح في الحل لم يجزئه على الاظهر ، سواء في هذا كله دم التمتع والقران وسائر ما يجب بسبب في الحل والحرم ، او سبب مباح كالحلق للآدمي أو بسبب محرم •

## المسالة السابعة والعشرون

### استـــحباب ختم القرآن بمـــكة

استحب السلف للقادم الى مكـة الا يخرج منهـا حتى يختم القرآن جميعه لاسيما في الطواف •

وروى استحباب ذلك في المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال •

قال ابراهيم النخعي : كان يعجبهم اذا قدموا مـــكة الا يرجعوا حتى يختموا القرآن • رواه سعيد بن منصور •

# المسالة الثامنة والعشرون

## طـــواف الـوداع

يجب على من خرج من مكة ، وان لم يكن قد حج أو اعتمـر ، الى مسـافة تقصر فيها الصلاة مكيا أو غير مكي ـــ أن يطوف للوداع تعظيما للحـرم على أصـح الوجهين .

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : لاينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت .

## المسألة التاسعة والعشرون

انه سبحانه عطف القلوب والافئدة اليه دون غيره مـــن البلاد ، فهي للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد ، فهو أولى بقول القائل :

( محاسن صورة كل حســن ومغناطيس أفئدة الرجال )

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابة للناس أي يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ولا يقضون منه وطرا ، بل كلما قربوا منه ، ازدادوا شوقا .

( لايرجــع الطرف عنهــا حين يبصرهــا
حتى يعـــود اليهـــا الطـرف مشـــتاقا )

والسر في هذا التوقان دعاء الخليل صلى الله عليه وسلم في قوله :

( فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ) وما روى ان الله يلحظ الكعبة في كل عام لحظة في ليلة نصف من شعبان فعند ذلك تحن اليها قلوب المؤمنين.

# المسـألة الثـلاثون

## فضـل المـوت بمـكة

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات في هذا الوجه من حاج أو معتمر لم يعرض ولم يحاسب وقيل له : أدخل الجنة (١) •

٢ ـ عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات في طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة ولم يحاسبه(٢) •

٣ ـ عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات بأحد الحرمين استوجب شفاعتي وجاء يوم القيامة من الآمنين • أخرجه ابن عدي •

---

١ ـ أورده ابن الجوزي في الموضوعات . وتعقبه السيوطي فقال : أخرجه أبو يعلي والعقيلي وابن عدي وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان وغيرهم من طرق عن عائذ ولم يتهم بكذب بل نقل العقيلي عن يحيى بن معين أنه قال عائذ ابن بشير ليس به بأس وقال ابن عدي قد رواه الثوري ولم يسمه وقال عن رجل ( كذا في اللآلي المصنوعة ٢ / ١٢٨ ) .

قلت : قال الزركشي ورواه البيهقي من غير طريق عائذ بل عن طريق محمد بن اسحق عن حميد عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعا من خرج حاجا أو معتمرا أو غازيا ثم مات في طريقه كتب الله له أجر الغازي والحاج والمعتمر الى يوم القيامة .

٢ ـ أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق اسحق بن بشر الكاهلي وقال : انه كذاب ، لكن السيوطي تعقبه بأنه له طريق آخر أخرجه الحارث في مسنده وله طريق ثالث عن ابن عمر أخرجه أبو عبدالله بن منده في أخبار أصبهان بلفظ : من مات في طريق مكة في البدأة أو في الرجعة وهو يريد الحج أو العمرة لم يعرض ولم يحاسب ودخل الجنة . والله أعلم .

٤ ـ وعن ابي الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات في أحد الحرمين مكة أو المدينة بعث آمنا ـ اخرجه ابن عدي(١) •

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات بين الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله بلا حساب عليه ولا عذاب ـ اخرجه الحاكم(٢) •

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم المقبرة هذه • قال ابن جريج يعني مقبرة مكة(٣) •

---

١ ـ أورد ابن الجوزي هذين الحديثين في الموضوعات ، ولكن تعقبه السيوطي فقال أفرط المؤلف ـ أي ابن الجوزي ـ في ايراد هذين الحديثين في الموضوعات وقد أخرجهما البيهقي في الشعب واقتصر على تضعيف اسنادهما وقال : ان اسناد حديث جابر أحسن من اسناد سلمان والذي استخير الله فيه الحكم لمتن الحديث بالحسن لكثرة شواهده ( اللآلىء المصنوعة ٢/١٢٩ ).

قلت : وقد ذكر السيوطي هذه الشواهد وحاصلها مروي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث . اخرجه الطيالسي في مسنده .

وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث . أخرجه البيهقي والجندي في فضائل مكة وعن أنس مرفوعا . أخرجه الجندي والبيهقي . وعن حاطب مرفوعا أخرجه البيهقي . وعن محمد بن قيس بن مخرمة أخرجه الجندي . وعن عطاء أنه قال : من مات في الحرم بعث آمنا . أخرجه ابن المنذر في التفسير .

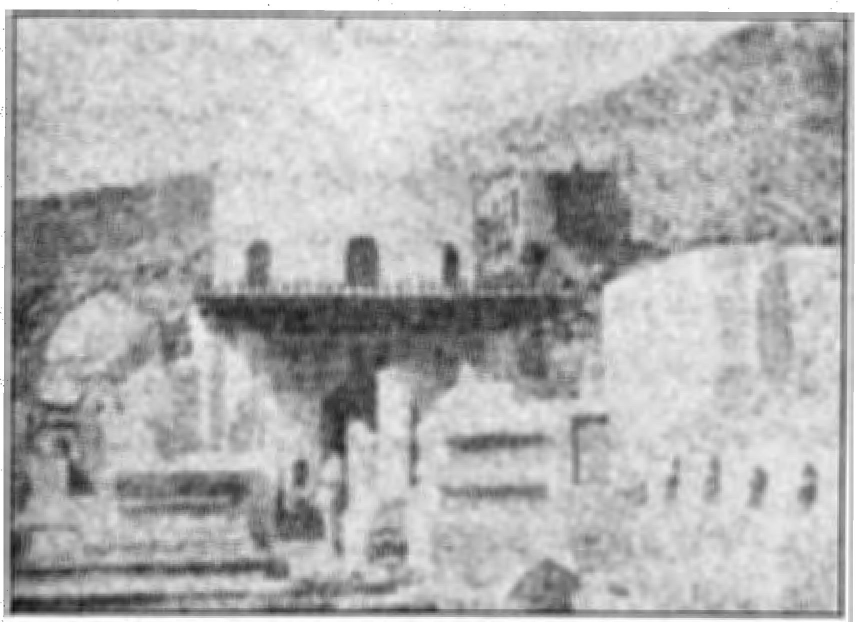
٢ ـ أورده ابن الجوزي في الموضوعات وتكلم على أحد رجاله وهو عبدالله بن نافع عن مالك عن نافع فقال : لايصح عبد الله بن نافع ضعفه البخاري وابن معين والنسائي .

قلت : وقد تعقبه السيوطي بان عبد الله بن نافع الذي ضعفه المذكورون لاتعلم له رواية عن مالك وانما يروى عن أبيه نافع وانما الذي روى عن مالك عبدالله بن نافع الصائغ ولا يعلم فيه مطعن وقدقال ابن الجوزي في كتاب الضعفاء جملة من يجيء في الحديث عبد الله بن نافع سبعة لم نر طعنا سوى في عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ـ والله اعلم ( اللآلىء ٢/١٣٠ ) .

٣ ـ أخرجه البزار في مسنده عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبي خداش عن ابن عباس الحديث : قال البزار : وهذا لانعلمه يروى الا من هذا الوجه . وابراهيم بن ابي خداش رجل من أهل مكة لا يعلم حدث عنه الا ابن جريج ( كذا في إعلام الساجد ١٨٥ ) قلت : ذكر ابن حجر في ترجمة ابراهيم بن أبي خداش هذا الحديث وقال : أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن ابن جريج . واما ابراهيم بن أبي خداش هذا فقد أفاد ابن حجر أيضا أن ابن حبان ذكره في ثقات التابعين اهـ ( انظر تعجيل المنفعة ١٦ ) .

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات بمكة فانما مات في سماء الدنيا » (١) .

قال الفاسي : وروينا عن الحسن البصري في رسالته المشهورة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من مات بمكة فكأنما مات في سماء الدنيا (٢) .



مقابر من مكة القديمة

١ ـ قال الفاسي اسناده ضعيف ١ / ٨٥ .
٢ ـ شفاء الغرام ١ / ٨٥ .

# المسألة الواحدة والثلاثون

## خصـــائص أهـــــل الحـــرم

من خصائص أهل الحرم كما قال الماوردي في الاحكام السلطانية : الا يحارب أهله وان بغوا على أهل العدل فقال بعض الفقهاء : يحرم قتالهم بـــل يضيق عليهم حتى يرجعوا الى الطاعة ويدخلوا في أحكام أهل العدل • قال : وقال جمهور الفقهاء يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغي الا بالقتال لان قتال البغاة من حقوق الله تعالى التي لايجوز اضاعتها فحفظها في الحرم أولى من اضاعتها قلت وسبب الخلاف عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما » فانــه يشمل كل سبب من أسباب القتال ويبين خصوصية احلالها له ساعة من نهار •

وكذلك عموم قوله : « فان أحـــد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليـهوسلم فقولوا : ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم » فانه يشمل اباحـــة مطلق القتال لرسوله صلىالله عليه وسلم وتحريم مطلق القتال بالنسبة لغيره •

ويشهد لهذا ما جاء في مسند البزار عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان قوم صالح لما عقروا الناقة أهلك الله من كان في الارض منهم الا رجلا كان في حرم الله فمنعه من عذاب الله » قالوا : يارسول الله من هو ؟

قال « أبو رغال » (١) ومن خصائص أهل مكة ان روايتهم مقدمة على رواية غيرهم فقد نقل الزركشي(٢) عن ابى الفتح بن برهان الاصولي في كتابه الاوسط انه قال : تقدم رواية اهل الحرمين على غيرهم لانهم أعلم بحاله صلى الله عليه وسلم من أهل العراق وغيرهم ولذلك قال بعض المحدثين اذا جاوز الحديث الحرمين انقطع نخاعه اهـ •

ومعنى انقطع نخاعه انه لايعتد به فكأنه كالميت الذي انقطع نخاعه وذلك مبالغة في قوة احاديث أهل الحرمين والا فهناك أحاديث صحيحة يعمل بها وهي من رواية أهل بلاد اخرى • ومن خصائص أهل مكة انمن جاور بمكة المكرمة كان كمن رابط في ثغر من الثغور للجهاد في سبيل الله •

وذلك لانه ورد في الحديث تسمية مكة المكرمة رباطا • فقد نقل الفاسي عن الفاكهي بسنده مرفوعا : مكة رباط (٣) قلت : وهذا من حيث المعنى صحيح فان المسلم إذا جاور بمكة رغبة فى اكتساب الخيرات وإدراك الفضائل فانه يجتهد كل الاجتهاد ويحرص كل الحرص ويحافظ كل المحافظة على أوقاته فلا يضيع منها لحظة إلا فى أشرف فائدة ترجع عليه بأعظم عائدة وهذا هو الجهاد .

---

١ ـ قال الزركشي فيه مسلم بن خالد فيه ضعف ( ١٦٣ ) .
٢ ـ أعلام الساجد ٢١٥ .
٣ ـ وسنده عن الفاكهي قال حدثنا عبد الله بن منصور عن سليم بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

ومن خصائص أهل مكة أنه لايلزمهم الخروج الى ميقات للاحرام بالحج وانما ميقاتهم مكة وقد ذكر بعضهم أن الافضل أن يحرم من المسجد قريبا من البيت الحرام .

أما غيرهم من المتمتعين فانه يلزمهم الخروج الى ميقاتهم والا لزمهم الهدي .

وقد جاء في الحديث : « وأهل مكة يهلون منها » . فميقاتهم أشرف المواقيت بل انما حددت تلك المواقيت وجعلت من أجل حرمة الدخول لمكة المكرمة كما لايخفى .

ومن خصائص أهل مكة أنه لادم عليهم في التمتع والقران عند مالك والشافعي وأكثر العلماء . لكونهم من حاضري المسجد الحرام . فلو أحرم المكي بالعمرة في أشهر الحج ، أو أحرم بالعمرة والحج فانه لا يجب عليه دم هو دم التمتع او القران وذلك لقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى » . والشاهد فى الآية قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » .

لكن الامام مالك كره القران لاهل مكة وهو الجمع بين الحج والعمرة وقال أبو حنيفة : لا يجوز ذلك للمكي .

فان فعل فعليه هدي وان تمتع فلاشيء عليه ففرق بين دم القران والتمتع .

قلت : لكن المقرر في كتب المالكية والشافعية والحنابلة أن المكي اذا تمتع أو قرن لزمه الاحرام ولا يلزمه لها دم بالنص وهو المنقول عن أئمتهم .

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جملة من الصحابة والتابعين أن أهل مكة هم أهل الله ، وهي منقبة لم تثبت لاهل بلدٍ غير مكة المكرمة ولهم شرف بهذه النسبة والاضافة ما بعده شرف .

١ – قال صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت أسيدا في الجنة وأنى يدخل أسيد الجنة » (١) فعرض له عتاب (٢) فقال : « هذا الذي رأيت ، ادعوه لي فدعا له فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال لعتاب : أتدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله ، فاستوص بهم خيرا ، يقولها ثلاثا يعني فاستوص بهم خيرا فاستوص بهم خيرا .

قلت : أخرجه الازرقى(٣) ١٠١/٢ .

---

١ – يعني لايدخل أسيد الجنة لانه مات كافرا .

٢ – هو عتاب بن أسيد أمير مكة .

٣ – وسنده ، حدثنا ابو الوليد قال حدثني جدي حدثني عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن أبي مليكة يقول : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحديث : قلت : أما عبد الجبار فهو صدوق وأما ابن أبي مليكة فهو عبد الله ابن عبيد الله بن أبي مليكة تابعي ثقة فهذا سند مرسل جيد .

٢ ـ وقال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة : كان أهل مكة فيما مضى يلقون فيقال لهم يا أهل الله وهذا من أهل الله قلت : رواه الازرقي(١) ( ١٥١ / ٢ ) .

٣ ـ عن الحسن بن مسلم المكي قال : استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نافع بن عبد الحارث الخزاعي على مكة قال : فلما قدم على عمر استقبله فقال عمر : من استخلفت على أهل مكة فقال ابن أبزي قال : استعملت على أهل الله رجلا من الموالى فغضب عمر حتى قام في الغرز قال فقال : فاني وجدته أقرأهم لكتاب الله وأعلمهم بدين الله قال فتواضع عمر بن الخطاب حتى لصق بالرجل ثم قال : لئن قلت ذلك لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تعالى يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين .

قلت : رواه الازرقي واللفظ له (٢) ( ٢/١٥١ ) . والشاهد في الحديث قول عمر في سؤاله استعملت على أهل الله مولى .

---

١ ـ سنده : حدثنا أبو الوليد قال حدثني جدي عن الزنجي عن ابن جريج عن عبد الله الحديث ـ قلت : الزنجي هو مسلم بن خالد وهو صدوق ، وابن جريج الامام المعروف والسند جيد موقوف على ابن أبي مليكة وله شواهد جيدة عند الازرقي .

٢ ـ وسنده : حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن مسلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم المكي قال الحديث الخ .
قلت : أما حميد فهو حميد بن ابي حميد الطويل وهو ثقة معروف، وبقية الرجال معروفون وهم كلهم ثقات عدول، كما ظفر لي بعد الكشف عنهم في كتب الرجال وقد روى ابن ماجه في سننه هذا الحديث من طريق آخر وبلفظ مقارب في أول كتابه في باب فضل من علم القرآن وعلمه .
وله شواهد جيدةعند الازرقي ومن أراد الوقوف عليها فليرجع اليها وقد اكتفينا بما ذكرنا مما يفيد المستفيد والله أعلم .

٤ ـ وقد ورد مثل ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قصة ساقها الازرقي بسنده وهي أن رجلا مـن المهاجرين دخل على أبي بكر رضي الله عنه وهو شاك (١) فقال : استخلفت علينا عمر وقد اشتد علينا ولا سلطان له فلو قـد ملكنا كان أعتى وأعتى فكيف تقول لله سبحانه اذا لقيته فقال : ابو بكر : أجلسوني فاجلسوه فقال : فاني أقول اذا لقيته استخلفت عليهم خير أهلك قال معمر : فقلت للزهري وما قوله خـير أهلك ؟ قال خير أهل مكة • روى هذا الحديث الازرقي (٢) ٢/١٥٢ •

وهذه الآثار الثابتة تدل على أن أهل مكة كانوا يلقبون بأهل الله ، وأن هذه المنقبة الخاصة بهم معروفة مشهورة بيهم فقد جاءت على لسـان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى لسان أبي بكر رضي الله عنـه وعلى لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه •

وكان وهب بن منبه يروي أن الله عز وجل يقول : من آمن أهل الحرم استوجب أماني ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي • ولكل ملك حيـازة ماحواليه وبطن مكة حوزتي التي اخترت لنفسي أنا الله ذو مكة أهلها جيرتي

---

١ ـ أي كان أبو بكر مريضا .

٢ ـ سنده حدثنا أبو الوليد حدثنا ابن أبي عمر حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد عن أسماء بنت عميس قالت : دخل رجل مـن المهاجرين الحديث قلت : أما ابن أبي عمر فهو محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني نزيل مكة وهو صدوق وعبد الرزاق هو الصنعاني صاحب المصنف والسند جيد .

وجيران بيتي وعمارها وزوارها وفدي وأضيافي وفي كنفي وأماني ضامنون علي وفي ذمتي وجواري رواه الازرقي (١) ( ١٥٣ / ٢ ) .

ومن خصائص أهل مكة أن الله سبحانه وتعالى ميزهم بنوع خاص من الرحمات التي تنزل على المشتغلين بالطاعات والعبادات ، كما جاء في الحديث المشهور عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ينزل في كل ليلة ويوم عشرين ومائة رحمة ينزل على هـــذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٢) وفي رواية : على هذا المسجد مسجد مكة (٣) . وفي رواية : تنزل على أهل هذا البيت (٤) .

ومن خصائص أهل مكة قربهم من البيت الحرام وهذا يمكنهم من اكثار الطواف به على الدوام .

ومن خصائص أهل مكة قربهم من الكعبة المعظمة وهذا يمكنهم مـــن اكثار النظر اليها الذي هو عبادة مكرمة . ومن خصائص أهل مكة قربهم من الماء المبارك المقدس مـــاء زمزم وهذا يمكنهم من اكثار شربه والتعلق بـــه والتضلع منه .

---

١ ـ سنده : حدثنا أبو الوليد قال حدثني جدي حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عـن وهب فيه عثمان بن ساج وهو فيه ضعف .
٢ ـ رواه الطبراني في المعجم الكبير .
٣ ـ رواه الطبراني في الاوسط .
٤ ـ رواه الفاسي في شفاء الغرام ١ / ١٦٧ .

ومن خصائص أهل مكة قربهم من الحجر الاسود وهذا يمكنهم من تقبيله ومسه الذي يحط الخطايا ويغفر الذنوب وهو مبايعة للحق سبحانه وتعالى .

ومن خصائص أهل مكة أنه يمكنهم الاكثار من الشعيرة العظيمة — شعيرة العمرة — لانهم بحكم قربهم من مواقيت العمرة — الجعرانة والتنعيم ، فان لهم فرصة واسعة في اغتنام خيراتها واكتساب بركاتها بالاكثار من الاعتمار ما أمكنهم . وفي هذه المسألة نزاع قديم بين العلماء سنتعرض له باختصار لتحصل الفائدة .

فاعلم انه قد قال بعضهم يكره لاهل مكة والمجاورين بها الاعتمار .

قال الزركشي : كره مالك لاهل مكة والمجاورين بها الاعتمار وقال يا أهل مكة ليس عليكم عمرة انما عمرتكم الطواف بالبيت .

قلت : الحكم بكراهية العمرة لاهل مكة ومن بهالم يصرح به مالك وانما فهم بعضهم من قوله : ليس عليكم عمرة انها مكروه . وهو فهم سقيم فنسبوا الى مالك القول بالكراهة من عندهم اعتمادا على ذلك الفهم . وأنت ترى أن قول مالك : ليس عليكم عمرة ، يدل على نفي الوجوب ونفي الوجوب لايدل على الكراهة لزوما وانما يشمل الاباحة والكراهة .

واما ما جاء عن أحمد ، لاعمرة على أهل مكة ، فقد أوله أبو يعلى بن الفراء من أصحابه بأنه يريد بذلك لاعمرة عليهم مع حجهم لانهم تقدم منهم

فعلها في أثناء السنة في غير وقت الحج وهذا التأويل وان كان لم يسلم من انتقاد الا ان الاكثار من العمرة مستحب عند الجمهور منهم : الشافعي وابو حنيفة وأحمد بن حنبل وأهل الظاهر ونقله ابن حزم عن علي بن ابي طالب وابن عمر وابن عباس وأنس وعائشة ومن التابعين عكرمة وعطاء للاحاديث الكثيرة الثابتة التي تحث على الاكثار من العمرة والحرص على تتابعها وتواليها والتي لم تقيد هذا بغير أهل مكة فاخراج أهل مكة من عموم هذه الاحاديث يحتاج الى دليل وانما لو قال قائل بالعكس لكان هو الاقرب الى الصواب يعني لو قال : ان أهل مكة يستحب لهم الاكثار من العمرة استحبابا مؤكدا أكثر من غيرهم لقربهم من مواطنها وحلولهم بمشاهدها ومجاورتهم للمكانيين المباركين الجعرانة والتنعيم لكان هو الاقرب الى الخير •

ولكنا لانقول بهذا وانما نقول أن أهل مكة يستحب لهم الاكثار من العمرة كغيرهم من الناس للاحاديث العامة التي تشملهم وتشمل عامة الناس والتي لم تخصص قوما عن قوم ولا أهل بلد عن آخر • ولا حجة لمن احتج على الكراهة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في عام الا مرة واحدة وذلك لانه صلى الله عليه وسلم ما حج منذ هاجر الا حجة واحدة ولا اعتمر منذ هاجر الا ثلاث عمر وعمرة مع حجته •

فيلزم على من احتج بذلك ان يقول بكراهة تكرار الحج وان لا يفعل الا مرة واحدة ولا قائل بهذا لا قديما ولا حديثا وان يقول بكراهة العمرة الا ثلاث مرات في العمر والدهر وهو خلاف ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حضه

على العمرة وأنها تكفر ما بينها وبين العمرة الثانية كما ثبت في الصحيحين وأمره بالمتابعة كما في السنن تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والهون كما ينفي الكير خبث الحديد والفضة والذهب •

وكما في الحديث : « حجج تترى وعمر نسق ينفين الفقر وميتةالسوء »
وكان علي يعتمر في كل شهر مرة (١) واعتمر ابن عمر في عام واحد أكثر من مرة واعتمرت عائشة ثلاث مرات في عام واحد (٢) •

وعن أنس أنه أقام بمكة فكان كلما جمم رأسه خرج فاعتمر والمعنى أنه كان كلما كثر شعر رأسه خرج واعتمر وحلق • ولا حجة لمن احتج على الكراهة أيضا بأفضلية الطواف على العمرة وان الاكثار من العمرة يفوت الاكثار من الطواف لان هذه المسألة فيها نزاع بين العلماء وليست محل اتفاق بينهم خصوصا • وان مسألة تكرار العمرة غير مسألة أفضلية الطواف عليها فهذه قضية وتلك أخرى وكثير من الناس يخلط بينهما ولا يفرق وهذا وهم أو سوء فهم منه اذ يقول : ان تكرار العمرة بدعة وأن الدليل على ذلك ان السلف لم يكرروها وان تكرار الطواف أفضل من العمرة • وهذا خلط ظاهر لان البحث والكلام في تكرار العمرة لا في المقارنة بينهما مع أنه لا مانع من القول بان تكرار العمرة سنة محمودة ، وان تكرار الطواف أفضل منها . فلا منافاة بين المسألتين فتدبر •

---

١ ـ رواه سعيد بن منصور .
٢ ـ المحلى ٧ / ٧٩ .

## المسالة الثانية والثلاثون

## فضـــل مقبــرة مــــكة المكرمــــة

أما فضل مقبرتها : فعن ابن عباس : انه صلى الله عليه وسلم قال لمقبرة مكـة : نعم المقبرة هذه • أخرجه البزار ، وعن ابن مسعود قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ثنية المقبرة ، وليس بها يومئذ مقبرة ، قال : يبعث الله عز وجل من هذه البقعة ، أو من هذا الحرم كله سبعين الفـا يدخلون الجنة بغيرحساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفـــا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قال ابو بكر : من هم يارسول الله ؟ قال : هم الغرباء •

ومن فضائل هذه المقبرة أن فيها جملة من الصحابـــة والتابعين والعلماء العارفين ، فمن الصحابة :

١ ـ الحرث بن لحوف ، ويقال ابن عوف والاصح الحرث بن لخوف ،ويقال الحرث بن مالك بن أسد بن جابر بن عوف بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن‌عبدمناف بن كنانة ابو واقد الليثي • وقيـــل اسمه عوف ابن الحـــرث •

٢ ــ حبة ، وقيل : عمرو والأول الأصح ، وقيل : حنة ، وقيل لبيد بن عبد ربه أبو السنابل بن بعكك بن الحرث بن السباق بن عبد الدار ٠

٣ ــ حمنن بن عوف أخو عبدالرحمن وعبدالله ابني عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشي الزهري ٠

٤ ــ خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الامــوى أخو عتاب بن أسيد ٠

٥ ــ خبيب بن عدي وقيل بن مالك بن عدي بن عامر الاوسي بدري ٠

٦ ــ خنيس بن خالد وخالد هو الاشعري بن ربيعة بن أحرم بن خنيس بن حبشية بن كعب بن عمر الخزاعي الكعبي يكنى أبا صخر ٠

٧ ــ خويلد بن خالد أبو ذؤيب الهذلي الشاعر ولقبه القطيل ٠

٨ ــ زيد بن الدثنة بن معوية بن عبيد البياضي بدرى أحدى ٠

٩ ــ سعد بن خولي بن عامر هو سعد بن خوله من بني مالك بن جــل ابن عـــامر ٠

١٠ ــ سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم المخزومي ٠

١١ ــ السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود أخو سليط وسهيل ٠

١٢ ــ سلمة بن الميلا الجهني ، وقيل سلمة بن الملياء •

١٣ ــ سمرة بن معير بن لوذان الجمحي ، أبو محذورة المؤذن غلب عليه كنيته ، وقيل اسمه أوس •

١٤ ــ شيبة بن عثمان بن طلحة ، ويقال ابن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الحجبي يكنى أبا عثمان وقيل أبا صفية •

١٥ ــ صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي يكنى أبا وهب وقيل أبا أمية •

١٦ ــ عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الليثي أبو الطفيل •

١٧ ــ عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تميم وهو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي ابو محمد وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو عثمان •

١٨ ــ عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمي ، وعثمان الاخير هو شارب الذهب •

١٩ ــ عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما هو أبو بكر ويقال أبو خبيب ويقال ابو بكر القرشي الأسدي المكي المدني أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق •

٢٠ ــ عبدالله بن السائب بن أبي السائب صيفي ابن عائذ بن عبد الله المخزومي •

٢١ ــ عبد الله بن شهاب بن عبد الحرث بن زهرة جد ابن شهاب الزهري •

٢٢ ــ عبدالله بن عامر بن كريز وقيل كرز بن ربيعة العبشمي •

٢٣ ــ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى يكنى ابو محمد وقيل : أبو عبدالرحمن وقيل أبو نصير القرشي السهمي •

٢٤ ــ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني الصحابي • أمه زينب بنت مظعون الجمحية •

٢٥ ــ عبدالله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر ابن عامر بن عذراء بن وائل بن ناجية بن جماهرس الاشعري •

٢٦ ــ عبد الله بن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطيب وهو الطاهر ابن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٧ ــ عبد الله بن ياسر العنسي أخو عمار بن عمار ابن ياسر بن عامر بن مالك مات هو وأبوه بمكة •

٢٨ ــ عتاب بن أسيد علي زنة أمير ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي ابو عبد الرحمن .

٢٩ ــ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري • واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار •

٣٠ ــ عثمان بن عامر بن عمرو أبو قحافة والـــد أبي بكر الصديق رضي الله عنهمـــا •

٣١ ــ العرس بن قيس بن ســعيد بن الارقم الكندي أخو عرفجة بـــن سـعيد الصحابي •

٣٢ ــ عياش بن أبي ربيعة المخزومى عمرو بن المغيرة بن عبداللـه بن عمـر مخزوم المخزومي ، أبو عبدالله وقيل أبو عبدالرحمن أخو أبي جهل لامه ، أمها أم الحلاس •

٣٣ ــ القاسم بن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

٣٤ ــ كلدة بن حنبل بن مليل ويقال بن عبد الله بن مليل بلامين •

كان كلدة أخا صفوان بن أمية لامه ، أمها بنت معمر ابن حبيب بـــن وهب بن خلافة بن جمح •

٣٥ ــ محمد بن حاطب بن الحارث الجمحي بن معمر بن حبيب بن وهب‌بن حذافه بن جمح القرشي الجمحي • كانت أمه أم جميل فاطمة بنت المجلل وقيل: جويرة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود •

٣٦ ــ المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة أبوعثمان الزهري بن الشفاءأخت عبد الرحمن بن عوف •

٣٧ ــ مغفل بن غنم وقيل عبد نهم بن عفيف بن أسحم أو سخيم بن ربيعة بن عداء أبو عبد الله بن مغفل المزني أخوي ذي النجادين •

٣٨ ــ ياسر بن عمار بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين لوذ بن أولود ثم بن ثعلبة ابن عوف بن حــارثة بن عامر بن يام بن مالك ابن أدد العنســي ابــو عمـــار •

٣٩ ــ أبو سبرة بن أبي رهم بن عبدالعزي العامري •

## ومن النســـــاء

١ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأمها قتله ويقـال قتيله بنت عبد العزي • وكانت تحت الزبير بن العوام •

٢ ـ خدامة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة بنت خويلد أم المؤمنين •

٣ ـ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب • وأمها زائدة بن أصم من بني عامر بن لؤي •

٤ ـ زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب أخت عثمان بن مظعون زوجـة عمر بن الخطاب •

٥ ـ زينب الأسدية المكية •

٦ ـ سمية أم عمار بن ياسر واسمها سمية بنت خباط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله رضي الله عنهن أجمعين •

وقد صنف الحافظ الفيروزابادى رسالة خاصة في ذكر من دفن بالحجون وللفقير الى الله محمد بن علوي المالكي رسالة خاصة في هذا الشأن أيضـا زدت فيها على من ذكره الفيروزابادى ممن قتل بمكة من الصحابة يوم الفتح . وكذا من قتل بأطرافها كأصحاب الرجيع وغيرهم •

# الامـاكن والمسـاجد المأثـورة

# بمكـة المكرمـة وأطرافها

## تنبيــه

نذكر في هذا الفصل جملة من الأماكن التاريخيّة والمآثر الدينية المعتبـرة المشهـورة بمكـة المكـرمة حفظاً للتاريخ ونقلاً للفضائل الواردة في الموضوع.

# مولد النبى صـلى الله عليه وسـلم

وهو مكان معروف إلى الآن بمكة في سوق الليل ولد فيه صلى اللـه عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل ، قيل ثانية ، وقيل ثالثة ، وقيل ثانى عشرة وهذا هو المشهور عند الجمهور .

ويوم الاثنين يوم مبارك فقد جاء عند الإمام أحمد أنه قال : قال ابن عباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يـوم الاثنين ، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يـوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين وقيل: إنه ولد مختونا مسرورًا أي مقطوع السرة واضعًا يديه على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء ليس عليه من أقذار الولادة شيء ، روى عن الشَفَّاء أم عبد الرحمن بن عوف وهى التى تولت ولادته قالت : لما سقط صلى الله عليه وسلم على يديّ واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله ، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الـروم .

وليلة مولده عليه الصلاة والسـلام وقعت عجائب وغرائب : فمنهـا انتكاس كثير من الأصنام ليلتئذ لوجوهها وسقوطها من أماكنها .

ومنها ظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد .

ومنها اضطراب إيوان كسرى ، وسقوط الشرفات وخمود النيران ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة .

**تاريخ هـذا البيت :**

لمـا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة استولى على هذا البيت عقيل بن أبى طالب ولم يزل بيده وبيـد أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفى ، ثم لما حجت الخيزران أم الخليفتين أخرجته وجعلته مسجدا يصـلى فيه .

قال ابن ظهيرة ما معناه : وجرت العادة بمكة في ليلة مولد الرسول أن يتهيأ الكبار والعلماء وأعيان البلاد بالفوانيس والشموع فيخرجون إلى بيت مولد الرسول لزيارته وإحياء ذكر مولده ، ويقال : إن الرسول صلى اللـه عليه وسلم لم يولد هنا ــ أي في هذا البيت ــ بل في غيره لكن الراجح أنه ولد فيه ورجح ذلك ابن ظهيره .

قال : والمعروف المشهور في مولده عليه الصلاة والسـلام هو الذى بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة ثم قال : وكون هذا مولد الرسول صلى الله عليه وسلم مشهور متوارث بأثر الخلف عن السلف .

**صفة هـذا البيت :**

وصفه الفاسي في شفائه بأنه بيت مربع في أسطوانة عليها عقدان ، وفي ركنه الغربى زاوية كبيرة ، وفيه عشـرة شبابيك ، وفيه محراب ، وبقـرب المحراب حفرة عليها درابزين من خشب اشارة إلى الموضع الذى ولد فيـه الرسـول بالمنزل .

وقد عمره الناصر العباسي سنة ٥٧٦ ثم الملك المظفر سنة ٦٦٦ وغيرهم .

هذا وقد وصفه ابن جبير في رحلته بوصف غير هذا مما يدل على أنه لم يدم على صفة واحدة بل كان يتغير صفة وبناء بتغير الزمن .

وقد وفق الله تعالى المرحوم الشيخ عباس قطان أمين العاصمة المقدسة بعد أن استأذن من جلالة الملك عبد العزيز رحمهما الله فأعاد بناء هذا البيت بعد أن تهدم وصار خرباً مهجورا ، ووضعت فيه مكتبة عامة عظيمة ضخمة تسمى بمكتبة مكة المكرمة مفتوحة للمطالعة والمراجعة وذلك حفظاً لشرف المكان بما يناسبه .

# بيت السيدة خديجة
# رضي الله تعالى عنها

وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدية ، تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده قصي •

وقد ولدت رضي الله تعالى عنها قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بنحو خمس عشرة سنة في هذا البيت المعروف اليوم ببيت السيدة خديجة •

ومن خصائصها رضي الله عنها : أنها هى التى طلبته صلى الله عليه وسلم إلى الزواج بها ، وأنها أول امرأة يتزوجها ، وعاشت معه بقية عمرها ولم يتزوج عليها بغيرها حتى ماتت ، ودفنها بمكة ونزل هو بنفسه في قبرها وقد عاشرته أربعا وعشرين سنة •

ومن خصائصها أنها أول من آمن به من النساء والرجال فصدقته وآزرته وأعانته وثبتته ، وخفّف الله بسبب إيمانها عن نبيه صلى الله عليه وسلم كل هم ، وفرج عنه ما أصابه في الدعوة من تعب ونكد وغم •

ومن خصائصها : ما جاء في الحديث عن سيد الأنام أنه قال : « سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون » • وفي رواية عن أنس رضي الله عنه مرفوعة « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران

وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية » أخرجه أحمد والترمذي وصححه .

ومن خصائصها أن كل أولاده صلى الله عليه وسلم منها إلا إبراهيم عليه السلام ، فإن أمه مارية القبطية .

ومن فضائلها : قوله صلى الله عليه وسلم : لقد رزقت حبها فأنا أحب من يحبها .

ومن فضائلها أيضًا : قوله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضي الله عنها لما غارت وتكلمت فيها : « ما أبدلنى الله خيرا منها لقد آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وآوتنى إذ رفضنى الناس وواستنى إذ حرمنى الناس ورزقنى أولادها إذ حرمنى أولاد النساء » أصله في الصحيحين وله روايات كثيرة عند أحمد وأبى حاتم والدولابى والطبرى وغيرهم .

ومن فضائلها : أن رب العزة أرسل لها السلام مع جبريل عليه السلام فقال : يا محمد هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه أُدام وطعام فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربها ومنى السلام ، فلما بلغها قالت : الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام . رواه الشيخان .

ومن خصائصها : أن جبريل بشرها ببيت في الجنة بقوله للنبى صلى

الله عليه وسلم : « بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » رواه الشيخان .

وقد توفيت رضي الله عنها في اليوم الحادى عشر من رمضان قبل الهجرة . وقيل غير ذلك .

**تاريخ هذه الدار :**

وفي هذه الدار تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة ، وفي هذه الدار ولدت السيدة فاطمة ، وكذلك جميع أولاد السيدة خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ساكنا فيها إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة فأخذها عقيل بن أبى طالب ولا زالت حتى اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه . قال ابن ظهيرة : وكانوا يذكرون الله تعالى فيه كل ليلة الثلاثاء من العشاء حتى الصباح ، وهذه الدار أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام ، وذلك لسكنى الرسول فيها وكثرة نزول الوحي عليه بها ، ومولد فاطمة الزهراء فيها والموضع الذى يقال إن فاطمة ولدت فيه كان مشهورا في هذه الدار وقت ما كانت تزار ويصلى فيها ، وقد كان طوله خمسة أذرع إلا ثمنا .

وكان في هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة مدورة واسعة فمها طولا من داخل البناء المحوط عليه ذراع وعرضها ذراع وفي وسطها حجر أسود يقال : إنه مسقط رأسها ولا ريب في كون فاطمة ولدت فيه . أما ذلك التحديد فيحتاج إلى دليل .

وقد عمر هذه الدار الناصـر العباسي في زمن الملك الأشـرف وكان يلاصق هذه الدار موضع يقال له : قبة الوحى ، وموضع ثالث لقبة الـوحى يسمى : المختبى ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختبىء فيه من الحجارة التى يرمى بها المشركون . وقد عمر قبة الوحى الملك المظفر صاحب اليمن .

وقد وفق الله تعالى المرحوم الشيخ عباس قطان أمين العاصمة المقدسة فأعاد بناء هذه الدار بعد أن صارت خرابا ، وأقام فيها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك للمحافظة على شرف المكان بما يناسبه .

# مولد علي بن أبي طالب
## كرم الله وجهه

وهو على بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، أول الناس اسلاما في قول كثير من أهل العلم .

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى في حجر النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، ولما آخى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال له : « أنت أخي » ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي .

وكان أحد الشورى الذى نص عليهم عمر ، ولم يزل بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم متصديا لنصر العلم والفتيا فلما قتل عثمان بايعه الناس .

ومن خصائص علي كرم الله وجهه قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر « لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غدوا كلهم يرجو أن يعطاها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أين على

ابن أبى طالب » فقالوا : هو يشتكى عينيه فأتى به فبصق في عينيه فدعا له فبرأ فأعطاه الراية » أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ومن حديث سلمة بن الأكوع نحوه باختصار وفيه، يفتح الله على يديه • وفي حديث أبى هريرة عند مسلم نحوه وفيه فقال عمر : ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم وفي حديث بريرة عند أحمد نحو حديث سهل وفيه زيادة في أوله •

وبعثه يقرأ « براءة » على قريش وقال : « لا يذهب إلا رجل منى وأنا منه » وقال لبنى عمه : « أيكم يوالينى في الدنيا والآخرة » ؟ فأبوا فقال علي : أنا ، فقال : إنه وليي في الدنيا والآخرة . وأُخذ رداءه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » ولبس ثوب النبى صلى الله عليه وسلم ونام مكانه وكان المشركون قصدوا قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلما أصبحوا رأوه فقالوا : أين صاحبك •

وقال له في غزوة تبوك : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبى » أي لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وقال يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وقال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقول إذا جاءنا الثبت عن على لم نعدل به ، وقال وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل كان على يقول :

سلونى وسلونى عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهــار •

وكان قتل على في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعــين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر لأنه بويع بعد قتل عثمان في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت وقعة الجمل في جمــادى سنة ست وثلاثين ووقعة صفين في سنة سبع وثلاثين •

**تــاريخ هــذه الــدار :**

هذه الدار ولد فيها سيدنا على بن أبي طالب وهى تقرب من مولد النبى صلى الله عليه وسلم في شعب يقال له : شعب على وكان مكتوبا على هــذه الدار « هذا مولد أمير المؤمنين » وفي هذا المحل تربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر أن في جدار هذا المحل حجر يقال : إنه كان يــكلم النبى صلى الله عليه وسلم وقد عمر هذا الدار أحمد الناصر لدين الله سنة ٦٠٨هـ أما الآن فلقد بنى هذا المكان من جديد وفيه المدرسة الأهلية المسماة بمدرسة النجاح الليلية لمكافحة الأمية .

# دار الأرقم بن ابى الأرقم

# اول مدرســـة في الاســـلام

أما الأرقم هذا فهو صحابى ، كان من السابقين الأولين وقيل : أسلم بعد عشرة من الصحابة ، وذكر : أنه شهد بدرا وتوفى سنة ٥٢ من الهجرة .

وكانت له دار بمكة على الصفا ، فلما أسلم أوقف داره على المسلمين ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس فيها مستخفيا من قريش يدعــو الناس فيها للإسلام ، وقد أسلم في هذه الدار جماعة كثيرة من كبار الصحابة ، ولا زال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجلس فيها حتى تكامل عدة من أسلم أربعين رجلا وكان آخرهم عمر ، فلما كانوا كذلك خــرجوا جهارا ، ثم إن أحفاد الأرقم بعد زمن باعوها لأبى جعفر المنصور(١) .

وقد أطلق على هذه الدار في مدة من الزمن اسم دار الخيزران ولعلها سميت بهذا الاسم لأن الخيزران جارية المهدى العباسي بنت فيها مسجدا كان الناس يزورونه فيكون نسبتها إليها تجوزا(٢) .

---

١ ـ راجع ابن حجر العسقلانى الاصابة في تمييز الصحابة ، وابن عبدالبر الاستيعاب في معرفة الاصحــاب .

٢ ـ ابن ظهيرة ص ٣٣٠ .

وقد تجدد بناء هذه الدار في التوسعة الجديدة للحرم المكى وأصبحت مقرا لبعض هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وصار جزء منها مقــرا لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه ، ثم هدمت وأصبحت أثرا بعد عين حتى أنها لا تكاد تعرف اليوم نسأل الله تعالى أن يوفق حكومتنا الرشيدة لإعادة بناء هذه الدار التاريخية العظيمة إحياء للآثار الدينية الإسلامية فهى بلا شــك أولى من إحياء الآثار التى لا صلة لها بالتاريخ الاسلامى .

# غـــار حـــراء

وهو من الأماكن الأثرية التاريخية ، وهذا الغار بجبل يسمى حراء ــ أو جبل النور ــ يقع في شمال مكة على يسار الذاهب إلى عرفات بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل ويقول ياقوت : إنه يبعد عن مكة ثلاثة أميال قلت : ولكن هذا من قبل لما كانت مكة صغيرة ، أما الآن فلقد امتد العمران حتى بعد جبل الحراء ، وارتفاعه ٢٠٠م والجبل عمودى ويصعد فيه فى نحو من نصف الساعـة .

أما الغار فيبعد عن قمة الجبل نحو ٥٠م والإنسان ينحدر إليه من القمة على درج غير منتظم ، والغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال تسع نحـو خمسة أشخاص جلوسا وارتفاعه قامة متوسطة(١) .

ولقد خص الله تعالى هذا الغار بكرامة عظيمة حيث نزل فيه الوحى على الرسول ، وقد كان الرسول يذهب قبل البعثة إلى هذا الغار فيمكث فيه ليالى طويلة يتعبد فيه حتى نزل عليه فيه جبريل بأول آية من القرآن كما جاء ذلك في صحيح الإمام البخارى وكان ذلك في شهر رمضـان واختاره الرسـول متعبدا له لبعد الناس ، ومنه يرى الكعبة واضحة ( قبل أن ترتفع المبانى التى تحجب الكعبة اليوم ) ولانه متعبد آبائه من الأنبياء .

---

١ ـ راجع مرآة الحرمين ص ٥٨ للواء ابراهيم رفعت والفاسي ج : ١ ص ٢٨

# غـــار ثـــور

وهذا الغار في جبل يسمى جبل ثور ، جبل أكبر من حراء وأبعد منـــه بالنسبة لمكة مقداره ميل وسمى بثور نسبة لثور بن مناة ويصعد فيه الصاعد في نحو من ساعة ونصف وهو عبارة عن ثلاث جبال متصلة والغار في الثالث منهم وفي الجبل ٥٤ تعريجة حتى نصف الجبل فالصاعد تارة يصعد وأخرى ينحدر والغار عبارة عن صخرة مجوفة في قمة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ، ظهرهـــا إلى أعلا ، ولها فتحتان في مقدمتها واحدة وفي مؤخرتها واحدة .

وطول الغار ١٨ شبرا وطول فمه الضيق ٥ أشبار وسعته وارتفاعـــه عن الأرض مقدار شبر ومن جانبيه ثلثا شبر وسعته البا ب الثانى في مدخـــله ١٥ شبرا وقد ذكر الله تعالى هذا الغار في القرآن فقال : ثانى اثنين إذ هما في الغـــار .

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة مع أبي بكر من قريش اختفيا بالغار حتى يهدأ البحث عنهما مدة ثلاثة أيام ، وكان طعامهما التمر ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام من مكة ليلا ، وكان الكفار يخرجون ليبحثوا عنهما حتى يمروا بالغار فـــيرون العنكبوت على فمه فـــلا

يظنون أن بداخله أحدا حماية من الله تعالى لنبيه وحفظا لدينه وشرعه[1] .

وجاء في بعض الآثار المروية أن الله سبحانه وتعالى أمر حمامتين وحشيتين فاقبلتا تدفعان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ( ولله جنود السموات والأرض ) .

واقتفى المشركون أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الله حال بينهم وبين ذلك فاختلط عليهم الأمر ورأوا على باب الغار نسج العنكبوت وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله : « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » . وبينما هما في الغار إذ رأى أبوبكر آثار المشركين فقال يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا ، قال : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ».

---

١ ـ مرآة الحرمين ورحلة ابن جبير جـ ١/ص ٣٥.

## الصفـــا والمـــروة

أما الصفا فهو قطعة من جبل أبى قبيس وهو واقع في الجهة الجنوبيـــة من المسجد الحرام على مقربة من الباب المسمى ( باب الصفا ) .

وأما المروة فهو قطعة من جبل قعيقعان وهو واقع في الجهة الشماليـــة الشرقية من المسجد . والمروة : مكان مرتفع عن الأرض مثل الصفا .

والشارع الذى بين الصفا والمروة هو المسعى ، وطول هذا الشارع أربعمائة متر وخمسة أمتار ( ٤٠٥ مترا ) .

وقد كان في الجاهلية على الصفا وثن يسمى إسافا وآخر على المـــروة يسمى نائله فكانوا إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين ولذلك تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة خوفا من فعل الجاهلية فأنزل الله تعالى في كتابه العزيز : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » .

وقال النبى صـــلى الله عليه وسلم حين شـــرع في السعى بين الصفـــا والمروة : « ابدأوا بما بدأ الله به » أي اجعلوا أول السعى الصفا لأنه هـــو الذى بدأ الله تعالى به في قوله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا » والصفا والمروة من أماكن الاجابة فالدعاء فيهما مطلوب •

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو •

وروى جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما دنا من الصفا قرأ « إن الصفا والمروة من شعائر الله » ثم قال : ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادى حتى اذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا •

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صعد على الصفا استقبل البيت الحرام وكبر ثم قال : اللهم اعصمنى بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك اللهم اجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك وعبادك الصالحين اللهم يسرنى لليسرى وجنبنى للعسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واجعلنى من أئمة المتقين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لي خطيئتى يوم الدين اللهم إنك قلت

« أدعونى أستجب لكم » وإنك لا تخلف الميعاد اللهم إذ هديتنى للإسلام فلا تنزعنى منه ولا تنزعه منى حتى تتوفانى وأنا على الإسلام اللهم لا تقدمنى للعذاب ولا تؤخرنى لسوء الفتن .



الصفا قبل التوسعة السعودية

# أصل مشروعية الطواف والسعي

الطواف والسعى من مناسك الحج وشعائره من عهد سيدنا إبـراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وقد ثبت أن هاجر أم إسماعيل سعت بين الصفا والمروة سبعا عند حاجتها للماء حتى هداها الله تعالى إلى زمزم ، قـال ابن عباس رضي الله عنهما أقبل إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام وأمه وهى ترضعه ومعها شنة حتى وضعها عند البيت عند دوحـة فوق زمزم في أعـلا المسجد ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء فلما نفد عطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهة أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ، ثم استقبلت الـوادى تنظر هل ترى أحـدا ؟ فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعهـا ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقـامت عليها ، فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبعا ، فلذلك سعى الناس بينهما سبعا ( الحديث ) أخرجه البخارى مختصرا .

وحكمة مشروعية الطواف والسعى ما فيهما من الذكر والطاعة وإحياء سنن المرسلين وتعظيم الشعائر التى أمر الله بتعظيمها . روت عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما جعل الطـواف بالبيت وبـين

الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله . أخرجه أحمد وأبو داود والدارمي والترمذى وقال حسن صحيح .

وأما الرمل فيهما والاضطباع فهما خاصان بهذه الأمة ، والحكمة فيهما إظهار نشاط المسلمين وقوتهم ، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ، فأطلع الله النبى صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فأمرهم أن يرملوا وقعد المشركون ناحية الحجر ينظرون إليهم ، فرملوا ومشوا بين الركنين فقال المشركون : هؤلاء الذين تزعمون أن الحمى وهنتهم هؤلاء أجلد منا ، قال ابن عباس : فلم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم . أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى والبيهقى اهـ .


بعد التوسعة

# ذو طـــوى

بئر معروفة بمكة المكرمة وموضعها الآن بجرول أمام مستشفى الولادة وقد جاء ذكرها في الحديث الشريف وأن النبى صلى الله عليه وسلم نـزل عندها واغتسل منها وبات هناك .

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى طوى ويبيت بها حتى يصلى الصبح حين يقدم مكة . ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أكمة غليظة ليس في المسجد الذى بنى ولـكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة .

وعنه أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فعله ، أخرجاه أبو داود والنسائي وأخرج أبو ذر معناه وزاد : وكان يكره دخول مكة ليلا .

وعن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذى طوى حتى صلى الصبح ثم اغتسل ثم دخل مكة ، أخرجه مالك .

وعن علي كرم الله وجهه ورضي عنه : كان يغتسل بمنزله بمكة حين يقدم قبل أن يدخـل المسجد .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغتسل بذى طوى حين تقدم مكة ، أخرجـه الشافعى •

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج حاجا أو معتمرا لم يدخل مكة حتى يغتسل ويأمر من معه فيغتسلوا ، أخرجه مالك •

وعنه رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل بفخ قبل دخول مكة ، أخرجه الدارقطنى •

قال الحافظ محب الدين الطبري : الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء ، وذو طوى بضم الطاء المهملة وفتح الواو المخففة والقصر موضع عند باب مكة سمى بذلك ببئر مطوية فيه هكذا ضبطه بعضهم وضبطه الأصيلى بكسر الطاء • وقال الأصمعى هى بفتح الطاء • قال المنذرى وهو الصواب • فأما الموضع الذى بالشام فيكسر طاؤه ويضم ويصرف ولا يصرف وقد قرىء بهما ، وأما التى بطريق الطائف فممدود • وفخ : موضع معروف وهو بالفاء والخاء المعجمة موضع قريب من مكة ما بينها وبين منى ويكون هذا الغسل في غير حجة الوداع لأن غسله في حجة الوداع كان بذى طوى •

# مسجـــد الرايـــة

مسجد الراية هو المسجد الواقع بالجـودرية على يمين الصـاعد من المدعا إلى المعلاة وبين المسجد والبيوت التى قبله زقاق ضيق صغـير نافذ إلى الطريق العام(١) وبئر جبير بن مطعم واقعة في هذا الزقاق الضيق وملتصقـة بجدار البيت الذى بجوارها وهى بئر مهجورة . والمشهور أنه غرزت في ذلك موضع راية النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح .

ولقد جدد بناء هذا المسجد في زماننا سنة ١٣٦١هـ فعند حفر أساسـه عثروا على حجرين مكتوبين يدلان على أن هذا المسجد هو مسجد الرايـة أحدهما مؤرخ سنة ٨٩٨ هجرية وثانيهما مؤرخ سنة ١٠٠٠ (الف) .

قال الشيخ محمد طاهر الكردى في تعليقه على تاريخ القطبى الأعلام : وقد رأينا الحجرين حين عمارة المسجد ولا يزال الحجران مثبتين في جداره .

والبئر المذكورة حفرها في الأول قصي ثم دثرت فاستخرجها جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف وأحياها. هكذا قاله الأزرقى في تاريخه.

---

١ ـ ويقابله من الجهة الاخرى الآن البيوت المعروفة بعمائر الجفالى .

**ومن المساجد المشهورة بمكة المكرمة :**

( المسجد الذى يقال له مسجد الجن ) وهو بقرب مقبرة المعلاة يقال إنه موضع الخط الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سمع منه الجن وفيه نزلت سورة قل أوحى . وقد بنى بناء حديثا جميلا .

( والمسجد الذى يقال له مسجد الإجابة ) على يسار الذاهب إلى منى بالأبطح يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فيه . وقد بنى بناء جديدا .

( والمسجد الكائن بأسفل مكة ) الذى ينسب إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه يقال إنه داره التى هاجر منها إلى المدينة .

( والمسجد ) الذى في أول حارة الشبيكة يقال له مسجد سيدنا خالد ابن الوليد وهو الموضع الذى غرز رايته يوم فتح مكة .

( والمسجد الذى بذى طوى ) وهو الموضع الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم حين اعتمر وحين حج تحت شجرة كانت في موضع المسجد قيل إنه حج ألف نبي من بنى اسرائيل وخلعوا رواحلهم بذى طوى واغتسلوا منه وقيل إن الملائكة استمرت فيه ألف عام ينتظرون فيه قدوم آدم عليه الصلاة والسلام وبه خلع نعليه حين قدومه للبيت وسلك على منواله سبعون نبيا . وكل هذه الأقوال لا دليل عليها ، وهو معروف إلى الآن وهناك بئر معروفة ببئر ذى طوى .

ومن المساجد المأثورة مسجد ابراهيم وهو في أول عرفة ويقــال لــه مسجد عرنه وقد كان صلى الله عليه وسلم نزل بنمرة في يوم عرفة حتى زالت الشمس ثم سار منها إلى بطن الوادى حيث صلى الظهر والعصر وخطب وهو في حدود عرفة ببطن عرنــة .

ويقال إن هذا المسجد هو موضع صلاته صلى الله عليه وسلم .

واعلم أنه ليست عرنة ولا نمرة من عرفة ، ولذلك كان ينبغي على الحاج أن لا يكتفى بالصلاة في هذا المسجد بل يجب أن يدخل إلى بطن الــوادى حتى يتحقق بالوقوف في عرفة ، وقد أعادت الحكومة السعودية بناء هــذا المسجد فصار أفخم وأضخم مما كان .

# الجبـــال

**الجبال المأثورة بمكة المكرمة :**

منها جبل حراء وفيه الغار المعروف ومنها جبل ثور وفيه الغار المعروف أيضا وقد تقدم الكلام عليهما .

ومنها : ( الجبل المعروف بجبل أبي قبيس ) وهو الجبل المطل على الصفا وهو جبل مبارك مأثور ، وفي أعلاه مسجد يقال له : ( مسجد إبراهيم ) قيل : إن المراد به إبراهيم خليل الرحمن ، ولكن الصحيح أنه : ( مسجد إبراهيم القيسي ) كان يتعبد فيه ، وقد عمره رجل من أهل اليمن سنة خمس وسبعين بعد المائتين والألف من الهجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم وجعل عليه قبة ومنارتـين .

وأما الموضع الذى في آخره من جهة المسيل الذى يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبى صلى الله عليه وسلم فليس له صحة .

**جبـل ثبـير :**

وهو على يسار الذاهب من منى إلى عرفات ، وذلك الجبل من منى ، وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى به إسماعيل عليه الصلاة والسلام

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعــوة .

ومنها الجبل المقابل لثبير وفيه غار يسمى غار المرسلات في جهة مسجد الخيف من الجبل المذكور ويدل له الحديث الثابت في صحيح البخارى عــن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى اللــه عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه : والمرسلات إلى آخر الحديث .

**جبــل الرحمة :**

وهو جبل في وسط عرفات يسمى بجبل الرحمة ويسمى أيضاً بجبــل عرفة ويسمى بجبل الدعاء .

وقد وقف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده عند الصخرات الكبار ولذلك فإنه لا يسن صعوده ولا يستحب الوقوف عليه .

وأما ما اشتهر عند العوام من الاعتناء بالوقوف على جبل الرحمة الذى بوسط عرفات حتى ربما توهم كثير من جهلتهم أنه لا يصح الوقــوف إلا به فخطأ مخالف للسنة ولم يذكر أحد ممن يعتمد عليه في صعود هذا الجبل فضيلة وهو موقف الأنبياء والمرسلين .

**جبـل خندمـة :**

هو الجبل الكبير خلف جبل أبى قبيس المشرف على أجياد الصغـرى بشق شعب عامر ، قيل : إن فيه قبر سبعـين نبيا . قلت وليس في ذلك خبر صحيح .



**جبل الرحمة بعرفة**

# وادى محســـــر

وهو طريق ضيق بين سلسلتين من الجبال طوله نصف كيلومتر ، بـين مزدلفة ومنى .

ويقال : إن بهذا الوادى نزل بأس الله بأصحاب الفيل حينما جاؤا لهدم الكعبة فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فأهلكهم قبل وصولهم إلى غايتهم ، ويستحب للحاج الإسراع في الخروج منـه لأن النبى عليه الصلاة والسلام فعل ذلك .

وقيل إن العلة فيه أن النصارى كانت تقف هناك فنسرع نحن مخالفـة لهم كذا في المجموع للشافعية .

قال ابن القيم فلما أتى صلى الله عليه وسلم بطن محســر حرك ناقتـه وأسرع السير . وهذه كانت عادته في المواضع التى نزل فيها بأس الله بأعدائه فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا ولذلك سمى ذلك الوادى وادى محسر لأن الفيل حسر فيه ــ أي أعيا وانقطع عن الذهاب .

# عرفـــــات

عرفة عبارة عن ميدان واسع أرضه مستوية يقـرب طولها من ميلـين وعرضها كذلك ، وتحيط بها سلسلة جبال على شكل قوس كبير ، ويمر بطرفي هذا القوس من جهته الجنوبية ( القبلية ) الطريق الموصـل من مـكة الى الطائف .

وفي هذا الميدان الذى هو ميدان عرفة يخيم الحجاج يوم عرفة ، وفيه سـوق .

وتبتدىء حدود عرفة مما يلى مكة على بعد واحد وعشرين كيلومترا ونصف كيلو قريبا من المعلاة بمكة وقد وضع عند هذا الحد علمان يرمزان إلى مبدأ عرفة ، وعرفة كلها واقعة في الحل ـ أي في خارج حدود الحـرم ، وقد وضع قبل هذين العلمين من جهة مكة علمان آخران يرمزان إلى آخـر حـدود الحـرم .

والموضع الذى بين العلمين اللذين يرمزان إلى نهاية حدود الحرم مما يلى مكة والعلمين الآخرين اللذين يرمزان إلى مبدأ حدود عرفات هو الـذى يسمى ( بطن عرنة ) وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله « فاذا أفضتم من عرفات » وذكرها صلى الله عليه وسلم في الحديث : روى مسلم وأبو داود

وابن ماجه والإمام أحمد عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحرت ههنا ، ومنى كلها منحر ، فانحروا في رحالكم ، ووقفت ههنا، وعرفة كلها موقف ووقفت ههنا ، وجمع كلها موقف .

هذا والوقوف بعرفة يتحقق بالوجود في أي جزء من أجزائها محرما واقفا أو راكبا أو مضطجعا عالما أنها عرفة أو غير عالم في وقته (وهو ركن) من أركان الحج إجماعا. لحديث عبدالرحمن بن يعمر قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وأتاه ناس من أهل نجد فقالوا: يا رسول الله كيف الحج؟ فقال: الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه. أخرجه أحمد والأربعة والبيهقي والحاكم وصححه الترمذي، أما وقت الوقوف فهو ما بين زوال شمس يوم عرفة وطلوع فجر يوم النحر عند الحنفيين ومالك والشافعي والجمهور.

لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما وقف بعد الزوال وكذا الخلفاء الراشدون وقال أحمد : وقت الوقوف بعرفة ما بين طلوع فجر يوم عرفة وفجر يوم النحر ، ويكفى الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارا لحديث عروة عن مضرس الطائى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من صلى معنا صلاة الغداة بجمع فوقف معنا حتى نفيض وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلا أو نهارا فقد تم حجه . أخرجه أحمد والأربعة والبيهقى . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

**حكمـة الوقـوف :**

وحكمة مشروعية الوقوف بعرفة : أن الحجاج إذا اجتمعوا بها آملـين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم بين مقبول ومخذول يتذكرون مـوقف القضاء ( يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ) ولا تخفى الثمرات العمرانية المترتبة على اجتماع أطراف العالم الإسلامى في ساحة تجمع وفودهم وتضم شتيتهم ويقوم فيها خطيبهم يدلهم على ما فيه سعادتهم الباقية وهدايتهم الخالدة فلو شاءوا لانتفعوا أعظم انتفاع في الدين والدنيا والآخرة .

**فضـل يوم عرفـه :**

قد ورد في فضله أحاديث : منها حديث عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو عز وجل ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ؟ أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

وعن طلحة بن عبيدالله بن كريز عن أبي الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقـر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أرى يوم بدر ، قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة ، أخرجه مالك في الموطأ مرسلا والحاكم موصـولا .

ويسن للحاج أن يغتسل يوم عرفة ، وأن يقف عند الصخرات مستقبل القبلة رافعا يديه للدعاء حامدا مهللا مكبرا ملبيا مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم داعيا ربه باجتهاد وحضور قلب ، ولا يتكلف السجع في الدعاء ، ويستحب ان يخفض صوته به وأن يكرر كل دعاء ثلاثا ويكثر من التلبية رافعا بها صوته وليدع لنفسه ولوالديه ومشايخه وأقاربه وأصدقائه وكل من أحسن إليه وسائر المسلمين ، وليحذر من التقصير في شيء من هذا ، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه وينبغى أن يكرر الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة من جميع المخالفات مع الندم الشديد .

## خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة :

جاء في حديث جابر الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مسترضعا في بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله واتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم

ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد .

أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

## ما ثبت من الـدعاء في يـوم عرفـة

عن طلحة بن عبدالله بن كريز قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيـون من قبلي : ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له ) أخرجه مالك ، وأخرجه البيهقى في كتاب الدعوات الكبير هكذا مرسلا مبتورا .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . أخرجه الترمذى وأخرجه أحمد في المسند وقال : خير الدعاء وخير ما قلت ، مكان أفضل.

وعنه عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو عـلى كل شيء قديـر .

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في عرفة يقرأ هذه الآية : « شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة

وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم » وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب • أخرجهما أحمد في المسند •

وعن على رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر دعاء من كان قبلي من الأنبياء ودعائى يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وشر فتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر ، أخرجه البيهقى •

وعن سالم بن عبدالله أنه كان يقول بالموقف: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله إلها واحدا ونحن له مسلمون لا إله إلا الله ولو كره المشركون لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين ، ولم يزل يقول ذلك حتى غابت الشمس ثم التفت إلى بكير بن عتيق فقال : قد رأيت لوذانك بى اليوم ثم قال : حدثنى أبى عن أبيه عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، أخرجه أبوذر •

وعن علي رضي الله عنه قال : أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف : اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم لك

صلاتى ونسكي ومحياي ومماتى وإليك مآبى ولك رب تراثى اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تهب به الريح ، أخرجه الترمذى .

وعنه أنه قال : لا أدع هذا الموقف ما وجـدت إليه سبيلا لأنه ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار وليس يوم أكثر عتقا للرقاب من يـوم عرفة ، فأكثر فيه أن تقول : اللهم أعتق رقبتى من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عنى فسقة الجن والإنس فإنه عامة ما أدعو به اليوم ، أخرجه الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول بالموقف : الله أكبر ثـلاث مرات ، ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد مرة واحـدة ، ثم يقول : اللهم اهـدنى بالهدى واعصمنى بالتقوى في الآخـرة والأولى ثلاث مرات ، ثم يسكت قدر ماويقرأ بفاتحة الكتاب ، ثم يعود فيقول مثل ذلك حتى يفرغ ، وكان يقول : اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا ، أخرجه أبو ذر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان فيما دعا النبى صلى اللـه عليه وسلم في حجة الوداع : اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكانى وتعـلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليـك

ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبتـه وفاضت لك عبرته وذل لك خده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين ، أخرجه أبو ذر .

وعن علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس في الموقف قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء ، وأول من ينظر الله إليه صاحب هذا القول إذا وقف بعرفـة فيستقبل البيت الحرام بوجهه ويبسط يديه كهيئة الداعي ثم يلبي (ثلاثا) ويكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شـريك له له الملك وله الحمـد يحيي ويميت بيده الخير ، يقول ذلك مائة مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا باللـه العلي العظيم أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، يقـول ذلك (مائة مرة) ، ثم يتعـوذ من الشيطان الـرجيم ، إن الله هـو السميـع العـليم يقـول ذلك (ثلاث مرّات) ثـم يقـرأ فاتحـة الكتـاب (ثلاث مرات) يبدأ في كل مـرة ببسم اللـه الرحمن الرحيم ، وفي آخر فاتحة الكتاب يقول كل مرة : آمين ، ثم يقرأ قل هو الله أحد (مائة مرة) ، يقول أولها بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليـه وسلم فيقول : صلى الله وملائكته على النبي الأمي وعلى آله وعليه السلام ورحمة الله وبركاته (مائة مرة) ، ثم يدعو لنفسه ويجتهد في الدعاء لوالديـه ولقراباته ولإخوانه في الله من المؤمنين والمؤمنات ، فإذا فرغ من دعائه عاد في مقالته هذه يقول (ثلاثا) لا يكون له في الموقف قول ولا عمل حتى يمسي عـلى

هذا فإذا أمسى باهى الله به الملائكة يقول : أنظروا إلى عبدى استقبل بيتى فكبرنى ولبانى وسبحنى وحمدنى وهللنى وقرأ بأحب السور إليّ وصلى على نبيي أشهدكم أنى قد قبلت عمله وأوجبت له أجره وغفرت له ذنبه وشفعته فيمن تشفع له ولو شفع في أهل الموقف شفعته فيهم .

وعن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد أو أمة دعا بهذه الدعوات ليلة عرفة ألف مرة وهى عشر كلمات إلا لم يسأل ربه عز وجل شيئا إلا أعطاه إياه إلا قطيعة رحم أو مأثما . سبحان الذى في السماء عرشه ، سبحان الذى في الأرض موطئه ، سبحان الذى في البحر سبيله ، سبحان الذى في النار سلطانه ، سبحان الذى في الجنة رحمته ، سبحان الذى في القبر قضاؤه ، سبحان الذى رفع السماء ، سبحان الذى وضع الأرض ، سبحان الذى لا منجى ولا ملجأ منه إلا اليه ، سبحان الذى في القرآن وحيه .

وعن ابن دريد ( أن ) عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو بعرفات يقول : اللهم إن ذنوبى لم تبق لي إلا رجاء عفوك وقد تقدمت إليك فامنن عليّ بما لا أستأهله وأعطنى مالا أستحقه بطولك وفضلك . رواهما الطبرى في القرى بسنده ولم أجدهما في شيء من الأصول .

وينبغي للواقف في ذلك اليوم ألا يعرج على شيء غير العبادة والدعاء والذكر . وقد قال الشافعي : أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة . وينبغي أن يكثر من التضرع والابتهال والبكاء . وهنالك تسكب العبرات وتستقال العثرات وتنجح الطلبات وهو موضع يجتمع فيه خيـــار عباد الله ومن لا يشقى بهم جليسهم من أولياء الله جل وعلا ، فإن اشتغل بأمر مباح فلا بأس به .

# المزدلفـــــة

المزدلفة موضع بين منى وعرفة يبيت فيه الحجاج بعد وقوفهم بعرفة .

والمزدلفة واقعة بين مأزمى عرفة ـ الذى يقال المضيق ـ وبـين وادى محسر من جهة منى ، وطولها ما بين هذين الحدين أربعة آلاف متر وثلثمائة متر وسبعون مترا ( ٤٣٧٠ مترا ) .

وتسمى المزدلفة أيضا ( جمعا ) وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهمـا ـ يسمى المزدلفة كلها ( المشعر الحرام ) .

وللعلماء في بيان السبب الذى من أجـله سميت المزدلفة بهذا الاسـم أقوال كثيرة ، فقيل : سميت بذلك أخذا من الازدلاف الذى معناه الاقتراب لأن الناس يقتربون إليها .

وقيل : سميت بذلك لأنها مقربة إلى الله تعالى وقيل : سميت المزدلفة من الازدلاف بمعنى الاجتماع لأن الناس يجتمعون بها .

وقيل : لأن الله تعالى جمع بين آدم وحواء بها . وقيل : لأن الحجـاج يجمعون بين صلاتى المغرب والعشاء فيها ، ولهذا سميت ( جمعا ) .

وأما المشعر الحرام فهو ـ على ما عليه جمهور العلماء ـ المكان المسمى

( قزح ) وهو في وسط المزدلفة وهو الموضع الذى يستحب للحجاج أن يقفوا عنده يدعون الله تعالى ويذكرونه ويشكرونه أن هداهم للإيمان ووفقهم للطاعة وصالح الأعمال ، وإن كان الوقوف في أي بقعة من بقاع المزدلفة مجزئا ، ولكن الاقتداء بالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم والتأسي بعمله مرغوب فيه ، مندوب إليه ، وقد ثبت في السنة الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف عند قزح .

وقد كان أهل الجاهلية يوقدون بالمزدلفة نارا ويقال : إن أول من أوقدها قصي بن كلاب وإنما كانوا يوقدون النار ليراها من يدفع من عرفة حتى لا يضل الطريق .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دفع من عرفة إلى جمع والنار توقد وهو يؤمها حتى نزل قريبا منها .

وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : كانت النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان .

وقد ذكر الله تعالى المزدلفة في كتابه العزيز قال الله تعالى : ( فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ). وجاء ذكرها في السنة النبوية .

وروى مسلم عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ أن النبى صلى

الله عليه وسلم أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وبإقامة ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ، وكبر الله وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى على الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها رمى من بطن الوادى ثم انصرف إلى المنحر .

وروى البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير ، كيما نغير ، فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس ، وجمع هى المزدلفة .

**وقت الوقوف بمزدلفة :**

ووقته من طلوع فجر يوم النحر الى طلوع شمسه ، لقول عمرو بن ميمون ، صلى بنا عمر بجمع الصبح ثم وقف وقال إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ، أخرجه أحمد وأبو داود .

فمن وجد بمزدلفة في هذا الوقت ، فقد أدرك الوقوف وإن لم يبت بها ،

ومن لم يوجد بها فيه فاته الوقوف عند الجمهور • وقال الشافعى : يجـوز الوقوف بمزدلفة في النصف الأخير من ليلة النحر •

**سنن الوقـوف بمزدلفـة :**

يسن لذلك ستة أمور :

١ ـ يسن الغسل للوقوف بمزدلفة بعد نصف الليل فإن لم يجد ماء تيمم ( وهذه ) الليلة جمعت أنواعا من الفضل • منها : شـرف الزمان والمكان ، فإن مزدلفة من الحرم وقد اجتمع فيها وفد الله ومن لا يشقى بهم جليسهم فيطلب إحياؤها بأنواع العبادة مـن صلاة وتلاوة وذكر ودعاء وتضرع •

٢ ـ ويسن التعجيل بصلاة الصبح ليتسع وقت الوقوف بمزدلفة لما تقدم عن جابر •

٣ ـ ويسن أن يأتي المشعر الحرام ويقف عنده أو يرقى عليه مستقبلا القبلة داعيا ذاكرا ملبيا •

( ومما يدعى به ) في المشعر : اللهم كما وفقتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا واغفر لنـا وارحمنا كما وعدتنا بقولك فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عنـد المشعر الحرام واذكروه

كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم •

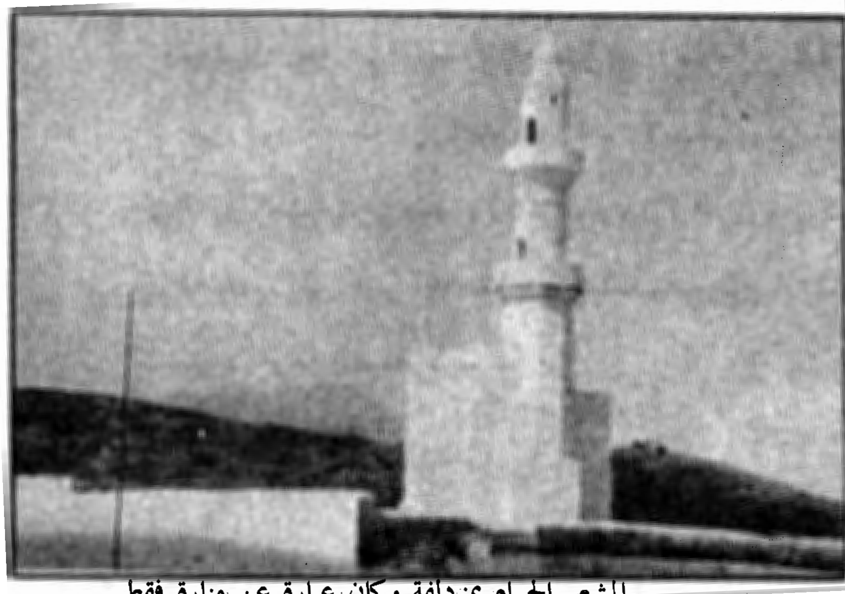
ويكثر من قوله : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار •

٤ ـ ويستحب النزول من مزدلفة بعد الإسفار جدا وقبل طلوع الشمس عند الحنفيين والشافعي وأحمد والجمهور لقول عمرو بن ميمون: قال عمر رضي الله عنه : إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع حتى تشرق الشمس على ثبير ، وكانوا يقولون : أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فدفع قبل أن تطلع الشمس • أخرجه السبعة إلا مسلما •

وقال مالك : يدفع من مزدلفة قبل الإسفار •

٥ ـ ويستحب أن يسير بسكينة ووقار في غير وادي محسر لحديث مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى جمعا ثم أردف الفضل بن عباس وقال : أيها الناس إن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل فعليكم بالسكينة ، فما رأيتها رافعة يديها حتى أتى منى • أخرجه أبو داود والبيهقي •

٦ ــ ويستحب الإسراع بوادي محسر لو ماشيا وتحريك دابته لوراكبا قدر رمية حجر اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم • فقد روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أوضع في وادي محسر • أخرجه النسائي ــ ومعنى أوضع أي أسرع •



المشعر الحرام بمزدلفة وكان عبارة عن منارة فقط
والآن بنى مسجد كبير هناك

# منى

منى : اسم للمكان الذي ينزل فيه الحجاج في اليوم الثامن من ذي الحجة قبل الذهاب إلى عرفة فيقضون فيه بقية يوم الثامن وليلة التاسع من ذي الحجة وصباح اليوم التاسع إلى أن تشرق الشمس ثم يذهبون إلى عرفة وهو أيضا المكان الذي يعودون إليه بعد الوقوف بعرفة يقضون فيه يوم النحر وأيام التشريق ولياليها حتى ينتهوا من رمي الجمار • والمسافة ما بين شمالي مكة ومنى ستة كيلو مترات تقريبا •

يحد هذا المكان من جهة مكة بجمرة العقبة ــ وهي التي بايع الأنصار من أهل المدينة عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ومن جهة المزدلفة وادي محسر •

وقد نزلت بمنى سورة الكوثر وسكنها صلى الله عليه وسلم أيام المناسك •

قال في القاموس : « منى » كإلى ويصرف ، سميت بذلك لكثرة ما يمنى بها من الدماء ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما « إنما سميت بذلك لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم قال له تمن قال أتمنى الجنة فسميت منى لأمنية آدم عليه السلام » أهـ •

**المبيت بها ليالى التشــريق :**

يجب البيات بمنى ليالي التشريق الثلاث لمن لم يتعجل وليلتي الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة لمن تعجل عند مالك وهو الصحيح عنــــد الشافعي وأحمد •

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول إن عمر كان ينهى أن يبيت أحد من وراء العقبة وكان يأمرهم أن يدخلوا منى • أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي •

وقال الحنفيون : البيات بمنى سنة • والراجح الأول لقول عبد الرحمن ابن فروخ : قلت لابن عمر إنا نتبايع بأموال الناس فيأتي أحدنا مكة فيبيت على المال • فقال : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقــــد بات بمنى وظل • أخرجه أبو داود والبيهقي •

والواجب بيات معظم الليل • فمن ترك مبيت ليلة لزمه دم وإن تــرك ليلتين لزمه دمان • وإن ترك ثلاث ليال لزمه ثلاثة دماء عند مالك • وقالــت الشافعية والحنبلية في المشهور عنهم : إن ترك ليلة لزمه مد طعام ، وإن ترك ليلتين لزمه مدان ، وإن ترك الليالي الثلاث لزمه دم •

هذا وقد اتفق الفقهاء على سقوط المبيت بمنى ليالي التشريق عن ذوي الأعذار كالسقاة ورعاة الإبل فلا يلزمهم شيء بتركه لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن العباس استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له • أخرجه أحمد والشيخان •

وعن عاصم بن عدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص للرعاء أن يتركوا المبيت بمنى • أخرجه الإمامان والأربعة وابن حبان والحاكم وصححه الترمذي •

أما المبيت بمنى ليلة التاسع فهو سنة بالإجماع ولا شيء على من تركه •

**خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمنى :**

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم خطب بمنى خطبتين الأولى في يوم النحر ، والثانية في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة ، وقيل في اليوم الثاني عشر •

أما الخطبة التي بعدها فقد جاء في الحديث عن سراء بنت نبهان قالت • سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع هل تدرون أي يوم هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أوسط أيام التشريق قال : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم • قال هذا المشعر الحرام ثم قال: إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت ؟ فلما قدم المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم • أخرجه البيهقي •

دل الحديث على أن هذه الخطبة كانت في أوسط أيام التشريق لا في أولها ولذا قال الشافعي وأحمد : هذه الخطبة تكون يوم الثاني عشر من ذي الحجة فقد جاء في الحديث عن رافع بن عمر المزني قال : رأيت النبي صلى الله عليه

وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي رضي الله عنه يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد • أخرجه أبو داود والبيهقي بسند حسن والنسائي بسند صحيح •

وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي : خطبنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا • فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع أصبعيه السبابتين ثم قـال بحصى الحذف ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد • ثم نزل الناس بعد ذلك •

أخرجه أحمد وأبو داود وهذا لفظه •

وقد سكن صلى الله عليه وسلم بمنى أيام التشريق ، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء يوم التروية والفجر يوم عرفة ،روى الإمام أحمـد رضي الله عنه أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان يحب إذا استطاع أن يصلي الظهر من يوم التروية بمنى • وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية بمنى •

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى •

وروى البخاري ومسلم عن عبد العزيز بن رفيع قال : سألت أنس بن مالك فقلت : أخبرني بشيء عقلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أين صلى الظهر يوم التروية ؟ قال : بمنى .

وبمنى من المشاهد : مسجد الخيف ومسجد الكوثر ومسجد الكبش ومسجد البيعة ومسجد منى وغار المرسلات والجمرات الثلاث والمنحر .



المشعر الحرام بمنى

## مسجـــد الخيـف

أما مسجد الخيف فهو في الجهة الجنوبية من منى يكون على يمينك إذا كنت قادما من مكة وعلى يسارك إذا كنت قادما من عرفات .

وقد كان في صحن هذا المسجد بالقرب من جداره الشرقي قبة عظيمة أقيمت فوق ثمانية عقود وهي في موضع الخيمة التي أقيمت للنبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والتي صلى فيها الأوقات الخمسة من ظهر يوم التروية إلى فجر يوم عرفة وقد جاء في الحديث فضله فيما أخرجه الطبراني : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجد الخيف ، ومسجد الحرام ، ومسجدي هذا .

وقال : لم يروه عن كلثوم بن جبر إلا حماد بن سلمة ولم يذكر مسجد الخيف في شد الرحال إلا في هذا الحديث . انتهى . وعلة هذا الخبر خثيم بن مروان ضعفه الأزدي .

وقال البخاري : سمع منه كلثوم بن جبر هذا الحديث ولا يتابع في مسجد الخيف ، ولا يعرف لخثيم سماع عن أبي هريرة .

وقال أيضا : أخبرنا ابن أبي خثيم ثنا عبد الله بن هاشم الطوسي ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا ، منهم موسى صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان على بعير ( أحمر ) .

وقال : تفرد به عبدالله بن هاشم .

وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي : وادي السرر بمنى على أربعة أميال من مكة فيه دوحة سر تحتها سبعون نبيا .

قلت ومسجد الخيف اليوم أعيد بناؤه على أفخم طراز وأعظم بناء فجاء أكبر وأجمل مما كان وأقيمت حوله المرافق الهامة الخاصة به فجزى الله تعالى القائمين على هذه البلاد خير الجزاء وأثابهم على إحيائهم الآثار الإسلامية وعنايتهم بها .

وأما مسجد الكوثر فواقع في وسط منى على يمين القادم من مكة وهو يبعد عن الطريق مسافة أربعين مترا تقريبا ويذكر قوم أن في موضع هذا المسجد نزلت سورة الكوثر — على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجوار هذا المسجد بئر يشرب الناس منها وكثير من الناس يزورونه بقصد التبرك وقد هدم هذا المسجد في المشاريع الجديدة بمنى .

وأما مسجد الكبش فواقع في شمالي جمرة العقبة على مسافة ثلثمائة متر تقريبا في سفح جبل ثبير على يسار القادم من مكة إلى عرفات .

والكبش الذي يضاف المسجد إليه هو ــ فيما يقول قوم ــ الكبش الذي فدى الله تعالى به إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما أزكى الصلاة وأطيب السلام . وهذا القول لا دليل عليه فلا يجوز اعتقاد ذلك .

وبجوار هذا المسجد صخرة يقولون : إنها الصخرة التي ذبح عليها الفداء . وهذا أيضا لا دليل عليه فلا يجوز اعتقاد ذلك . ومن الناس من يذهب الى أن ذبح الفداء لم يكن في هذا الموضع . ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المكان الذي نحر فيه إبراهيم كبش الفداء » وبالرجوع إلى السنة المطهرة نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينحر هديه عند هذه الصخرة وإنما نحر في مكان بين الجمرتين .



مسجد الخيف بمنى قبل ان يبنى البناء الحالى ويظهر فى [illegible]
كبيرة كانت إشارة إلى المسجد الأصلى القديم الذى صلى فيه نبينا ﷺ

# مسجـــد البيعـــة

وأما مسجد البيعة فهو قريب من العقبة التي هي أول منى من جهة مكة وهو واقع في شعب بين جبلين على يمين الذاهب إلى مكة المكرمة بعد جمرة العقبة بنحو نصف كيلو متر .

وإنما سمي « مسجد البيعة » لأن في موضعه حدثت بيعة العقبة بـين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل المدينة وهي البيعة الأولى والثانية التي كانت فاتحة خير للمدينة المنورة وإليك بيان ذلك :

بيعــة العقبــة :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطا من الخزرج من الأنصار فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكانوا جيران اليهود في المدينة وكانوا يسمعونهم يخبرون بنبى قد أظل زمانه فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه وصدقوه وقالوا : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وآمنوا وصدقوا فلما قدموا المدينة ذكروا لاخوانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيهاذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**بيعة العقبة الأولى :**

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والتعفف من السرقة والزنا وقتل الأولاد والطاعة في المعروف .

فلما هم القوم بالانصراف بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى ( المقرىء ) بالمدينة ونزل على أسعد بن زرارة وكان يصلى بهم .

**انتشار الإسلام في المدينة :**

وجعل الإسلام يفشو في منازل الأنصار ــ الأوس والخزرج وأسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل من الأوس بحكمة من أسلم قبلهما وتلطفهم وبحسن دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه وأسلم بنو عبد الأشهل عن آخرهم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

**بيعة العقبة الثانيـــة :**

ورجع مصعب بن عمير إلى مكة في العام المقبل وخرج عدد من المسلمين من الأنصار مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما فرغوا من الحج ومضى ثلث الليل اجتمعوا في الشعب عند العقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من النســاء وجــاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومـــه .

وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه واستوثقوا منه ألا يدعهم ويرجع إلى قومه فوعد بذلك رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فقال : أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأســالم من سالمتم واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وأما مسجد منى فموقعه بين الجمرة الأولى والجمرة الوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة . ويقال له ( مسجد المنحر ) أيضا ويقال إن في موضعه صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى .

## الجمـــــــرات

وأما الجمرات فثلاث : أولاها التى تلى مسجد الخيف ، ويقـال لهـا ( الجمرة الأُولى ) والثانية بين الجمرة الأُولى وجمرة العقبة وتسمى ( الجمرة الوسطى ) والثالثة ( جمرة العقبة ) وهي أقرب الجمرات الثلاث إلى مكة ، وبين الجمرة الأُولى والوسطى ١٥٦م تقريبا وبين الجمرة الوسطى وجمرة العقبـة ١١٧م تقريبا ، وهذه الجمار هى التى يشرع رميها أيام منى •

**صفتهـا :**

الجمرة الصغرى ( الأُولى ) هى حوض مبني من الحجارة على شـكل دائرة كاملة في وسطها عامود مرتفع من الحجر وهذا العامود هو للدلالة على موضع الرمى وكذلك الجمرة الوسطى ( الثانية ) ، أما الجمرة الكبرى وهى جمرة العقبة فإنها نصف دائرة ويظن الجهال أن هذا العامود له صلة بالشيطان أو أن الشيطان في داخله ولذلك تراهم يجتهدون في ضرب هذا العامود بالنعال والعصي معتقدين أن الشيطان يتألم من هذا الضرب وهذا جهل واضح وعمل فاضح ، بل أن الشيطان يفرح بهذا الجهل والحق أن هذا العامود الذى نصب في وسط الحوض إنما وضع للدلالة على موضع الرمي الذى نقل عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن الشيطان يتألم من استجابة العبد واستسلامه لأمر الله ورسوله بقيامه بأداء هذه العبادة وهى الرمى ، وذلك أشد عليـه من رمى النبـال •

**أصل مشروعية الرمى وحكمته :**

أصل مشروعية الرمي كما في مثير الغرام الساكن لابن الجوزى أنه لما فرغ أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أتاه جبريل فأراه الطواف ثم أتى به جمرة العقبة فعرض له الشيطان فأخذ جبريل سبع حصيات وأعطاها إبراهيم وأخذ سبعا أيضا وقال له ارم وكبر فرميا وكبرا حتى غابت الشمس ثم أتيا الجمرة الوسطى فعرض لهما الشيطان ففعلا كما تقدم ثم أتيا الجمرة القصوى فعرض لهما ففعلا كذلك .

أما حكمته : فالمقصود من رمى الجمار الانقياد والتعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اقتداء بسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد روى سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له في الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض .

قال ابن عباس : الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون أخرجه البيهقى .

فالحكمة في رمى الجمار إظهار الرق والعبودية لرب البرية ، وامتثال الأوامر الدينية ، وإظهار الأسف على ما ارتكبه الإنسان من الخطايا والتغيظ على المغرى بها وهو الشيطان الذى يتمثله الإنسان في موضع الجمرات ، ويتخيل أنه يغريه بالمعاصي وهو يزجره ويطرده ولسان حاله يقول : اخسأ يا لعين فإنى أطعتك في الماضي فقد صممت على عدم طاعتك في المستقبل فاذهب عنى .

**حكم الرمى :**

يجب رمى جمرة العقبة يوم النحر ورمى الجمار الثلاث كل يوم من أيام التشريق الثلاث لحديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة يوم النحر ضحى ورمى في سائر أيام التشريق بعدما زالت الشمس ، أخرجه السبعة إلا الترمذى .

وعن عبدالرحمن بن عثمان التيمى قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترمى الجمار بمثل حصي الحذف(١) في حجة الوداع ، أخرجه الطبرانى في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح(٢) .

ولذا اتفق الائمة الأربعة والجمهور على أن رمى الجمار واجب يجبر بدم .

**وقت الرمى :**

أيام الرمى أربعة :

يوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة . أما يوم النحر فترمى فيه جمرة العقبة فقط ويستحب رميها من طلوع شمس يوم النحر إلى الزوال هذا وقت الاستحباب .

أما الجواز فإنه يدخل وقت رميها عند الإمام الشافعى من نصف ليلة يوم النحر ويستمر إلى آخر أيام التشريق وأما أيام التشريق وهى : اليوم الحادى والثانى والثالث عشر من ذي الحجة فيستحب الرمى فيها كل يوم من الزوال إلى الغروب .

---

١ ـ الحذف بفتح فسكون الرمي ، والمراد الحصى الصغار كحب الفول .
٢ ـ ص ٢٥٨ جـ ٣ مجمع الزوائد .

ويجوز التأخير إلى طلوع الفجر .

ويسقط رمي اليوم الثالث عمن نفر النفر الأول .

وأما المنحر فهو المكان الذي ينحر فيه الحجاج هديهم وفداءهم وذلك في يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة الحرام الذي هو يوم ( العيد الأكبر ) وقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أن أي مكان من منى ينحر فيه الحاج فهو آت بالمطلوب منه ولاخلاف بين أحد من علماء الشريعة وأئمتها في أن كل بقعة من بقاع منى يصح النحر فيها حتى في الدور والأماكن التى ينزل فيها الحاج .

وبمنى مكان يقال له « المفجر » وهو واقع خلف الجبل المقابل لثبير وقد سمي بذلك لأن عنده دارت رحى حرب طاحنة بين قصي بن كلاب وشيعته وبين صوفة وهم جماعة من بني الغوث بن أد بن طابخة ـ بسبب أن قصيا وقومه سبقوا بني الغوث بن أد إلى رمي جمرة العقبة فتفجرت الدماء من الفريقين في هذا الموضع فأخذ له هذا الاسم من تفجر الدماء .

**آيات منى :**

قال الحافظ محمد بن عبد الله الزركشي : وبمنى أربع آيات عظيمة إحداهن : أن الجمار على كثرتها في كل سنة تمتحق وترى على قدر واحد ، وقد جاء ذلك من طرق كثيرة اوضحتها في تخريج أحاديث الرافعي .

الثانية : أن اللحوم بمنى في أيامها تشرق على الجدران ، وعلى صخرات الجبال وفي أسطحة السوق ، وهي محروسة بحراسة الله من تخطف الطير لشيء منها ، ومعلوم أن الحدأة إذا رأت شيئا أحمر بيد إنسان أو على رأسه

انقضت عليه حتى تخطفه ، وهي تحوم حول تلك اللحوم لاتستطيع أن تأخذ منها شيئا .

الثالثة : أن الذباب ( في أيام ) منى لايقع على الطعام بل يؤكل العسل ونحوه مما يجمع الذباب ويتهافت على الوقوع فيه ولا يقع فيه ، بل لايحوم عليه في الغالب مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب مع الدماء والأُنتان الملقاة في الطرقات ، فإذا انقضت أيام الضيافة والإكرام ، تهافت الذباب على كل طعام حتى لايطيب للطاعم طعم ، وتلك آيات ظاهرة لمن اعتبرها وعبرة ظاهرة لمن أمعن النظر فيها .

الرابعة : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله إن أمر منى لعجب ، هي ضيقة فإذا نزلها الحاج اتسعت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما مثل منى كالرحم إذا حملت وسعها الله تعالى .

قلت : زاد بعضهم منقبة خامسة وهي قلة البعوض في أيام الحج بها فإن البعوض في جميع أيام السنة يكون كثيرا .

وقد نظم بعضهم هذه المناقب فقال :

وآى منى خمس فمنها اتساعها ... لحجاج بيت الله لو جاوزوا العدا
ومنع حدأة من تخطف لحمها ... ورفع الحصى المقبول دون الذي ردا
ومنع ذباب لايقع في طعامها ... وقلة وجدان البعوض بها عدا



جمــرة العقبــة

صورة قديمة : يظهر فيها طرف الجبل الذى كان خلف جمرة العقبة . وقد أزيل .

وجمرة العقبة عبارة عن عامود من البناء طوله نحو ثلاثة أمتار تتحيط به نصف دائرة . هى المكان الذى يجمع فيه الحصى الذى يرمى . بخلاف الجمرة الصغرى والوسطى فإن الدائرة التى حول العامود دائرة كاملة ولذلك فإن الرمى يكون من جميع جهاتها .

# المحصـــــب

المحصب هو المكان الذي يستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه مـــن منى وهو مسيل بين مكة ومنى وهو إلى مكة أقرب بكثير وإنه بالأبطح بـــين الجبل الذي عنده مقبرة أهل مكة وبين الجبل الذي يقابله وأنت ذاهب إلى منى وإنما سمي المحصب لأن السيل يجمع فيه الحصباء وهو جزء من الطريق إلى منى وهو مسيل •

وبالمحصب نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من منى والمسافة بين باب السلام إلى المحصب من جهة منى ثلاثة كيلو مترات • ويطلق المحصب على الموضع الذي ترمي فيه الحجار من منى •

# الجعـــرانة

الجعرانة : هي الموضع الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف بعد فتح مكة وهو موضع مشهور بين الطائــف ومكة وهو إلى مكة أقرب بكثــير .

والجعرانة بئر شرقي مكة ذات ماء عذب وأهل مكة يكثرون الاعتمــار منها في رمضان ويتخذون منها منتزها لما في وادي الجعرانة من إشراق وبهجة ولما في مائها من عذوبة ولما في هوائها من نقاء ينعش الأبدان وفوق ذلك كله لما شرفت به من ذكريات النبوة الخالدة فإن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بها لما قسم غنائم هوازن على أصحابه بعد غزوة حنين وفيها مسجد يقال إنــــه مسجد الرسول الكريم ، وقد أقام فيها خمسة عشرة ليلة يدعو ويصلي ويذكر ويسبح بلا شك ولا ريب في ذلك .

وجعرانة لقب امرأة من قريش اسمها ريطة بنت كعب وكانت حمقــاء ونزل فيها قوله تعالى « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة » كانت تغزل فإذا أبرمته نقضته . وكان إحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم منها في اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة في السنة التاسعة من الهجرة وقد كان

أهل مكة يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر مـــن شهر ذي القعدة ويقيمون اليوم السابع عشـــر بالجعرانة ويصلون المغرب بهـــا ويحرمون ويتوجهون إلى مكة ولربما أحرموا في بعض السنين بعد صلاة العصر ورجعوا إلى مكة محرمين • والجعرانة أفضل مواقيت العمرة من مكة لإحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم منها على مذهب الأئمة الثلاثة الشافعي ومالك وابن حنبل رضي الله عنهم • وفي الجعرانة مسجد ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا خلاف عندنا في أنه صلى الله عليه وسلم صلى في ذلك الوادي ودعا ولكن الخلاف في القطع بتعيين موضع خاص لصلاته • وإلا فإن المكان كله قد تشرف به صلى الله عليه وسلم • وهذا المسجد بني مرارا وقد قامت الحكومة السعودية بهدم المسجد القديم وإعادة بنائه على الطراز الحديث فجاء أفخم وأضخم ممّا كان قبل وبَنَت حوله أماكن خاصة للغسل والتوضـؤ.

وفي جعرانة بئر قديمة ماؤها عذب حلو مبارك يقال إنه شرب منهـــا صلى الله عليه وسلم وتفل فيها • وهي أشبه بالمياه المعدنية فقـد ذكر بعض المؤرخين أنها مجربة لإدرار البول وإصلاح الكلى وأنهـــا كانت تحمل إلى الخلفاء العباسيين ببغداد مع ماء عروة التي قبل المدينة المنورة لما فيها مـــن خصوصية طبية أصلية •

# التنعيـــم

وهو حد الحرم وليس في الحل أقرب إلى الحرم منه

وهو الموضع الذي أمر رســول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما باعتمار سيدتنا عائشة رضي الله عنهـا منه وهو على ثلاثة أميال من مكة •

وفيه مسجد ينسب إلى سيدتنا عائشة رضي الله عنها وهو مسجد قديم بني مرارا وقد قامت الحكومة السعودية بهدم هذا المسجد وإعادة بنائـــه على الطراز الحديث فصار أضخم وأفخم مما كان والحقت به منافع متعددة يستفيد منها المعتمرون إذا أرادوا الاغتسال أو التوضؤ والإحرام من هــذا المكان للمقيم في مكة ولو آفاقيا أفضل من الإحرام من الحل الذى في بقيــة جهات الحرم ما عدا الجعرانة فإن الإحرام منها أفضل عنـــد الأئمة الثلاثة الشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم •

وذكر أبو الوليد الأزرقي أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلقها من داخلها وخارجها • من أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطي وقال : من كانت لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم فمن قدر أن ينحر بدنــة فليفعل •

ومن لم يقدر فليذبح شاة فمن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله وخرج ماشيا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكرا لله سبحانه وتعالى ولم ير يوما كان أكثر عتيقا ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم ونحر ابن الزبير مائة بدنة .

وروى أبو الوليد الأزرقي ذلك عن ابن خثيم قال :

رأيت عطاء بن أبي رباح ومجاهدا وعبد الله بن كثير الداري وناسا من القراء إذا كانت ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان خرجوا إلى خيمة جمانة فاعتمروا منها وهي في التنعيم .

وفي هذه الأحاديث دلالة على أن ميقات مكة في العمرة أدنى الحل .قال الشافعي : وأحب لمن أراد العمرة أن يعتمر من الجعرانة لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر منها ، ثم التنعيم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عائشة أن تعتمر منها . ثم الحديبية لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الدخول لعمرته منها ثم تحلل صلى الله عليه وسلم بها وصلى فيها .

وفي التنعيم قتل الصحابيان الجليلان زيد بن الدثنة وخبيب ابن عدي . وهما من أصحاب الرجيع الذين غدرت بهم هذيل في مر الظهران ، وقد قتل جميع إخوانهم إلا خبيب وزيد ، فإنهم أخذوهما أو باعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن اسحق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له : نسطاس الى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأني جالس في أهلي ، قال : يقول ابو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس .

وأما خبيب فقد قال ابن اسحق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى اذا جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا اني انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، قال : كان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله. وأنشد شعرا منه :

فلست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

# وادي فــــاطمة

وهو موضع مأثور يبعد عن مكة اليوم بنحو ثلاثين كيلو مترا وقد كان يطلق عليه في الزمن القديم ( مر الظهران ) ومعناه : قرية الوادي ، لأن مر هي القرية والظهران هو الوادي .

وقد كان بهذا الوادي عيون كثيرة ونخل مثمر . أمـا العيون فجفت وسبب ذلك أنه ضربت في الوادي عشرات الآبار الارتوازية التي سحبت المياه من جوف الوادي ونقلت في أنابيب ضخمة إلى جدة حتى صار أهل الوادي ينقل إليهم الماء من الأماكن الأخرى . والوادي اليوم عامر بجميع المرافـق المهمة وفيه نحو عشر قرى أشهرها وأكبرها الجموم وأبو عروة ومنها أبـو شعيب والخيف وعين شمس والصمت والبرابر .

وقد نزل صلى الله عليه وسلم في هذا الوادي وأقام به وصلى فيه وذلك في غزوة الفتح قبل دخول مكة وفيه لقيه أبو سفيان وأسلم وأخذ الأمان لأهل مكة بقوله صلى الله عليه وسلم : من دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . والمشهور أن هذا الوادي هو طريقه صلى الله عليه وسلم في هجرته وهو طريقه إلى مكة في حجة الوداع .

وفي أعلى هذا الوادي موضع يسمى الهدة بتخفيف الدال ويقال لها الهدأة ويسمى أيضا بهدي الشام .

قال ياقوت وهو ممدرة أهل مكة والمدر طين أبيض يحمل من هذا الموضع إلى مكة تأكله النساء ويدق ويضاف إليه الأذخر يغسلون به أيديهم.اهـ.أي أي يستعيضون به عن الصابون وهذا الموضع هو الذي قتلت فيه لحيان وهذيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المعروفون بأصحاب الرجيع وخلاصة خبرهم ما رواه ابن اسحق بسنده قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يارسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة من أصحابه وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن البكير الليثي ـ وعاصم بن ثابت بن أبي الاقلح ـ وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة بن معاوية وعبد الله بن طارق .

وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهدأة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لانقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لانقبل من مشرك عهدًا أبدا . ثم قاتل القوم وقتل صاحباه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب أباها يوم أحد . لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فأرسل الله الدبر لحمايته كلما قرب أحد منهم لسعه في يده وعينه فلما حالت بينه وبينهم الدبر فقالوا : دعوه يمسي فتذهب به ، فنأخذه فجاء سيل لا يدري من أين ، فاحتمل عاصما فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبدالله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بمر الظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القراب ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره رحمه الله بمر الظهران وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميمى .. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية .

# الحـــديبية

وتسمى اليوم بالشميسي وفيها بئر يعرف ببئر الشميسي قال الخطابى في أماليه سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وعند الحديبية أعلام الحرم فإليها تنتهى حدود الحرم من جهة جدة وهل هى من الحرم أم لا ؟ خلاف والصحيح أن بعضها في الحرم وبعضها في الحــل .

وفي الحديبية مسجد قديم يقال إنه في مكان الشجرة أو أنه في المكان الذى عسكر فيه صلى الله عليه وسلم وقد بنى وهدم وجددت عمارتــه ثم هدم أخيرا نسأل الله أن يوفق حــكومتنا لإعادة بنائه محافظة على الآثــار الدينية التى هى أولى بلا شك من إحياء الآثار التاريخية التى لا صلة لهــا بتاريخ الإسلام .

والحديبية هى الموضع الذى نزل عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جيشه لما خرج من المدينة محرما يريد دخول مكة للعمرة فمنعه المشركون من دخولها .

ووقعت فيها بيعة الرضوان تحت شجرة كانت هناك وقد ذكرها اللــه

تعالى في كتابه العزيز بقوله : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا •

ووقع فيها الصلح بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش وكتبت فيها معاهدة الصلح • وفي الحديبية تحلل صلى الله عليه وسلم بحلق شعره وتحلل من كان معه وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة •

**سبب الخروج للحديبية :**

وسبب خروجه : أنه رأى صلى الله عليه وسلم في منامه ، أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين ، فخرج من المدينة المنورة يسوق البدن ــ معتمرا ــ وزائرا للبيت الحرام ، ومعظما له ، لا يريد قتالا •

قال ابن اسحق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ، وهو يخشى من قريش ، أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ، وخرجت معه أم سلمة من نسائه •

أما المخلفون ، فإنهم لما تثاقلوا في الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة ، وقتلوا أصحابه

فنقاتلهم ؟ واعتلّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم ، وأنه ليس لهم من يقوم بذلك ، فأنزل الله تعالى تكذيبهم في اعتذارهم ، بقوله تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا » .

ولما خرج وقد أحرم بالعمرة من ذى الحليفة ، كما في الصحيح من رواية الزهرى، سار حتى إذا كان بعسفان(١)، لقيه بسر بن سفيان الكعبى وكان بعثه عينا ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون أن لا تدخلها عليهم أبدا عنوة ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدموها إلى كراع الغميم (٢) ، وقال ابن سعد : قدموا مائتى فارس عليها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح قريش ، لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . ( السالفة : صفحة العنق وهو كناية عن الموت ) ، ثم غير صلى الله عليه وسلم طريق سيره وتوجه إلى جهة الحديبية .

فلما رأت قريش قترة الجيش ( غباره ) قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المرار ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت الناقة ( أي حرنت وبركت

---

١ ـــ ٢ ـــ عسفان ـــ وكراع الغميم مواضع بين مكة والمدينة وهى الى مكة أقرب .

بلا علة ) فقال صلى الله عليه وسلم : ( ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة « خصلة » يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ) .

ثم قال للناس : انزلوا ، قالوا له يا رسول الله ، ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهما من كنانته « جعبته التى فيها النبل » فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرواء « فار بالري » كما في رواية حتى ضرب الناس بعطن « مبرك الإبل حول الماء » قال في شرح المواهب : وجواز التشبيه(١) من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة ، لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض ، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرم مطلقا ، أما من أهل الباطل فواضح وأما من أهل الحق ، فلأن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش ، لوقع بينهم القتال المفضى إلى سفك الدماء ، ونهب الأموال ، كما لو قدر دخول الفيل ، لكن سبق في علم الله أنه سيدخل في الإسلام خلق منهم ، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون .

ثم إنه صلى الله عليه وسلم اختار عثمان بن عفان رسولا إلى قريش بمكة ليبلغهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ما جاء إلا زائرا للبيت ، معتمرا معظما لحرماته .

---

١ ـ أي في قوله صلى الله عليه وسلم حبسها حابس الفيل .

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وقرأ عليهم كتابه صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا ، فما أجابوا ، وعزموا على ألا يدخلها هذا العام ، وقالوا لعثمان لما فرغ من تبليغ الرسالة : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها أياما ثلاثة فبلغه صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قتل ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا الناس إلى البيعة ، فبايعوه تحت الشجرة التى كان عليه السلام يستظل بها ــ على الموت .

وقال جابر : على أن لا يفروا ، ولم يتخلف عن هذه المبايعة المباركة أحد ممن حضر إلا الجد بن قيس .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

قال في البداية والنهاية : وهذا الحديث الذى ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت في الصحيحين .

وهذه المبايعة منه عليه الصلاة والسلام لعثمان رضي الله عنه ، كانت جزاء وفاقا لما امتنع أن يطوف بالبيت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أدبا وإجلالا : أشار إلى ذلك شرف الدين أبو عبدالله في همزيته رضي الله عنه بقولـه :

وابن عفان ذى الأيادى التى طا    ل إلى المصطفى بها الإهداء
حفر البئر جهز الجيش أهدى الـ    ـهدى لما أن صدّه الأعداء
وأبى أن يطوف بالبيت إذ لم    يدن منه إلى النبى فناء
فجزته عنه ببيعة رضوا    ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الأعما    ل بالترك • حبذا الأدباء

ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين • قال الشامى هم عشرة كانوا دخلوا مكة ، ثم حصلت مفاوضات ووساطات بإرسال الرسل بين المسلمين وقريش ، وكان آخر رسول أرسلته قريش للتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سهيل بن عمرو • وأطال سهيل الكلام ، حتى أسفر المقال عن الصلح ، عليا أن يوضع الحرب بينهم عشر سنين ، كما في رواية ابن اسحق ، وهو المعتمد وأن يؤامر بعضهم بعضا ، وأن يرجع عنهم عامهم هذا ، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يكتب كتاب الصلح ، فأمر عليه الصلاة والسلام عليا أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : اكتب ( باسمك اللهم ) فكتبها ، ثم قال : اكتب ( هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ) • فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلحا

على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها •

**حكمة الرسول في إمضاء هذه الشروط :**

هذه شروط الصلح الذى وقع الاتفاق عليه بين الفريقين ، ذكره ابن اسحق في سيرته ، وفيه من الفوائد الظاهرة ، والثمرات الباهرة ، التى عادت على المسلمين وظهرت للنبى وخفيت على غيره •

منها : حفظ المستضعفين في مكة من المسلمين ، وحقن دمائهم لاختلاطهم بالكفار •

ومن فوائده أيضا : إسلام كثير من كفار قريش ، باختلاطهم بالمسلمين ومجيئهم إلى المدينة معقل الإيمان والإسلام ، وسماعهم من المؤمنين أقواله عليه الصلاة والسلام ، ومعجزاته الظاهرة ، وحسن سيرته ، وإعلام نبوته الباهرة ، إلى غير ذلك ، مما جعلهم يدخلون في دين الله أفواجا ، فصلى الله على هذا الرسول العظيم الذى منحه الرب الكريم من الرحمة ، ما جعله

ينظر إلى وجوه المصالح والحكم لأمته ، وجزاه الله خير ما جازى نبيا عن أمته ، وعلم المؤمنون بعد ذلك أن صدَّهم عن البيت ورجوعهم كان في الظاهر هضما ، وفي الباطن عزا لهم وقوة ، فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العزة ، وقهروا من حيث أرادوا الغلبة ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) .

وممن أسلم في هذه الهدنة عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعبدالرحمن بن أبى بكر ، وطلحة بن عثمان ، وغيرهم من قريش ، وبه فسر قوله تعالى : ( ليدخل الله في رحمته من يشاء ) قال في شرح المواهب : ففى البخارى في الشروط : فلما فرغ من الكتاب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ، ثم احلقوا رءوسكم فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك مرات ، فلما لم يقم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقى من الناس ، وفي رواية ابن اسحق فقال لها : ألا ترين إلى الناس ، إنى أمرتهم بالأمر فلا يفعلونه ، فقالت : يا رسول الله ، لا تلمهم ، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم ، مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح .

وفي رواية أبى المليح : فاشتد ذلك عليه ، فدخل على أم سلمة فقال : هلك المسلمون ، أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا ، قال فجلا الله عنهم يومئذ بأم سلمة رضي الله عنها ، فقالت يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة ، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج ، فلم يكلم منهم أحدا حتى ينحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا .

قال ابن اسحق : بلغنى أن الذى حلقه يومئذ حراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، وكانت البدن سبعين ، وحلق رجال يومئذ وقصر آخرون ، فقال صلى الله عليه وسلم ( يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، قال : والمقصرين ، قالوا : لم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا ( من الشك ) رواه ابن اسحق أيضا عن ابن عباس .

قلت : كان توقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد الأمر ، لاحتمال أنه للندب ، أو لرجاء نزول الوحى بإبطال الصلح ، أو تخصيصه بالإذن لهم في دخول مكة العام ، لإتمام نسكهم وساغ ذلك لهم ، لأنه زمان وقوع النسخ ، ويحتمل أن صورة الحال بهتتهم ، فاستغرقوا في الفكر ، لما لحقهم من الذل عند نفوسهم ، مع ظهور قوتهم ، واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة ، أو لأن الأمر المطلق — لا يقتضي الفور — ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم ، أو فهموا أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل ، أخذا بالرخصة في حقهم ، وأنه هو يستمر على الإحرام ، أخذا بالعزيمة في حق نفسه ، فأشارت عليه أم سلمة بالتحلل ، لينفى هذا الاحتمال ، وعرف صواب رأيها ففعله ، فلما رأوه بادروا إلى فعل ما أمرهم به ، إذ لم يبق غاية ينتظرونها ، ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح ، من أمره لهم بالفطر في رمضان فأبوا حتى شرب فشربوا اهـ .

قال السهيلى : ولم يكن المقصر يومئذ من أصحابه إلا رجلين عثمان

ابن عفان ، وأبا قتادة الأنصارى كذلك جاء في مسند حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه .

روى ابن سعد من مرسل يعقوب الأنصارى قال : لما صُدَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحلقوا بالحديبية ونحروا ، بعث الله ريحا عاصفا احتملت شعورهم ، فألقتها في الحرم أي جبرا لهم في صدهم عن البيت ، زاد أبو عمر فاستبشروا بقبول عمرتهم .

# وادى سرف

سرف بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره فاء ، وهو موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل : سبعة وتسعة واثنى عشر بين مكة ومر الظهران المعروف بوادى فاطمة ، قال عبيدالله بن قيس الرقيات :

لم تكلم بالجلهتين الرسوم حادث عهد أهلها أم قديم
سرف منزل لسلمة فالظهـ ران منها منازل فالقصيم

وفي هذه الموضع تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالى ، وكان ذلك في ذى القعدة عام سبع من الهجرة ، لما اعتمر عمرة القضاء ، وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة .

وقد قيل : إن ميمونة وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال قتادة : نزلت ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ) الآية في ميمونة .

وقالت عمرة بنت عبدالرحمن : بل تزوجها صلى الله عليه وسلم على مهر خمسمائة درهم ، وقال ابن سيد الناس في سيرته انتهت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ميمونة وهى على بعير فترامت ( أي رمت بنفسها ) على الأرض فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء ) وقالت في حقها عائشة رضي الله عنها : أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم .

وكان قد تزوجها في أثناء سفره متوجها إلى مكة ثم وصل مكة واعتمر ورجع متوجها إلى المدينة المنورة ونزل بالموضع المسمى بسرف فبنى بها فيه ، ثم كان ذلك الموضع بعينه هو موضع موتها ودفنت فيه وهذا الموضع على محجة الطريق .

وكانت بسرف قبة مبنية على قبرها ومسجد بجنبها ، ثم هدمت القبة وبقي المسجد ثم هدم المسجد أيضا عام ١٣٧٢ هـ .

# حنــــين

حنين : قال ياقوت : يجوز أن يكون تصغير الحنان وهو الرحمة تصغير ترخيم ، وقال السهيلى : سمى بحنين بن قانية بن مهلائيل ، قال : وأظنه من العماليق ، وهو اليوم الذى ذكره جل وعز في كتابه الـكريم وهو قريب من مكة . وقيل : هو واد قبل الطائف وقيل واد بجنب ذى المجاز ، وقال الواقدى بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا .

قال صاحب صحيح الأخبار : حنين موضـع قد أعيانا الوقـوف على حقيقته ومن كتاب هذا العصر من قال إنه الوادى المعروف اليوم بالشـرائع وهو أي الشرائع قريب من مكة يبعد عنها نحو عشرين ميلا .

وهذا قريب من الصواب فإن لم تكن عين حنـين فهى قريـة منها في الوادي الذى يقع عن الشرائع جنوبا لأنه قريب من ذي المجاز اهـ .

وفي هذا الوادى وقعت غزوة حنين المشهورة التى انتهت لنصر المسلمين النصر المبـين .

وسببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة سمع أن هـوازن تستعد للحرب وقتال المسلمين ، وبلغه أن سيدهم مالك بن عوف النصـرى نـادى بالحرب وأنه اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ونصر وجشم وأجمعوا

السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا معهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم ليثبت المقاتلون ويدافعوا عن الأهل والعرض .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرب ، وخرج ومعه ألفان من أهل مكة ومنهم من هو حديث العهد بالإسلام ومنهم من لم يسلم ، ومعه أصحابه الذين قدموا معه من المدينة وعدتهم عشرة آلاف فبلغ عددهم إلى ما لم يبلغه في غزوة قبل ذلك حتى قال الناس من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة وأعجبتهم كثرتهم .

واستقبل المسلمون وادى حنين وذلك في عاشر شوال سنة ثمان وهم ينحدرون فيه انحدارا في ظلام الصبح ، وكانت هوازن قد سبقتهم إلى الوادى وكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه فما راع المسلمين إلا أن رشقوهم بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد وكانوا قوما رماة .

وانشمر عامة المسلمين راجعين لا يلوى منهم أحد على أحد وكانت فترة حاسمة توشك أن تدور الدائرة على المسلمين فلا تقوم لهم قائمة بعد ذلك وكانت شبيهة بما وقع يوم أحد حين طار في الناس أن النبى قد قتل وانحسر عنه المسلمون .

ولما تم ما أراد الله من تأديب المسلمين الذين أعجبتهم الكثرة وأذاقهم الله مرارة الهزيمة بعد حلاوة الفتح ليقوى إيمانهم ولا يبطرهم الفتح ولا تؤيسهم الهزيمة رد لهم الكرة على الأعداء وأنزل السكينة على رسوله وعلى

المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا في موقفه على بغلته الشهباء غير وجل ولا هياب وقد بقي معه نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته والعباس بن عبدالمطلب آخذا بزمام بغلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

أنا النبي لا كذب　　　　أنا ابن عبدالمطلب

ولما استقبلته كتائب المشركين أخذ قبضة من تراب ورمى بها إلى عيون الأعداء إلى البعد فملأت أعين القوم .

ولما رأى انشغال الناس بأنفسهم قال : يا عباس أصرخ ( يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة) فأجابوا لبيك لبيك وكان رجلا صيتا فيسمع الرجل الصوت ويقتحم عن بعيره ويأخذ سيفه وترسه حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا اجتمع إليه منهم طائفة استقبلوا الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى القوم يجتلدون فقال ( الآن حمي الوطيس ) ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار يقول العباس: فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا ، واجتلد الناس فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله ملائكته بالنصر فامتلأ بهم الوادى وتمت هزيمة هوازن وذلك قوله تعالى :

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته

على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ .

وبغزوة حنين طفئت جمـرة العرب فقد استفرغت قواهم واستنفـدت سهامهم وأذلت جمعهم فانشرحت صدورهم للدخول في الإسلام .

ولما تمت الهزيمة لهوازن ذهبت فرقة منهم وفيهم رئيسهم مالك بن عوف فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها وسارت فرقة فعسكروا بأوطاس فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعرى فقاتلوهم فغلبوهم .

وجمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالهـم فأمر بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها .

وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة وكان أكبر مغنم غنمه المسلمون.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أصحابه يوم حنـين أن يقتلوا وليدا أو امرأة أو أجيرا أو عبدا مستعانا به وتأسف على امرأة قتلت في حنـين .

# الطائـــف

## تاريخــه ـ فضــله ـ آثــاره

ملاحظـة :

الطائف تابع لمكة في الفضل حتى ان فيه واديا له حرمة الحرم عند بعض العلماء ولذلك ذكرناه في رحاب البيت الحرام .

# الطائــــف

الطائف : مدينة عريقة ذات تاريخ حافل يضرب بجذوره إلى عصــور ما قبل الإسلام حيث كانت ملتقى للطرق التجارية بين النجد واليمن والحجاز وهى المصيف الأول لهذه المملكة وهو ترتفع نحو ألف وستمائة متر عن سطح البحر وتبعد عن مكة المكرمة نحو مرحلتين ( أي ثمانين كيلومترا تقريبا ) .

قال الفاكهى في تاريخ مكة وهو من مخاليف مكة انتهى . وقال بعضهم هو من تعاليق مكة أي من مضافاتها . وكان في القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود ثم ســكنها ثقيف .

وقد كثرت الأقوال في سبب تسميتها بالطائف ويكاد يتفق المؤرخون على أنها قطعة انتزعها جبريل عليه السلام من الشام أو اليمن ، وطاف بها على البيت الحرام ثم ألقاها في هذه البقعة بعــد أن اقتلع البلــدة التى كانت في موضعها وقذفها إلى المكان المحمولة تلك منه فذهبت الأولى بحرها وجفائها الموروثين عما جاورها من بادية الحجاز وأتت هذه بما كان لها من طيب المناخ وجمال المنظر وقوة الإنبات .

وهذا القول لا دليل عليه.

وقيل سميت بالطائف لأن رجلا من الصدف أصاب دما بحضرموت ففر

إلى وج وحالف مسعود بن معتب بن مالك ابن عمرو بن سعد بن عـوف بن ثقيف وكان له مال عظيم . فقال : هل لكم في أن أبنى طوفا عليكم يكون لكم ردا من العرب فقالوا نعم فبناه وهو الحائط المطيف به » ( انتهى كـذا قال العجيمى ) قال الأستاذ الأمير شكيب أرسـلان في كتابه الارتسـامات اللطاف ص ١٣٢ . أما إن الطائف هو قطعة من الشام جعلها الله في الحجـاز وما ورد في ذلك من الآثار والأحاديث المنقولة في التواريخ التى اطلعنا عليها فكل هذا نحن نحمله على المجاز ، وهو أن الطائف وأراضيها شامية في فواكهها وثمراتها وعذوبة مائها وبرودة هوائها ( اهـ ) قلت وقد أفاض شكيب أرسلان في الكلام هنا معلقا على إبطال القول بأن الطائف نقل من الشام إلى الحجاز معتذرا بأن الأحاديث دخلها التحريف والوهم .

وكل هذا الذى ذكره لا حاجة إليه فقـد خفى عليه لجهلـه بالسنة.إن الأخبار التى جاءت في هذا الباب لا يصح منها شيء والقاعدة أن الخبر المشكل إذا كان ضعيفا أو مردودا لا تتكلف بالجواب عنه أو تأويله فإن ضعفه كاف في دفعه ، ولذا قيل ( أثبت العرش ثم انقشه ) ، يعني أنه ينبغى أن نصحح الخبر أولا ثم ننظر بعد ذلك في كونه مشكلا أو معارضا لغيره وقـد قلت هذا لأن شكيب أرسـلان تكلم هنا على كتابة الحـديث ونقله تابعا في ذلك جهـلة المستشرقين في هذا المجال ، وذلك بالكلام في الحديث النبوي الشريف والطعن في كتابته ورواته ونقله حفظنا الله تعالى من شرورهم ورد كيدهم في نحورهم .

# فتـــح الطائـــف

الطائف هو أول بلد يقصده النبى صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالته والاستنجاد بأهلـه .

وكان ذلك في شهر شـوال من السنة العاشـرة من النبوة ، ولكنه لم يستجب له إلا عداس ، فأسلم وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وعاد صلى الله عليه وسلم إلى مكة ولم يدخل الطائف حتى فتحت مكة وكانت غزوة حنين وفاز بها المسلمون فقصد الطائف وكانت غزوة الطائـف وهذا حـاصلها .

# غـــزوة الطائـــف

كانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان على ما قاله جمهور أهل المغازى ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من حنين منصورا مظفرا وبعث بغنائمها إلى وادى الجعرانة توجه لثقيف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وقـد كانت ثقيف رموا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال وسار رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فنزل قريبا من حصن الطائف • قال الزرقانى : ( ولا مثل له في حصون العرب وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنـه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجـلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتـين مدة حصاره للطائف وهى ثمانية عشر يوما ثم أمر بضـرب حصـونهم بالمنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام فرمتهم ثقيف بالنبل فقتـل من المسلمين اثنا عشر رجـلا •

ولما أحرقتهم نبال ثقيف سأل الصـحابة النبى صلى الله عليه وسـلم الدعاء عليهم فقالوا : يا رسول الله أدع على ثقيف فأبى عليه الصلاة والسلام لعظيم حلمه وكريم أخلاقه ولنظره السامى أن يخرج الله من أصلابهم مـن

يؤمنون بالله عز وجل ورجاء أن يهديهم الله للدخول في حظيرة الإسلام وقال عليه الصلاة والسلام اللهم اهد ثقيفا وأت بهم مسلمين •

ثم أمر عليه الصلاة والسلام مناديا ينادى أيما عبد خرج إلينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر عبدا ونزلوا ببكـرة منهم نفيع بن الحـارث المكنى بأبى بكرة فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله وأمرهم أن يقرؤهم القرآن ويعلموهم السنن فشـق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ثم لما أسلمت ثقيف كلم أشرافهم فيهـم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم إلى الرق فقال : أولئك عتقاء الله •

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك فقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقـال عليه الصلاة والسلام فاغدوا على القتال فغدوا فأصاب المسلمين جراحـات فقال عليه الصلاة والسلام : ( انا قافلون إن شاء الله تعالى ) فسروا بـذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك •

قال النووى : قصد النبى صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين هم فيه وتقويهم بحصنهم مع أنه صلى الله عليه وسلم علم أورجا أنه سيفتحه بعد هذا بـلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقـام والجهـاد أقام وجد في القتال فلمـا أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق بهم ففرحوا بـذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ووافقوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم •

ولما أرادوا أن يرتحلوا قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلما ارتحلوا قال : قولوا : آئبون عابدون لربنا حامدون .

وبعدها رجع صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة لقسم الأموال والسبايا قال في الامتاع : وأقام صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ثلاثة عشرة ليلة وخرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة وأحرم ( أي بالعمرة ) ولما كملها عاد إلى الجعرانة من ليلته فكان كبائت بها ثم خرج يوم الخميس على سرف إلى مر الظهران واستعمل على مكة عتاب بن أسيد وقال له : أتدرى على من استعملتك قال : الله ورسوله أعلم قال : استعملتك على أهل الله ، ثم وصل إلى المدينة المنورة مظفرا منصورا يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة من السنة الثامنة والمدينة في تلهف وتشوق واستطلاع لأنواره المحمدية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية .

ولما كان العام الثانى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من ثقيف مسلمين ، ومن ثم فشا الإسلام في ثقيف ، فولى عليهم صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص ، وله المقام المحمود يوم قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه قام خطيبا وقال : يا معشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب إسلاما وأولهم ارتدادا ، فلم يرتد منهم أحد ، بل كانوا يقتلون من يرتد منهم فكانوا من أثبت الثابتين على الإسلام ، وهذا من بركة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم .

# فضـــائل الطائـف

وفضائل الطائف كثيرة : منها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ــ رواه الترمذى . قال في القاموس : والحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها كأنها حجزت بين نجد وتهامة ، انتهى .

ومنها أن الله تعالى جعلها متنفسا لأهل الإسلام خصوصا لأهل البلد الحرام ، قال ابن عراق : كانوا يغبطون من يصيف بها وقال معاوية رضي الله عنه : أنعم الناس عيشا من يقيظ بالطائف ويشتى بمكة ويربع بجدة ، انتهى . وقال الإمام مالك رضي الله عنه : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضي الله قـــال : ( لبيت بركبة أحب إليّ من عشرة أبيات بالشام ) نقل ذلك ابن فهد محمـــد جارالله بن عبدالعزيز صاحب « تحفة اللطائف » وقال ابن وضاح : ركبـــة موضع بين الطائف ومكة في طريق العراق .

ومن أعظم فضائل الطائف أن الله تعالى شرفها بدخوله صلى الله عليه وسلم وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا يدعو الله تعالى فلم يجيبوه بل أغروا به سفهاءهم وعبيـــدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف فعمد صلى الله

عليه وسلم إلى ظل عريش من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقى من السفهاء فلما اطمأن قال : ( اللهم إنى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى أو الى صديق ملكته أمرى إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضي ولا حول ولا قوة إلا بك ) .

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقى صلى الله عليه وسلم تحرك رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له يا عداس خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق واذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت يا عداس ؟ قال رجل نصراني من أهل نينوى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وأسلم . فقال أحدهما للآخر أما غلامك فأفسده عليك فلما جاءهما قالا له يا عداس مالك

تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ، فقال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه أحد إلا نبي قالا له • ويحك يا عداس لا يصرفنك الرجل عن دينك فإن دينك خير من دينه •

قال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وبات ببطن نخلة فقرأ في تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين فلما سمعوه قالوا أنصتوا فأنزل الله عز وجل ( وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ) الآية •

ومن فضائل الطائف : أن الله تعالى قرنه بالحرمين أيضا في سابقية شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهله على غيرهم ممن ليس من أهل الحرمين فقد قال صلى الله عليه وسلم : ( أول من أشفع له يوم القيامة أهل مكة وأهل المدينة وأهل الطائف ) رواه أبو محمد القاسم بن أبى القاسم بن عساكر في فضل أهل الطائف عن عبدالملك بن عباد بن جعفر ونقله عنه المحب الطبرى في القرى ) والتقى الفاسي في ( الشفاء ) والمحب بن فهد في ( التحفة ) •

ومن فضائل الطائف أن الله تعالى قرنه بمكة المشرفة في الذكر الحكيم حيث قال تعالى : ( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) قال المفسرون : هما مكة والطائف ، واختلف في الرجلين ، فقيل : إنهما الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف ، واقتصر على هذا القول الجلال المحلى في تفسيره •

قال العجيمي : ( وفي ذلك ، يعني اقتران الطائف بمكة غاية الفخر الذي تعجز العبارة عن كنهه وقدره وماهيته ) .

ومن فضائل الطائف أنه فيه جملة من الصحابة الكرام الذين استشهدوا في غزوة النبي صلى الله عليه وسلم لثقيف وهم سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، أمه صفية المغيرة عمة خالد بن الوليد أسلم قبل فتح مكة بيسير وقتل شهيدا يوم الطائف .

وعرفطة بن عبدالله بن أمية : أحد ثلاثة كانوا يعرفون بزاد الراكب لأن من سافر معهم كان زاده عليهم ، توفى شهيدا في هذه الوقعة على الأرجح .

والسائب بن الحارث بن قيس القرشي : أحد المهاجرين إلى الحبشة ، قتل في هذه الوقعة .

وعبدالله بن الحارث بن قيس : من المهاجرين إلى الحبشة أيضا ، قتل في الوقعة نفسها ، وهو أخو السائب وبهما انقرضت ذرية أبيهما الحارث .

وطلحة بن عبدالله بن ربيعة : قتل في وقعة الطائف بسهم من أحد أهليها .

وثابت بن الجزع ، ويسمى ثعلبة ، الأنصاري الخزرجي السلمي : شهد العقبة وبدرا ، وقتل بالطائف شهيدا .

والحارث بن سهيل بن أبى صعصعة الأنصارى ، قتل في هذه الوقعة •

والمنذر بن عبدالله الأنصارى من الخزرج : من شهدائها •

ورقيم الأنصارى : من شهدائهـا •

ورجل من بنى الليث لم يذكروا اسمه : من شهدائها •

وعروة بن مسعود الثقفى : من شهدائها •

وعبدالله بن عامر بن ربيعة : من شهدائها(١)

ومن فضائل الطائف أن فيه قبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمى أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول أثبت •

وفي الصحيح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ضمه إليه وقال:اللـهم علمه الحكمة وكان يقال له حبر العرب ويقال إن الذى لقبه بذلك جرجير ملك العرب وكان قد غزا مع عبدالله بن أبى سرح أفريقية فتكلم مع جرجير فقال له ما ينبغى إلا أن تكون حبر العرب •

---

١ ـ انظر ما رأيت وما سمعت للزركلى .

عن ابن عمر أنه كان يقرب ابن عباس ويقول:إني رأيت رسول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم دعاك فمسح رأسك وتفل في فيك وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويـل .

عن ابن عمر دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس فقال : اللهم بارك فيه وانشر منه .

وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري قال : قال المهاجرون لعمر ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال : ذاكم فتى الكهول له لســان سؤول وقلب عقــول .

وفي معجم البغوي من طريق عبدالجبار بن الورد عن عطاء ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقها وأعظم خشية إن أصحاب الفقه عنـده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدر كلهم من واد واسع .

وعن طاوس أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت .

وقال الزبير بن بكار حدثت عن عمرو بن دينار قال لما مـات عبداللـه ابن العباس قال مات رباني هذه الأمة .

وفي وفاته أقوال سنة خمس وستين وقيل سبع وقيل ثمان وهو الصحيح في قول الجمهور .

ومن فضائل الطائف أن فيه قبر محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنيفة نسبة لأمه وتمييزا لسبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة عنه وكان عالما ورعا شديد القوة له مواقف عجيبة ولد سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ والمشهور أنه دفن بمقبرة ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين .

أما آثار الطائف ومعالمها فمن أبرزها وأشهرها مسجد الحبر عبدالله ابن عباس بن عبدالمطلب .

وهنالك مسجد عداس بالمثناة حيث تقابل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداس هذا هو أول من آمن بالطائف وذكر المؤرخون أنه دفن بقربه وهنالك مسجد الكوع قيل إنه عليه السلام اتكأ هنالك بعد إعياء فأثر في الحجر الذى اتكأ عليه .

وهنالك مسجد المحجوب يقال إنه أدق مسجد حددت قبلته على الكعبة .

ومن أبرز مباني الطائف وأشهرها قصور شبرا تمثلت بها القوة والمتانة والجمال وأبرزت على غير مثال سبق في هذه البلاد بناها الأشراف آل عون في أواخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين الأول بناه الشريف عبدالله ابن عون ، وبنى الثاني ابنه علي ، ولا يزال هذا البناء مثال القوة والروعة والإحكام وهناك قلاع وحصون وقصور تدل على ما لهذه المدينة من الأهمية والمكانة .

ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس : ويرجح بعض الباحثين أن مدينة الطائف التى وقع عليها حصار النبى عليه السلام والتى سورها ثقيف وذبوا عنها ما هى بالمدينة القائمة الآن ، وما هذا بمكانها ، بل هى ما بين ( المثناة ) غربا و ( السلامة ) شمالا و ( شهار ) جنوبا و ( حوايا ) شرقا ولهم على ذلك أدلة أرجح صحتها(١) .

وكان في الطائف الصنم المعروف باللات ، وهو صخرة بيضاء مربعة كان يجلس عليها رجل يبيع السمن واللبن للحجاج في زمن الجاهلية الأولى ، ثم اعتقدت ثقيف أن إلهها دخل في تلك الصخرة فبنوا عليها بنيانا وعبدوها وجعلوا لها سدنة وطافوا حولها وضاهوا بها الكعبة وجعلوا لها كسوة وحرموا الصيد في واديها فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وأحرقها بالنار ، وقال ياقوت : هى اليوم ( أي في عصره ) تحت مسجد الطائف ، فلعل ذلك ما بقى من الصخرة بعد إحراق البناء الذى فوقها وهدمه ،وقيل إن أصل اسمها ( اللاه ) فأبدلوا الهاء بالتاء قبل الإسلام .

---

١ ــ المجاز بين اليمامة والحجاز لابن خميس .

# وج

وج : واد عظيم في ديار الطائف إلى غربها ، يمتـــد بين جبلى المحترق والأصيحرين طولا وبين جبلى المدهون وأم السكارى عرضا •

وهو أشهر أودية الطائف ومواضعها حتى أن بعض المؤرخين أطلقـوا لفظ « وج » على الطائف كلها عمرانها وقراها وأوديتها • وفيهم من يـرى أن وادى وج عرف قبل الطائف ، وأن قرى الطائف ومدينته بنيت فيه •

وبهذا جاء الحديث الشريف : ( آخر وطأة الله يوم وج ) ، رواه الفاكهى في تـاريخ مكـة .

وفسروا الوطأة هنا بالغزاة ، وكانت غزوة الطائف آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء تحريم صيد هذا الوادى ، فعن الزبير رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لية ، حتى إذا كنـا عند السدرة ،وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسـود حذوها ، فاستقبل نخبا ببصره ، ووقف حتى اتفق الناس كلهم ، ثم قـال : ( أن صيد وج وعضاهه حرام محرم ) أخرجه أحمد وأبو داود •

وذلـك قبـل نزولـه الطـائف وحصـاره لثقيـف •

قال الشيخ العجيمي في إهداء اللطائف عن فضائله : ومنها أن الله تعالى جعل لها كالحرمين حرمة وشرفا فنهى عن تنفير صيدها وعضد شجرها فيما أخبر به عنه صلى الله عليه وسلم من قوله ( وج حرم الله عز وجل ) ورواه البغوي في المصابيح.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن وجا مقدس ) رواه المحب الطبرى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله أمرنى أن أقدس وجا فقدسوها ألا لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ) أخرجه المحب بن فهد وغيره .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن صيد وج وعضاهه حرام محرم ) رواه البيهقى عن الزبير بن العوام .

وقوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لثقيف لما قدم عليه وفدهم ( بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى المؤمنين : إن عضاه وج وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئا من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ ، فيبلغ به النبى محمد وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به رسول الله ) رواه ابن هشام في سيرته وغيره .

قال في القرى لقاصد أم القرى : ( وتحريمه يحتمل أن يكون على وجه الحمية له وعليه العمل عندنا ويحتمل أن يكون فرضه في وقت ثم نسخه ) .

وقال النووى في الإيضاح : ويحرم صيد وج وهو واد بالطائف لكن لا ضمان فيه .

قلت : وقد ضعف العلماء هذه الأحاديث ، ولذلك لم يأخذوا بها ولم يقولوا بمقتضاها إلا الإمام الشافعي فإنه صحح حديث التحريم وأخذ به ، وقد سبق بيان معنى هذا التحريم عنده .

## وادي لِيّــة

وادى لية : بتشديد الياء وكسر اللام واد كبـير من أوديـة الطائف المشهورة ، ولية : على ثمانية أميال من الطائف إلى الجنوب ، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوادى حين انصرافه من حنين يريد الطائـف وأمر وهو به أن يهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان .

وفي وادى لية موضع يسمى ( بحرة الرغاة ) بضـم أوله وسكون ثانيه وفتح الراء ، قال البكرى ( بحرة الرغاء ) منسوبة إلى رغاء الإبل ، أو شيء على لفظه : موضع في ( لية ) من ديار بنى نصر فانظرها هناك ، وربما قيـل بحرة الرغاء بفتح أوله ، والبحرة : منبت الثمام ، وذكره أبو داود في كتــاب الديات ، من حديث عمرو بن شعيب : أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قتل بالقسامة رجلا من بنى نصر بن مالك ببحرة الرغاء على شط لية .

قال الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار : بحرة الرغاء اندرست ولا يعرف مكانها من لية التى ذكرها البكرى اهـ .

قلت : هذا خطأ ، فقد أخبرنى سيادة الشريف حسين بن حمزة الفعـر وهم أشراف ذلك الوادى بأن هذا المكان أعنى بحرة الرغاء لا زال معروفـا

مشهورا هناك عند أهل الوادي وأن النبي صلى الله عليه وسلم اختط بها مسجدا وأن موضعه معروف هناك .

قلت : وقد ذكر السهيلى في الروض الأنف في غزوة الطائف أن النبي صلى الله عليه وسلم مر ببحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه وذكر الشريف شرف البركاتي : وادي لية في كتابه الرحلة اليمانية فقال : هو واد كبير يزرع فيه من الفواكه ، العنب ، والخوخ ، والمشمش ، والكمثرى ، والتفاح ، والتين ، والسفرجل ، والتوت ، والرمان الذي لم يوجد له نظير في سائر الأقطار ويضرب به المثل برمان الطائف وأثمان الفواكه فيه رخيصة جدا ، ويزرع فيه أيضا البر ، والشعير ، والبرسيم ، والذرة ، وتشرب مزروعاته من الآبار وفي هذا الوادى عين جارية حفرها الشريف حمزه الفعر(1) اهـ .

وبين الطائف ولية واد يسمى ( نخب ) وهو من الأودية المباركة لأنه مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من وادي لية وهو متوجه إلى الطائف لقتال ثقيف لأنه جاء الطائف من جهته الشرقية الجنوبية وبيان ذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعد حنين سار إلى اليمانية ومن اليمانية سلك طريقا آخر في تلك الأودية فمر بقرن ثم المليح ثم بحرة الرغاء من لية ثم هذا الوادى وادى نخب ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد جاء ذكره في الحديث الذى رواه أحمد بسنده عن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لية فاستقبل نخبا ببصره : الحديث ، ويقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم وقف هناك ودعا الله سبحانه وتعالى وإن هذا

---

1 - انظر الرحله اليمانيه للشريف شرف البركاتى .

الموضع معروف إلى الآن في ذلك المكان باسم ( الموقف ) وعلى كل حال فإن الوادي تشرف به صلى الله عليه وسلم وبصلاته وبدعائه ، وإن كان تحديد عين المواضع التى صلى فيها أو دعا صعبا يحتاج إلى دليل عملي بالتلقى عن مشاهدة وهذا ما لا سبيل اليه .

وبعد فقد تم ما أردت جمعه وتحقيقه من الآثار الدينية الإسلامية التاريخية بمكة المكرمة وقد حرصت على ذكر الدليل مهما استطعت إلى ذلك سبيلا فجاء الكتاب بحمد الله جامعا بين التاريخ والفضائل والمناقب وما يتعلق بالأمكنة من أحكام فقهية نفع الله تعالى به وجعله خالصا لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

**محمد بن علوى المالكى المكى الحسنى**

في السادس من شهر ذى القعدة الحرام من عام ١٣٩٩هـ

# الفهرس

**الموضوع**

| الموضـــوع | صفحـــة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | صفحـــة |
|---|---|

| الموضـــوع | صفحـــة |
| --- | --- |

| الموضوع | صفحة |
| --- | --- |
| ما ثبت من الدعاء في يوم عرفة | ٣٠٧ |
| المزدلفة | ٣١٢ |
| منى | ٣١٩ |
| مسجد الخيف | ٣٢٤ |
| مسجد البيعة | ٣٢٧ |
| الجمرات | ٣٣٠ |
| المحصب | ٣٣٦ |
| الجعرانة | ٣٣٧ |
| التنعيم | ٣٣٩ |
| وادي فاطمة | ٣٤٢ |
| الحديبية | ٣٤٥ |
| وادي سرف | ٣٥٥ |
| حنين | ٣٥٧ |
| الطائف | |
| - تاريخه - فضله - آثاره | ٣٦١ |
| فتح الطائف | ٣٦٥ |
| غزوة الطائف | ٣٦٦ |
| فضائل الطائف | ٣٦٩ |
| وج | ٣٧٧ |
| وادي لِيّة | ٣٨٠ |
| الفهرس | ٣٨٣ |

طباعة دار العلم للطباعة والنشر - جدة
ص.ب : ٤٧٩٧ جدة ٢١٤١٢ ت: ٦٧١٢١٠٠ المملكة العربية السعودية